المملكة العربيَّة السُّعوديَّة
وزارة التَّعليم العالي
جامعة أم القرىٰ
كليَّة الدعوة وأصول الدين
قسم الدعوة والثقافة الإسلاميَّة
شعبة الثقافة الإسلاميَّة



مظَاهِرُ الرَّحْمَةِ

فِي فتوحات الخلفاء الراشدين ﭫ

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في

«الثقافة الإسلامية»

إعداد الطالب

خالد سليمان فهد المزيد

الرقم الجامعي (٤٣٤٨٨٢٠٣)

بإشراف إستاذ مشارك/د

رشدي الشحات عبدالحميد زوين

الأستاذ في قسم «الثقافة الإسلامية»

العام الجامعي

١٤٣٨ - ١٤٣٩هـ

٢٠١٧-٢٠١٨م


بسم الله الرحمن الرحيم

ملخصُ الرسالة

بسم الله، والحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسوله، أمَّا بعدُ:

فهذه أُطروحةٌ علميَّة لنَيْل درجة الماجستير، في قسم: «الدعوة والثقافة الإسلاميَّة»، شعبة: «الثقافة الإسلاميَّة»، بعنوان: «مظاهرُ الرَّحمة في فتوحات الخلفاء الراشدين ﭬ».

١- تهدُفُ الدراسة إلى إظهار خُلق الرحمة في فتوحات الخلفاء الراشدين ﭬ من خلال معاركهم وفتوحاتهم حيث مظنَّة الشدة.

٢- ذكر مظاهر الرحمة في مرحلة الإعداد، وكذلك أثناء المعركة، وبعد أن تضع الحربُ أوزارها.

٣- تجلَّت هذه الرحمة عبر مواقف عدَّة، وأماكن ومواضع مع أطياف من المجتمع، وتغير أحوالهم، وزمانهم، ومكانهم، حسب ما تضمه البحوث أو المطالب.

٤- إظهار الرحمة من خلال اختيار القادة التي يتصف بمجالاتها، وتتوفر فيه صفاتها.

٥- وقوف الباحث على مظاهرٍ من الرحمة من خلال تطبيقها عمليًّا، خاصَّةً في مواطن الشدة والقتال.

٦- يبيِّن الباحث مظاهر الرحمة للخلفاء الراشدين، سواء أجاءت هذه الرحمة تنتهج منهج الأقوال أو الأفعال؛ فيقتدي بهم مَنْ خلفهم، ويتأسَّون بأخلاقهم، ويدافعون عنهم، ولتعلم البشريَّة جمعاء كيف كانت أخلاقهم، وما الذي يدعون إليه، ومدى رحمتهم بالعالمين في الحيوان قبل الإنسان.

وبيَّنتُ في الدِّراسَة أهميَّة الموضوع، وأسباب الدِّراسَة، وأهدافها، ومعاني الرحمة، وتحدثت عن فتوحاتهم ﭬ باختصار، ثم عدَّدتُ جملةً من مظاهر رحمتهم ﭬ في فتوحاتهم، وعلَّقتُ عليها بما يسعه الحال أو المقال.

فابتدأتُ بمظاهر رحمتهم قبل المعركة، ثم في أثناء المعركة، ثم بعد المعركة.

وختمت هذه الدِّراسَة بذكر النتائج والتوصيات.

إعداد الطالب	**إشراف الأستاذ الدكتور**
خالد سليمان فهد المزيد	**رشدي الشحات عبدالحميد زوين**



Abstract of Study

In the name of Allah، Thanks to Allah، Peace، and blessings to the prophet،

This is a scientific thesis to have the Masters degree in Dawa and Islamic Culture، Islamic Culture Division، entitled (the manifestations of mercy in the conquests of Caliphs.

١. The study aims at manifesting the mercy in the conquests of Caliphs، through their battles and conquests.

٢. Manifestations of mercy in the preparation stage will be mentioned، as well as during the battle-and after it is over.

٣. This mercy appeared through various situations، places and positions with spectra of society، and the change in their status، time، place، as provided in research and requirements.

٤. Manifest the mercy through the choice of leaders، which characterized by their fields and the qualities are available therein.

٥. The research focused on the manifestations of merci، through applying thereof practically، especially in the battle.

٦. The researcher manifests the manifestations of merci of Caliphs، either this merci takes the approach of words or deeds، then their successors follow them، imitate their morals and defend them. To educate all humans how were their morals، and what they call for، how was their mercy to all creatures؛ in animals before humans.

This study shows the significance of this topic، the reasons of study and its objectives، as well as the definition of Merci، talked about their conquests briefly. Then I counted some of the manifestations of their merci in their conquests، and commented thereon، including the case and article.

I started with the manifestations of merci before the battle، then during the battle and after the battle.

I concluded this study by mentioning the results and recommendations.

Supervised by	*Prepared by*
Roshdy Zwein	***Khalid Soliman Fahd Al Mazid***



شكر

الحمد لله وحده، والشكر أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا لله ربِّ العالمين، فله الحمد، والفضل والمِنَّة.

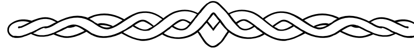
ثمَّ الشكر والامتنان لوالديَّ العزيزين، فاللهمَّ ارحمهما كما رَبَّياني صغيرًا.

ثم الشكر زوجتي أم حسام، وأولادي على صبرهم، وتحملهم، وتقديرهم لظروف دراستي، وبُعْدي عنهم.

ثم الشكر لإخواني، وزملائي في دراسة الماجستير، وأصدقائي، وأخصُّ منهم أستاذي الغالي عايد عيد الزغيبي، والأستاذ حسين العبيري وفَّقه الله، وأشكر جميع مَنْ أسهم وأعان أو أشار عليَّ برأيٍ، أو اهتمَّ بي بدعاءٍ.

والشكر خاصٌّ لشيخي وأستاذي الشيخ الأستاذ الدكتور رشدي زوين؛ على كلِّ ما قدَّمه لي من إرشادٍ، وإشرافٍ على رسالتي، وصَبْرٍ عليَّ، يحوط ذلك دماثة خُلُقه، وحُسن مَعْشره.

والشكر موصولٌ لجامعة أمِّ القرى؛ ممثلةً في قسم الدعوة وأصول الدين، ابتداءً بعميدها ورئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلاميَّة، وأعضاء هيئة التَّدريس فيها، خصوصًا مَنْ شَرُفْتُ بالدِّراسَة على يديه.



المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيِّد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

فإن الخلفاءَ الراشدين ﷺ هم المنارة الوَضَّاءة لكلِّ أجيال المسلمين، وهم الشموس الساطعة في سماء المثقفين، وهم القدوات بعد رسولهم ﷺ، بل هم خير صحابة رسول الله ﷺ الذين قال الله عنهم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[(١)].

فخلافتهم راشدة؛ لأنها على منهاج مرشدهم ﷺ الذي يقول: «...فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[(٢)]، **ويقول** عليه السلام: «**الخِلافَةُ ثَلاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكًا**»، قَالَ: أَمْسَكَ ثِنْتَيْنِ أَبُو بَكْرٍ، وَعَشْرًا عُمَرُ، وَاثْنَتَيْ عَشْرَةَ عُثْمَانُ، وَسِتًّا عَلِيٌّ ﷺ[(٣)].

---

(١) سورة الفتح آية (٢٩).

(٢) رواه أبو داود (٤/ ٢٠١)، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، ق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، وانظر: «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (١/ ٤٩٩)، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي.

(٣) انظر: «مسند أحمد» (٢٥٦/٣٦)، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م. قلت: قال الأرناؤوط في تعليقه: "إسناده حسن". انظر: «صحيح ابن حبان» =

إنهم الخلفاء الراشدون المهديُّون ﷺ، الذين شهد لهم خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ بالخلافة الراشدة النبوية، وسيرتهم العطرة الزكية، وأيامهم النضرة البهية، وجعلهم منارةً وَضَّاءةً للأجيال القادمة ومن بعدهم؛ لأن سيرتهم محور التاريخ الإسلامي كله، ومحيط له بأكمله.

ولفَهْم ذاك التاريخ لابد لنا أن نقف وقفةَ منصفٍ؛ لنقول: إنَّ التاريخ الإسلاميَّ العريق لم يُكتَب كلُّه، بل كُتِبَ ما اشتُهِرَ مِنه مِنْ وَقائعَ وأحداثٍ، خاصةً في الحروب؛ لأنها محطُّ أنظارٍ وأشعارٍ، أو الفتن؛ لأنها تأكل الأخضر واليابس، وثمَّة أخرى تنازعته أقلام منصفين صادقين مخلصين، وأقلام حاقدين حانقين؛ دَسوا من بين طيَّاته الدسائس، فأصبح الخوض فيه وَعْرًا، ومَنْ تكلَّم به حَذِرًا؛ لأنه اختلط عليه الحابل بالنابل.

ومع كل هذه التنبيهات يجد الباحث أنه بين مؤلفين منصفين ينقسمون إلى قسمين:

١- مؤلفين كتبوا عنه، فاهتموا بسنده ومتنه رحمهم الله.

٢- مؤلفين كتبوا عنه مُخلِّين؛ سواء بالسند أو المتن رحمهم الله.

مما يجعل الباحث يذكر مجتهدًا، ومتحريًا، ومبينًا ما صحَّ منه من آثار وأحداث ووقائع(١)، وهذه الوقائع لا شكَّ أنها تتضمن مظاهر لخُلق ما، يظهر هذا الخلق لأقوام، ويغيب عن آخرين، ويختلف باختلاف الزمان والمكان، ومن هذه الأخلاق خُلق الرحمة الذي يشمل حياة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين، ولكن ثمَّة وقائع يتبادر إلى الأذهان أنْ لا رحمةَ فيها؛ لأنها موطن شدَّة وقتال، ومن هنا ركَّزتُ على استخراج هذه المظاهر من تلك الشدَّة، ومن تحت ظِلال السيوفِ، وكيف رحم الخلفاء ﷺ تلكم الفئة الضعيفة من شيخ كبير، وطفل صغير، وعابد في صومعته، وامرأة لا تعرف النزال، فآثرتُ أن أجعل رسالتي للماجستير في هذا الشأن بعنوان: «مظاهر الرحمة في فتوحات الخلفاء الراشدين ﷺ»، ولا أدَّعي المثالية فيها، فإن

= (٣٩٢/١٥)، محمد بن حبان، ق/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ.

(١) من أفضل المراجع للتاريخ: كتب الصحاح، والمسانيد، والسنن، وهناك وقائع أذكرها ليس لها علاقة بتشريع جديد، بل هي تكتب ضمن التاريخ مما يقتضيه الحال والمقال، ولا يعتمد عليها كناحية شرعية تتضمن الأحكام الخمسة إلا ما دخل تحتها وصح عند أهل التحقيق، والله أعلم.

الكتابة في تاريخ الإسلام عرضة للخطإ والصواب؛ لأن المسلمين بشر يخطئون ويصيبون، وليسوا ملائكةً يمشون مطمئنين.

ومنهج أهل السُّنة والجماعة أن المجتهد المصيب له أجران، والمخطئ له أجر، فهم يبحثون للمخطئ عن عذرٍ، ويعتقدون أن المصيب على أجرٍ، فإن أحسنتُ فمن الله، وإن أسأتُ فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله بريئان.

أسأل اللهَ الإعانة، والتَّوفيق، والسَّداد، والرشاد، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.





أهمية الدراسة

تتضح أهميَّة الدراسة في إبراز مظاهر الرحمة في عصر ما بعد الرسول عليه الصلاة والسلام، وهذا يؤكد على سهولة:

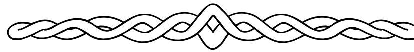
١- ارتباطه بأزهى عصور الإسلام بعد العصر النبوي؛ لنتستلهم عوامل التمكين منهم.

٢- اشتماله على نماذجَ مضيئة من مظاهرِ الرحمة في الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ﭫ.

٣- ينفي عن الإسلام ما ألحق به من شبهات وطعون وخاصَّة حول الجهاد في سبيل الله.

٤- التعامل مع غير المسلمين، والرد على كثير من المطاعن حول الصحابة -رضوان الله عليهم- خاصَّةً من الرافضة الذين زعموا أن الصحابة خالفوا نهج النبوة، ونقضوا تعاليم الإسلام.

٥- حاجة المجتمع للرحمة؛ فهي وسيلة للإخاء والترابط والوحدة والتآلف.



أهداف الدراسة

تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

١- التعرف على مفهوم الرحمة، وأثرها على مستوى الفرد والمجتمع.

٢- الكشف عن الرحمة في مواطن الشدة من خلال تتبع مظاهرها.

٣- إبراز هذه الرحمة للمجتمع عامَّة، وللمجاهدين خاصَّة.

٤- تصحيح مفهوم أن لا رحمةَ في الحرب، وأن لا رأفة في الأَسْر.

٥- تطبيق الرحمة في العصر الحاضر الذي غابت فيه عن بعضهم.

* **مشكلة الدراسة:**

يمكن تلخيص مشكلة الدراسة في تصحيح بعض المفاهيم المغلوطة في العصر الحاضر من خلال إبراز مظاهر الرحمة في الحروب خاصة، وإبرازها للفرد والمجتمع عامة؛ ولِما لهذه القيمة من معانٍ عظيمةٍ من وحدة شوكة المسلمين، وترابطهم فيما بينهم.

* **تساؤلات الدراسة:**

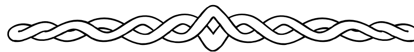
١- ما مفهوم الرحمة؟

٢- ما مظاهر الرحمة في مرحلة الإعداد للحرب في عهد الخلفاء الراشدين ﭬ.

٣- ما مظاهر الرحمة أثناء القتال في عهد الخلفاء الراشدين ﭬ.

٤- ما مظاهر الرحمة بعد أن وضعت الحربُ أوزارها، وحطَّت رحالها؟

٥- ما سُبُل الاستفادة من هذه القيمة في العصر الراهن؟



الدراسات السابقة

وجدت بعض الكتب التي تناولت عهد الخلفاء الراشدين ﭫ من زاوية تاريخية مثل: «تاريخ عصر الراشدين» للدكتورة آمنة حسين جلال، و«تاريخ الخلفاء الراشدين ﭫ في مرويات الحافظ عبد الرزاق بن همام الصنعاني» إعداد: بندر الحجي، و«تاريخ الخلافة الراشدة من مصنف ابن أبي شيبة»، إعداد: عفاف بنت شامان الوذيناني، أو أدبية مثل: «الصورة الفنية في شعر الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ﭫ» إعداد: يحي أحمد رمضان، أو في الدعوة والاحتساب مثل: «العرف وتطبيقاته في الحسبة في العهد النبوي، وعهد الخلفاء الراشدين ﭫ، وأوجه الاستفادة منها في العصر الحاضر»؛ لعلي سعيد القحطاني.

* ولم أقف بعد الرجوع إلى المصادر البحثية على دراسة أكاديمية بهذا العنوان، غير أني وجدت رسالة بعنوان: «مظاهر الرحمة في غزوات النبي ﷺ»، للباحث الشيخ صالح اليحيى – وفقه الله– والفرق بين هذين الموضوعين هو ما يلي:

١– التعامل مع المرتدين في عهد الخلفاء ﭫ أكثر، وأشمل، وأوسع من عهد النبي ﷺ.

٢– الفتنة التي وقعت بين الصحابة ﭫ كانت في عهد الخلفاء بخلاف عهد النبي ﷺ، فقد اجتمعوا تحت لوائه.

٣– انقطاع الوحي في عهد الخلفاء؛ فكان مجال الاجتهاد في المواقف أكثر من عهد النبي ﷺ.

٤– اتساع رقعة الإسلام في عهد الخلفاء بشكل كبير جدًّا؛ مما جعل المواقف والمظاهر أكثر تعدُّدًا وتنوعًا من عهد النبي عليه السلام.

٥– اختلاف شخصيات الخلفاء وتباينها؛ مما أنتج ميدانًا خصبًا تتجمع في المواقف والمظاهر، وتتمايز فيه الأخلاق، بخلاف عهد النبي ﷺ، فقد كان شخصًا واحدًا يُوحى إليه.

٦– تعدد رُقَع العالم الإسلامي في عهد الخلافة الراشدة، أوجب تعاملًا خاصًّا لكل رقعةٍ حسب طبيعة أهل ذلك المصر.

٧- إن دراسة الرحمة في حروب الخلفاء الراشدين ﷺ؛ يرد على كثيرٍ من المطاعن حول الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، خاصَّةً من الرافضة الذين زعموا أن الصحابة خالفوا نهج النبوة، ونقضوا تعاليم الإسلام.

*** منهج الدراسة:**

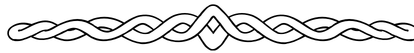
سيتناول الباحث في هذه الدراسة مظاهر الرحمة في فتوحات الخلفاء الأربعة ﷺ، وسيكون المنهج في هذه الدراسة: المنهج التاريخي(١)، والاستقرائي(٢) من خلال الرجوع إلى المصادر، والمراجع في الدراسة، والاستفادة منها؛ فيما يتعلق بإبراز قيمة الرحمة.

*** منهج الباحث:**

أ- عزو الآيات إلى موضعها من القرآن الكريم.

ب- عزو الأحاديث إلى «الصحيحين»؛ أو أحدهما والاستغناء بذلك، فإن لم يكن فيهما، أو في أحدهما ذكرتُ بعض مَن خرَّجه من أصحاب السنن والمسانيد، ونقلت رأي بعض أهلِ الفن قدر المستطاع.

ج- أترجم للأعلام حسب الحاجة وعلاقته بالموضوع، وأعنون لكل ميدانٍ سيتم الحديث عنه، ثم أذكر بعض النصوص الدالَّة على المقصود، ثم أعلِّق عليه بتجلِيَة مظهر الرحمة، وأثره، ومتعلقات ذلك، وإن كان الأمر يتعلق بحكمٍ فقهي؛ فأختار الرأي الذي له نصيب من القوة في الدليل، أما الخلاف ونسبة القول لقائله؛ فأشير إليهما عند الحاجة.



---

(١) «**المنهج التاريخي**»: وهو يعتمد على التوثيق والتفسير للحقائق التاريخية. ك: أبجديات البحث في العلوم الشرعية، د/فريد الأنصاري، الناشر: منشورات الفرقان، ط: الأولى الدار البيضاء ذي القعدة ١٤١٧هـ.

و«**المنهج الاستردادي**»: يعتمد هذا المنهج على عملية استرداد ما كان في الماضي للتحقق من مجرى الأحداث. «مناهج البحث العلمي دورها وأنواعها واستخدامها». د/ محمد حسانين محمود.

(٢) «**المنهج الاستقرائي**»: وهو منهج يبدأ بالجزئيات ليصل للكليات والقوانين العامَّة. انظر: «منهجية إعداد بحوث الدراسات العليا»، الهاشمي بن واضح، جامعة محمد بوضاف المسبلة، ط: ٢٠١٦.

حدود الدراسة

تقتصر الدراسة على عهد الخلفاء الراشدين الأربعة فقط (أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، رضي الله عنهم أجمعين)؛ من خلال إبراز مظاهر الرحمة في فتوحاتهم المباركة قدر المستطاع.

* **تقسيمات الدراسة: وتشتمل على: تمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.**

التمهيد: وأتناول فيه:

أ- التعريفَ بمفردات عنوان الدراسة.

ب- نبذة عن الخلفاء الراشدين ﭫ.

ج- بعضًا من فتوحات الخلفاء الراشدين ﭫ.

الفصل الأول: مظاهر الرحمة في مرحلة الإعداد للحرب في عهد الخلفاء الراشدين ﭫ.

المبحث الأول: دوافع الحرب.

المبحث الثاني: مراعاة أزمنة وأمكنة الحروب.

المبحث الثالث: اختيار المجاهدين والقادة.

المبحث الرابع: إعداد المجاهدين، وتأهيلهم.

الفصل الثاني: مظاهر الرحمة أثناء القتال في فتوحات الخلفاء الراشدين ﭫ.

المبحث الأول: مظاهر الرحمة مع المجاهدين أثناء القتال.

المبحث الثاني: مظاهر الرحمة مع الأعداء أثناء القتال.

الفصل الثالث: مظاهر الرحمة في فتوحات الخلفاء الراشدين ﭫ عقب الحرب.

المبحث الأول: مظاهر الرحمة مع الشهداء والجرحى.

المبحث الثاني: مظاهر الرحمة مع الأسرى.

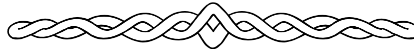
المبحث الثالث: مظاهر الرحمة مع الأعداء.

الخاتمة، وفيها أبرز: النتائج، والتوصيات.

الفهارس:

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام.
- الأماكن.
- فهرس المصادر والمراجع.





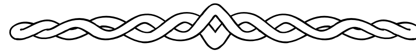
التمهيد

ويشتمل على:

أولًا: التعريف بمفردات عنوان البحث.

ثانيًا: نبذة عن سيرة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

ثالثًا: بعض من فتوحات الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

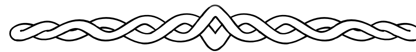


المبحث الأول
التَّعريف بمفردات عنوان البحث

وفيه::

أولًا: التعريف بمفردات عنوان البحث.

ثانيًا: الفرق بين الرأفة والرحمة.



المطلب الأول
التعريف بمفردات عنوان البحث

التعريف بمصطلحات عنوان البحث.

أولًا: معنى كلمة مظاهر:

ظهر:

١- **قال ابن فارس:** «الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد يدلُّ على قوة وبروز، من ذلك: ظهر الشيء يظهر ظهورًا، فهو ظاهر، إذا انكشف وبرز، ولذلك سُمِّي وقت الظهر والظهيرة، وهو أظهر أوقات النهار وأضوؤها، والأصل فيه كله ظهر الإنسان، وهو خلاف بطنه، وهو يجمع البروز والقوة»[(١)].

٢- **وقال محمد الرازي:** «إن (الظاهر) ضد الباطن، و(ظهر) الشيء تبيَّن»[(٢)].

٣- وعرَّفه بعضهم بقوله: «إن المظهر: هي الصورة التي يبدو عليها الشيءُ، شكل خارجي»[(٣)].

ومن خلال هذه التعريفات يتبيَّن للباحث: أن المظاهر جمع مظهر، والمظهر الأشياء التي تبرز بعدما كانت مغيبة جزئيًّا، وفي هذه الرسالة يظهر الباحثُ للقارئ بعضًا من مظاهر الرحمة في الفتوحات الراشدية التي هي موضع الشِّدة والبأس؛ ليبرز من خلالها مظاهر الرحمة في مواطن الشدة والقتال.

---

(١) انظر: «مقاييس اللغة» (٤٧١/٣)، أحمد بن فارس، ق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بدون، ط: ١٣٩٩هـ.

(٢) انظر: «مختار الصحاح» (ص١٩٧)، محمد بن أبي بكر الرازي، ق/ يوسف الشيخ محمد، مكتبة العصرية –الدار النموذجية، بيروت – صيد، ط: الخامسة، ١٤٢٠هـ.

(٣) انظر: «قاموس المعاني»/http://www.almaany.com/.

ثانيًا: معنى كلمة الرحمة.

أ- لغةً:

١- **قال الفارابي في «الصحاح»**: «الرحمة: الرقة والتعطف. والمرحمة مثله. وقد رحمته وترحَّمت عليه. وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضًا»[(١)].

٢- **وقال ابن فارس:** «الراء والحاء والميم أصل واحد يدلُّ على الرقة والعطف والرأفة»[(٢)].

٣- **وقال الفيروزآبادي:** «الرحمة هي الرقة والرأفة والتعطف... ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ﴾[(٣)]، فَسمَّى الله ﷻ النبوة رحمةً؛ لما فيها من رحمة البشرية جمعاء»[(٤)].

ونلحظ في هذه التعريفات: أن معاني الرحمة غالبًا دائرة بين الرِّقة والرأفة والعطف. قال المحاربي: «ولأن الرأفة والرحمة في القلب، فيكون لا تكسب للإنسان فيها»[(٥)]، مما جعل تعريف الرحمة يختلف من شخص لآخر حسب نظرته لآثارها.

ب- اصطلاحًا:

١- عرَّفها بعضهم فقال: «هي إرادة إيصال الخير»[(٦)].

٢- وقالوا: هي محبَّة للمرحوم مع جزع من الحال التي من أجلها رحم[(٧)].

---

(١) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» (١٩٢٩/٥)، إسماعيل بن حماد الفارابي، ق/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط: الرابعة ١٤٠٧هـ.

(٢) انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٤٩٨/٢).

(٣) سورة آل عمران: آية (٧٤).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» (ص١١١١)، محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، ق/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط: الثامنة، ١٤٢٦هـ.

(٥) انظر: «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٢٧٠/٥)، عبد الحق بن غالب المحاربي، ق/ عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٦) انظر: «دور مناهج التاريخ الإسلامي في تجسيد رحمة النبي»، (ص٥١٢٢) من ضمن أبحاث المؤتمر الدولي سنة ١٤٣١هـ، إبراهيم رزق.

(٧) انظر: «معالم الرحمة في تعامل النبي»، (ص٥١٩)، من ضمن أبحاث المؤتمر الدولي سنة ١٤٣١هـ، سليمان صالح الشجراوي.

"ويرى الشيخ عبد الرحمن الميداني[1] أنَّ من العسير التوصل لتعريف دقيق في الرحمة؛ لأن شأن الرحمة كشأن معظم العواطف والانفعالات إنما تُدرَك وتُعرَف بظواهرها لا بحقيقة تكوينها، وهي ذات مراتب ودرجات متفاوتة حسب ما وقع بقلب الراحم على المرحوم"[2].

ومن خلال ما سبق تُعرَّف الرحمة: أنها شعور ينتج عنه سلوك تُتَرجمه الجوارح، وما ينتج عن السلوك هو عين المظهر، وعليه فإن مفهوم مظاهر الرحمة: معناه الفعاليات التي تعبر عن الرقة التي في فتوحاتهم، والرأفة والعطف التي تعكسه تصرفاتهم.

(١) هو الشيخ العلامة عبد الرحمن حنبكة الميداني، وُلد بدمشق سنة ١٣٤٥هـ، ونشأ في أسرة علم، تلقى الشيخ العلم في مدرسة أنشأها أبوه وهي معهد التوجية الإسلامي، له عدد من المحاضرات والندوات والمؤلفات، منها: الحضارة الاسلامية وأسسها ووسائلها، وغيرها من الكتب، مات رحمه الله سنة ١٤٢٥هـ. انظر: موقع الألوكة http://www.alukah.net/culture/٠/٤٨٧/.

(٢) انظر: «الرحمة خلق رسول الله ﷺ»، من أبحاث المؤتمر الدولي سنة ١٤٣١، (ص٨٩)، محمد بن عبد الله اللعبون.

ثالثا: الفتوحات

أ- في اللغة:

١- «فتح: الفتح: نقيض الإغلاق. والفتح افتتاح دار الحرب. والفتح أن تفتح على مَنْ يستقرئك. والفتح أن تحكم بين قوم يختصمون إليك، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾(١)، قال ابن كثير: «افصل بيننا وبين قومنا»(٢).

٢- «والفتح النُّصرة، قال تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾(٣)، واستفتحت الله على فلان، أي: سألته النصر عليه، ونحو ذلك»(٤).

٣- قال ابن فارس: «الفاء والتاء والحاء أصل صحيح يدلُّ على خلاف الإغلاق.. والفتح هو الحكم، والله ﷻ الفتاح، أي: الحاكم(٥).

٤- والفتح: الماء يخرج من عين أو غيرها. والفتح النصر. واستفتحت: استنصرت»(٦).

ب - اصطلاحًا:

١- «وعرَّفها بعض أهل اللغة: الفتوحات، فقال: هي استيلاء على بلد عن طريق الحرب.. والفتوحات: ما فتح من البلدان في الحرب»(٧).

٢- «وذكروا أن الفتوحات: ما فتح بالحرب من البلدان (الفتوحات العربية في أيَّام الخلفاء

---

(١) سورة الأعراف آية (٨٩).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/٤٤٨)، إسماعيل بن عمر بن كثير، ق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠هـ.

(٣) سورة الأنفال آية (١٩).

(٤) انظر: «العين» (٣/١٩٤)، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

(٥) انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٤/٤٦٩).

(٦) «مجمل اللغة»، لابن فارس (ص٧١٠)، أحمد بن فارس الرازي، ق/ زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثانية ١٤٠٦هـ.

(٧) وهي الفتوحات الإسلامية؛ لأن العرب فتحوا باسم الإسلام لا باسم العروبة. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» (٣/١٦٦٥)، ق/ أحمد مختار عبد الحميد، عالم الكتاب، بدون، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ.

الراشدين ﷺ)»[(١)].

ويرى الباحث من خلال تعريفات الفتوحات وخاصَّة من كتب الفقه[(٢)]: أن الفتوحات: ما فتح من البلدان في الحرب؛ سواء أكان صلحًا أم عنوة، وهذا هو ما يعنيه الباحث في رسالته المطروحة.

رابعا: معنى الخلفاء:

أ- الخلفاء جمع خليفة، والخليفة هو القائم بالخلافة، وتأتي كلمة خلافة بمعان عدَّة:

١- البدل: «من استخلف مكان مَنْ قبله، ويقوم مقامه، والجن كانت عمار الدنيا، فجعل الله آدم وذرِّيَّته خليفة منهم، يعمرونها. والخالفة: الأُمَّة الباقية بعد السالفة»[(٣)].

٢- السلطان الأعظم: يقال: خلفه في قومه خلافةً، من قول الله ﷻ: ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي﴾[(٤)][(٥)].

٣- النيابة: «وهي نيابة عن الغير؛ إمَّا لغيبة المنوب عنه، أو لموته، أو لعجزه، أو لتشريف المستخلف، خلفه على أهله وماله فأحسن الخلافة»[(٦)].

٤- التغير: قال ابن فارس: «فقولهم: خلف فوه، إذا تغير، وأخلف، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**»[(٧)]، أي: تغير رائحته»[(٨)].

---

(١) «الرائد معجم لغوي معاصر» (٥٩٣) الجبران مسعود، دار العلم للملايين، بيروت، ط: السابعة ١٩٩٢م.

(٢) انظر: «الموسوعة الفقهية الكويتية»، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. الكويت. ط: السلاسل (٣/١٢٠).

(٣) انظر: «العين» للفراهيدي (٤/٢٦٧).

(٤) سورة الأعراف آية (١٤٢).

(٥) انظر: «لسان العرب» (٩/٨٤)، محمد بن مكرم بالمعروف بابن منظور، الناشر: دار صادر - بيروت، ط: الثالثة - ١٤١٤هـ، «معجم اللغة العربية المعاصرة» (١/٦٨٥)، د/ أحمد مختار عمر. الناشر: عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ.

(٦) المصدر نفسه (١/٦٨٥).

(٧) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب الصوم، باب فضل صوم رمضان، (ح١٨٩٤) (ج٣ص٢٤)، = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ..

(٨) انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٢/٢١٢).

٥- بمعنى الوراء: «جاء في «التهذيب» قال الليث: الخلف: ضد قدام»[(١)].

٦- الاستسقاء، قال ابن منظور: «والخلف والخلفة: الاستسقاء، وهو اسم من الإخلاف. والإخلاف: الاستقاء. والخالف: المستقي. والمستخلف: المستسقي»[(٢)].

ب- اصطلاحًا: «الخلافة هي الإمامة: موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا[(٣)].

هذا هو الذي عليه العرف المشاع من صدر الإسلام، وهلَّم جرًّا إطلاق اسم الخليفة على كل مَنْ قام بأمر المسلمين القيام العام، إمَّا ببيعةٍ من أهل الحلِّ والعقد، وإمَّا بعهد ممن قبله»[(٤)].

وذلك لحمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها..[(٥)].

فهي -إذًا- رياسة تامَّة، وزعامة عامَّة، تتعلق بالخاصَّة والعامَّة، في مهمات الدين والدنيا..[(٦)]، وهذا هو أقرب تعريف؛ لأنه جامع مانع.

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (١٦٨/٧) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، ق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠١م.

(٢) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٨٧/٩).

(٣) انظر: «الأحكام السلطانية» للماوردي (ص١٥)، أبو الحسن علي بن محمد، الشهير بالماوردي، ط: دار الحديث - القاهرة. بدون.

(٤) انظر: «مآثر الإنافة في معالم الخلافة»، (١٣/١)، أحمد بن علي القلقشندي، ق: عبد الستار أحمد فراج الناشر: مطبعة حكومة الكويت - الكويت، ط: الثانية، ١٩٨٥م.

(٥) انظر: «مقدمة تاريخ ابن خلدون» (٢٣٩/١)، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٦) انظر: «غياث الأمم في التياث الظلم» (ص٢٢)، عبد الملك بن عبد الله الجويني، ق: عبد العظيم الديب، الناشر: مكتبة إمام الحرمين، ط: الثانية، ١٤٠١هـ.

المطلب الثاني
الفرق بين الرأفة والرحمة

هناك مَنْ فرَّق بين الرأفة والرحمة:

١- فقال: «إن الرأفة أبلغ من الرحمة»[(١)].

٢- وفرق بعضهم فقالوا: «يحتمل وجهين:

أحدهما: أن الرأفة اللين، والرحمة الشفقة.

والثاني: أن الرأفة تخفيف الكل، والرحمة تحمل الثقل»[(٢)].

٣- وقال ابن كثير[(٣)]: «الرأفة هي الخشية، والرحمة تكون بالخلق»[(٤)].

(١) انظر: «الفروق االلغوية» (ص١٩٦)، الحسن بن عبد الله العسكري، ق/ محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر. بدون ط.

(٢) انظر: «النكت والعيون» (٤٨٤/٥)، علي بن محمد بن الماوردي، ق/ السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان بدون ط.

(٣) **هو إسماعيل بن عمر بن كثير**، نشأ بدمشق، وسمع من مشايخ كثر، واشتغل بالحديث مطالعةً في متونه ورجاله، فجمع التفسير، وشرع في كتاب كبير في الأحكام لم يكمل، وجمع التاريخ الذي سمَّاه «البداية والنهاية»، ١٤ مجلدًا في التاريخ على نسق الكامل لابن الأثير، انتهى فيه إلى حوادث سنة ٧٦٧ (٣)، و(شرح صحيح البخاري) لم يكمله، ومن كتبه أيضًا: (طبقات الفقهاء الشافعيين)، و(تفسير القرآن الكريم)، و(الاجتهاد في طلب الجهاد) – وكان كثير الاستحضار، حسن المفاكهة، مات رحمه الله سنة ٧٧٤هـ. «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» (٤٤٥/١)، «ذيل تذكرة الحفاظ» (ج١: ٣٨)، شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي الشافعي (المتوفى: ٧٦٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م. «البدر الطالع» (١٥٣/١)، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت. «الأعلام»، للزركلي (١/ ٣٢٠).

(٤) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٢٩/٨)، إسماعيل بن عمر بن كثير، ق/ سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠هـ.

٤- **وقال بعضهم**: «إن المراد من الرأفة دفع الشر، ومن الرحمة جلب الخير، وبذا يكون بينهم مودة»[١].

وجمعًا بين التعريفات الدائرة، بين أن الرحمة: «تأتي بمعنى شفقة، وتحمل الثقل، وجلب الخير، وبين أن الرأفة تأتي أبلغ، وهي خشية شر ودفعه، نقول: يرى الباحث أن بينهما عمومًا وخصوصًا كالإسلام والإيمان، فإذا اجتمعا افترقا، فأصبح لكلٍّ معنى خاصّ به، وإذا افترقا اجتمعا، والله اعلم.



(١) انظر: «تفسير المراغي» (١٨٣/٢٧)، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي، مصر، ط: الأولى، ١٣٦٥هـ.

المبحث الثاني
نبذة مختصرة عن سيرة الخلفاء الراشدين

وفيه:

أولًا: في سيرة أبي بكر الصديق ﷺ.

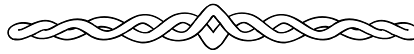
ثانيًا: في سيرة عمر بن الخطاب ﷺ.

ثالثًا: في سيرة عثمان بن عفان ﷺ.

رابعًا: في سيرة عليّ بن أبي طالب ﷺ.



لا شكَّ لدى كل ذي بصيرٍ في السيرة، أعني: سيرة الخلفاء الراشدين ﵃ رأى أن الكتبَ التي ترجمت لهم ﵃ مليئةٌ وزاخرةٌ بالترجمة فيهم، وذكر سيرتهم العطرة، وأخلاقهم النضرة، فلست هنا بصدد ذكر سيرتهم من حياتهم حتى وفاتهم، فمَنْ ألَّف فيهم قد كفاني مؤنة سيرتهم، ولكني سأعرج على سيرتهم الشخصية المتعلقة بذواتهم ﵃ مقتصرًا على ذكر ولادتهم، وأسمائهم، وأنسابهم، وألقابهم، وأولادهم، وزوجاتهم، ووفاتهم.



المطلب الأول
أبو بكر الصديق ﷺ

اسمه ونسبه ولقبه:

«هو عبد الله بن أبي قحافة، ولقبه: عتيق، لُقِّب بذلك لرقة حسنه، وإنما لُقِّب عتيقًا لكرم أمهاته، وكرمه، واسم أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم[(١)] بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، وأمُّه أمّ الخير، واسمها: سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، فصخر عم أبي قحافة عثمان، وسلمى ابنة عمه»[(٢)]. وقيل: اسمه عتيق»[(٣)]، ورجح النووي أن اسمه عبدالله[(٤)]، وهو الأقرب لحديث: «كان اسم أبي بكر عبدالله بن عثمان، فقال له النبي ﷺ: «**أنت عتيق الله من النار**»[(٥)]، وفي الإسلام لقَّبه الرسول ﷺ عتيقًا، والجمع ممكن بين القولين، فيُصَار إليه.

مولده:

لم يختلف العلماء في أنه وُلِدَ بعد عام الفيل، وإنما اختلفوا في المدَّة التي كانت بعد عام الفيل، فبعضهم قال: بثلاث سنين، وبعضهم ذكر بأنه وُلِد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر، وآخرون قالوا: بسنتين وأشهر، ولم يحدِّدوا الأشهر[(٦)].

---

(١) انظر: «فضائل الصحابة» (١/١٤٧/ح ١٢٧)، أحمد بن محمد بن حنبل. ق/ وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ.

(٢) انظر: «أنساب الأشراف»، للبلاذري (١٠/٥١، ٥٢) ق/ سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٧هـ.

(٣) انظر: «الكامل في التاريخ» (٢/٢٦٣)، علي بن أبي الكرم ابن الأثير، ق/ عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان ط: الأولى، ١٤١٧هـ.

(٤) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/١٨١)، محيي الدين يحيى النووي، ق/ إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط: بدون.

(٥) انظر: «صحيح ابن حبان» (كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ذكر السبب الذي من أجله سُمي أبو بكر عتيقًا*، (ح ٦٨٦٤ ج١٥ص٢٨٠).

(٦) انظر: «تاريخ الخلفاء» (ص٢٨)، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ق/ حمدي الدمرداش، الناشر: مكتبة نزار =

والأقرب -والله أعلم- ما ذكره ابن الأثير بقوله: «وكان مولدُهُ بمكَّة بعد الفيل بسنتين وأربعة أشهر إلا أيَّامًا»[١].

زوجاته وأولاده:

عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر ﷺ تزوج امرأةً من كلب يقال لها: أم بكر، فلما هاجر أبو بكر طلقها، فتزوجها ابن عمها[٢]، وتزوج أبو بكر في الجاهلية قتيلة ابنة عبد العُزَّى بن عبد بن أسعد، فولدت له عبد الله وأسماء، وتزوج أيضًا في الجاهلية أم رومان بنت عامر بن عميرة بن ذهل، فولدت له عبد الرحمن وعائشة، فكلُّ هؤلاء الأربعة من أولاده، وُلِدُوا من زوجتيه اللتين سميناهما في الجاهلية.

وتزوج في الإسلام أسماء بنت عُمَيس، وكانت قبله عند جعفر ابن أبي طالب، وهي أسماء بنت عميس بن معد بن تيم، فولدت له محمد بن أبي بكر، وتزوج أيضًا في الإسلام حبيبة بنت خارجة، وكانت نسأ حين توفي أبو بكر، فولدت له بعد وفاته جارية سُمِيت أم كلثوم[٣]، ولا يعرف لأبي بكر ﷺ أخ[٤].

وفاته:

توفي أبو بكر الصديق ﷺ في سنة ثلاث عشرة وسنُّهُ ثلاث وستون سنة[٥].



= مصطفى الباز، ط: الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ. و«فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب» (٢٨٥/١)، محمد نصر الدين محمد عويضة، ق/ بدون ط: بدون.

(١) انظر: «جامع الأصول في أحاديث الرسول» (١٢١/١٢)، مجد الدين ابن الأثير، ق/ بشير عيون، الناشر: مكتبة الحلواني، ط: دار الفكر، ط: الأولى.

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة) (ح٣٩٢١) (٦٥/٥).

(٣) بتصرف، انظر: «تاريخ الطبري» (٤٢٥/٣، ٤٢٦)، محمد بن جرير الطبري، دار التراث، بيروت، ط: الثانية – ١٣٨٧هـ.

(٤) انظر: «البدء والتاريخ» (٧٧/٥)، المطهر بن طاهر المقدسي، ق/ بدون مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد. ط بدون.

(٥) انظر: «الوفيات»، لابن قنفذ (٢٦/١)، أحمد بن حسن بابن قنفذ، ق/ عادل نويهض، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط: الرابعة، ١٤٠٣هـ.

المطلب الثاني
عمر بن الخطاب رضي الله عنه

اسمه ونسبه ولقبه:

«هو: عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن قرط بن رياح بن عبد الله بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وينسب «عمر» إلى: عدي، فيقال: العدوي»(١).

«وكنيته أبو حفص، وأمُّه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم»(٢)، «وكان يدعى الفاروق؛ لأنه أعلن بالإسلام، ونادى به والناس يخفونه، ففرق بين الحق والباطل»(٣)، ولحديث عبد الله بن عمرو قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أصبتم اسمه، عمر الفاروق رضي الله عنه قرن من حديد أصبتم اسمه، وعثمان بن عفان ذو النورين رضي الله عنه قتل مظلومًا، أوتي كفلين من الرحمة(٤).

مولده:

«وُلِدَ بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: وُلِدت بعد الفجار الأعظم(٥)

---

(١) انظر: «المعارف» (١٧٩/١)، عبد الله بن مسلم الدينوري، ق/ ثروت عكاشة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط: الثانية، ١٩٩٢م.

(٢) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (١٩٥/٤).

(٣) انظر: «المعارف» للدينوري (١٨٠/١).

(٤) **قال الألبَانيُّ:** "إسناده صحيح". انظر: كتاب «السنة» (٥٤٨/٢ح١١٥٣)، أبو بكر بن أبي عاصم، الناشر: المكتب الإسلامي، ق/ الألباني، ط: الأولى، ١٤٠٠هـ.

(٥) **وقعت حرب الفجار مرتين:**

١- الحرب الأولى، وكانت مدتها ثلاثة أيام، وكلها مناوشات بين رجلين من كلِّ قبيلة أو رجل وامرأة.

٢- حرب الفجار الثاني، وهو الأعظم، لما كان عمر الرسول ٢٠ سنة من مولده، وهي حرب كانت بين قريش وكنانة وبين هوازن، وسميت بالفجار لما انتهكت فيها هوازن حرمة الحرم، وكانت الكرَّة في هذه الحرب أولًا على قريش وكنانة، =

بأربع سنين»(١).

وقيل: وُلِدَ قبل حرب الفجار(٢)، ويرى الباحث أن الأقرب هو الأول، وحرب الفجار الأعظم كان بعد حلف الفضول بأربعة أشهرٍ حيث كان في شعبان، والحرب كانت في ذي القعدة نفس العام (٥٨٠ - ٥٩٠ م)(٣).

زوجاته وأولاده:

«وكان لعمر ﵁ من الولد عبد الله وعبد الرحمن وحفصة، وأمهم زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، وزيد الأكبر لا بقية له. ورقية وأمهما أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ﵁، وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

وزيد الأصغر وعبيد الله قُتِلَا يوم صفين مع معاوية ﵁، وأمهما أم كلثوم بنت جرول بن مالك بن المسيب بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو من خزاعة، وكان الإسلام فرق بين عمر وبين أم كلثوم بنت جرول.

= ثم كانت على هوازن، وانتصرت قريش. انظر: «المختصر في أخبار البشر» (١/١١٤)، «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (٢/٢٩٠)، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» (١/٥١)، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ٥٢.

(١) انظر: «أسد الغابة في معرفة الصحابة» (٤/١٣٧/٣٣٨٠)، عليّ بن أبي الكرم ابن الأثير، ق/ عليّ محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤١٥هـ.

(٢) انظر: «تاريخ خليفة بن خياط» (١/١٥٣)، خليفة بن خياط، ق/ أكرم ضياء العمري، الناشر: دار القلم، مؤسسة الرسالة - دمشق، بيروت ط: الثانية، ١٣٩٧هـ.

وانظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٤/١٩٧)، وكتاب: «دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب»، عبد السلام بن محسن آل عيسى، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى١٤٢٣هـ.

(٣) انظر: «محمد ﷺ» (١/٤٠).

وعاصم وأمه جميلة بنت ثابت بن أبي الأفلح واسمه قيس بن عصمة بن مالك بن أمة بن ضبيعة بن زيد من الأوس من الأنصار. وعبد الرحمن الأوسط وهو أبو المجبر وأمه لهية أم ولد، وعبد الرحمن الأصغر وأمه أم ولد، وفاطمة وأمها أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وزينب وهي أصغر ولد عمر وأمها فكيهة أم ولد، وعياض بن عمر وأمه عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل»[١].

وفاته:

تُوفِّي سنة ثلاثٍ وعشرينَ ﷺ عندما اغتاله المجوسي أبو لؤلؤة فيروز[٢].



(١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٢٠١/٣) محمد بن سعد المعروف بابن سعد، ق/ محمد عبد القادر عطا. الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٠هـ.

(٢) انظر: «البداية والنهاية» (١٧٢/١٠)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م. وانظر: «السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي» (ص٢٥٩)، عبد الشافي محمد عبد اللطيف، الناشر: دار السلام – القاهرة، ط: الأولى – ١٤٢٨هـ.

المطلب الثالث
عثمان بن عفان ﷺ

اسمه ونسبه ولقبه:

هو: «عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأمُّهُ: أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي. وأمها: أم حكم، وهي البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي»[١].

مولده:

«مولده قبل عام الفيل بستَّة أعوام، وقيل بعده بستة أعوام»[٢]، والأقرب والله أعلم القول الأخير[٣].

زوجاته وأولاده:

تزوج برقيَّة بنت رسول الله ﷺ فوُلِدَ له منها عبد الله، وبه كان يكنَّى، بعدما كان يكنى في الجاهلية بأبي عمرٍو، ثم لما توفيت تزوج بأختها أم كلثوم، ثم توفيت فتزوج بفاختة بنت غزوان بن جابر، فولد له منها عبيد الله الأصغر، وتزوج بأمِّ عمرو بنت جندب بن عمرو الأزدية، فولدت له عَمْرًا، وخالدًا، وأبانَ، وعمر، ومريم، وتزوج بفاطمة بنت الوليد بن عبد شمس المخزومية، فولدت له الوليد وسعيدًا. وتزوج أمَّ البنين بنت عيينة بن حصن الفزارية، فولدت له عبد الملك، ويقال: وعتبة، وتزوج رملة بنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/٣٩).

(٢) انظر: «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» (١/٩٣) يوسف بن تغري، ق/ بدون، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر. ط: بدون.

(٣) انظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» (٤/٣٧٧) رقم (٥٤٦٤)، أحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني، ق/ عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ط: الأولى – ١٤١٥هـ.

مناف بن قصي، فولدت له عائشة وأم أبان وأم عمرو، بنات عثمان، وتزوج نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن حصن بن ضمضم بن عديّ بن جيان بن كليب، فولدت له مريم، ويقال: وعنبسة[١].

وفاته:

«اضطربت الروايات في سنِّه عند استشهاده، والخلاف في ذلك قديم، حتى إن الطبري رحمه الله يقول: اختلف السلف قبلنا في قدر مدَّة حياته، والذي أميل إليه أنه تُوفِّي وسنه اثنتان وثمانون (٨٢ سنة)، وهو قول الجمهور،وهو ما يميل إليه الباحث.



(١) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (٧/٢١٨).

المطلب الرابع
علي بن أبي طالب رضي الله عنه

اسمه ونسبه ولقبه:

هو عليّ ابن أبي طالب واسمه: عبد مناف ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، أبو الحسن فهو ابن عم رسول الله ﷺ، ويلتقي معه في جده الأول عبد المطلب بن هاشم(١)، ولقبه أمير المؤمنين(٢).

مولده:

قبل البعثة بعشر سنين(٣).

زوجاته وأولاده:

«وُلِدَ له من فاطمة بنت رسول الله ﷺ: الحسن والحسين رضي الله عنهما... وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى، ووُلِدَ له من خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة، محمد الأكبر (محمد بن الحنفية)، ووُلِدَ له من ليلى بنت مسعود بن خالد من بني تميم: عبيد الله وأبو بكر، ووُلِدَ له من أم البنين بنت حزام بن خالد بن جعفر بن ربيعة: العباس الأكبر، وعثمان، وجعفر الأكبر، وعبد الله، ووُلِدَ له من أسماء بنت عميس الخثعمية: يحيى وعون، ووُلِدَ له من الصهباء: عمر الأكبر ورقية، ووُلِدَ له من أمامة بنت العاص بن الربيع: محمد الأوسط، ووُلِدَ له من أم

---

(١) انظر: «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» للذهبي (١٣٦/٣). «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٩١/٦).

(٢) انظر: «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (٤٣/٣٥)، يوسف بن عبد الرحمن المعروف بالمزي، ق/ بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٠هـ.

(٣) انظر: «تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية» (ص٤٢٧)، محمد سهيل طقوش، الناشر: دار النفائس، سنة النشر: ١٤٣٢ – ٢٠١١، عدد المجلدات: ١، رقم الطبعة: ٢.

سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي، أم الحسن، ورملة الكبرى، ووُلِدَ له من أمهات أولاد: محمد الأصغر، وأم هانئ وميمونة، وزينب الصغرى، ورملة الصغرى، وأم كلثوم الصغرى، وفاطمة، وأمامة، وخديجة، وأم الكرام، وأم سلمة، وأم جعفر، جمانة ونفيسة، ووُلِدَ له من محياة بنت امرئ القيس ابنة ماتت، وهي جارية [١].

وفاته:

قُتِلَ ﷺ في رمضان صبيحة إحدى وعشرين بالكوفة سنة أربعين[٢].



(١) انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (١٣٦/٣)، «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» للمزي (٤٣/٣٥).

(٢) انظر: «التاريخ الكبير»، محمد بن إسماعيل البخاري، ق/ بدون، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، ط: بدون.

المبحث الثالث
بعض من فتوحاتهم

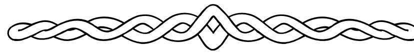
وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: فتوحات أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

المطلب الثاني: فتوحات عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

المطلب الثالث: فتوحات عثمان بن عفان رضي الله عنه.

المطلب الرابع: فتوحات عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه.



المطلب الأول
الفتوحات في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه

- جيش أسامة بن زيد[١]:

«أرسل الحق تعالى نبيَّه محمدًا ﷺ إلى العالم أجمع، وشاء الله أن تكون أمُّ القرى مركزَ إشعاع الدين الإسلامي إلى العالم أجمع.. فبعث النبي الكريم ﷺ الدعاة والبعوث إلى تلك المناطق، وأرسل رُسله لملك الفرس والروم يدعوهم إلى الدخول في هذا الدين العظيم، وكانت خطته ﷺ واضحة المعالم لهزِّ هيبة الروم في نفوس العرب، ومن ثَمَّ تنطلق جيوش المسلمين لفتح تلك الأراضي، فأرسل ﷺ في العامِّ الثامن للهجرة جيشًا، واشتبك مع نصارى العرب والروم في معركة مؤتة[٢]، واستشهد قادة الجيش على التوالي زيد بن حارثة رضي الله عنه[٣]، ثم جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه[٤]، ثم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه[١]، وتولى قيادة الجيش بعدهم خالد بن الوليد

(١) **هو أسامة بن زيد بن حارثة**، حِبُّ رسول الله ﷺ ومولاه، وابن مولاه، يقال له: أبو زيد. استعمله النبي ﷺ على جيش لغزو الشام، وفي الجيش عمر والكبار؛ فلم يسِرْ حتى توفي رسول الله ﷺ؛ فبادر الصديق ببعثهم، وفي آخر خلافة معاوية مات في المدينة سنة ٥٤هـ. انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (ص٣٩٨)، «سير أعلام النبلاء» (٤٩٦/٢)، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. «الأعلام» للزركلي (٢٩١/١).

(٢) بضم أوله، وإسكان ثانيه: موضع من أرض الشام. انظر: «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» (١١٧٢/٤)، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ)، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣هـ.

(٣) **هو زيد بن حارثة بن شراحيل**، (أو شرحبيل) الكلبي: صحابي، اختطف في الجاهلية صغيرًا، واشترته خديجة بنت خويلد، فوهبته إلى النبي حين تزوجها، فتبناه النبي قبل الإسلام وأعتقه، وزوجه بنت عمته، واستمرَّ الناس يسمونه زيد بن محمد حتى نزلت آية: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾، وهو من أقدم الصحابة إسلامًا مات سنة ٨هـ، «التاريخ الكبير» للبخاري (٣٧٩/٣)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (٥٤٢/٢)، يوسف بن عبد الله القرطبي، ق: عليّ محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت ط: الأولى، ١٤١٢هـ، «الأعلام» للزركلي (٥٧/٣).

(٤) **هو جعفر ابن أبي طالب**، واسم أبي طالب عبد مناف، كان جعفر أشبه الناس خُلقًا وخَلقًا برسول الله ﷺ، وكان جعفر من المهاجرين الأولين، هاجر إلى أرض الحبشة، وكان قدوم جعفر وأصحابه من أرض الحبشة في السنة السابعة =

ﷺ(٢)، فعاد بالجيش إلى المدينة النبوية.

فلمَّا توفي الرسول ﷺ قام أبو بكر ﷺ بتنفيذ جيش أسامة ﷺ عقب وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، حيث نادى منادي أبي بكر من الغد من متوفَّى رسول الله ﷺ: «ليتم بعث أسامة، ألَا لا يبقين بالمدينة أحد من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجرف»(٣)، وَعَارض بعض الصحابة أبا بكرٍ ﷺ في هذا، وكان من أشدهم عليه عمر وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما(٤)، وسالم مولى أبي حذيفة ﷺ(٥)، وقالوا له: احبس جيش أسامة بن زيد ﷺ، فيكون عمارة وأمانة بالمدينة، وأرفق بالعرب حتى ينفرج هذا الأمر، فإنَّ هذا الأمر شديد غوره(٦)، وتهتكه

= من الهجرة، شهد مؤتة، ومات فيها سنة ٨هـ. «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٤/٢٥)، «معجم الصحابة»، لابن قانع (١/١٥٢)، انظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للقرطبي (١/٢٤٢).

(١) **هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري،** أبو عمرو، أحد النقباء ليلة العقبة، شهد بدرًا والمشاهد، وكان شاعر النبي ﷺ، وأخا أبي الدرداء لأمه. مات في مؤتة سنة ٨هـ، انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/٣٩٨) «معجم الصحابة» لابن قانع (٢/١٢٨)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢/١٣٣، ١٣٤).

(٢) **هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي،** أبو سليمان. وقيل: أبو الوليد، أمه لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية، أخت ميمونة زوج النبي ﷺ، وكان خالد أحد أشراف قريش في الجاهلية، هاجر مسلمًا في صفر سنة ٨هـ، ثم سار غازيًا في معركة مؤتة، وشهد معارك كثيرة، ومات بحمص سنة ٢١هـ. انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٧/٢٧٦) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للقرطبي (٢/٤٢٧)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٣/٢٢٣).

(٣) هو بضم الجيم والراء، موضع بالمدينة، فيه أموال من أموالها، وبه كان مال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وهو على ثلاثة أميال من المدينة من جهة الشام. شمال المدينة. كتاب: «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى» (٤/٤٨)، علي بن عبد الله السمهودي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى – ١٤١٩هـ.

(٤) **هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال القرشي الفهري،** شهد بدرًا مع النبي ﷺ وما بعدها من المشاهد كلها، هاجر الهجرة الثانية إلى أرض الحبشة، وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، مات سنة ١٨هـ في طاعون عمواس. انظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للقرطبي (٤/١٧١٠، ١٧١١).

(٥) **هو سالم مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة القرشي،** يعرف به، ومولاته امرأة من الأنصار، قُتِل يوم اليمامة وذلك في عهد أبي بكر. انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/٦٣)، «التاريخ الكبير» للبخاري (٤/١٠٧)، «أسد الغابة» لابن الأثير (٢/٣٨٢).

(٦) الغين والواو والراء أصلان صحيحان: أحدهما خفوض في الشيء وانحطاط وتطامن، وهو قعر الشيء. انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٤/٤٠١).

من غير وجهه(١)، فأخذ الصديق ﷺ بلحية عمر ﷺ، وقال له: يابن الخطاب، أتأمرني أن أكون أول حال عقدًا عقده رسول الله ﷺ؟ والله، لأن أخرَّ من السماء إلى الأرض، فتخطفني الطير أحب إليَّ من أن أمالئكم على هذا الرأي، وقال لهم: والله، لو أفردت من جميعكم لقاتلتهم وحدي حتى تنفرد سالفتي(٢)»(٣).

كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ وفيه فقال: «والله، لأقاتلن مَنْ فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا(٤) كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها»(٥)، فقال عمر ﷺ: «فوالله، ما هو إلا أَنْ قد شرح الله صدر أبي بكر ﷺ، فعرفت أنه الحق»(٦).

لقد كان الفاروق ﷺ مع بعض من الصَّحابة الذين رأوا رأيه يرون من الرحمة بالناس والرفق بهم، فترك إمضاء جيش أسامة بن زيد ﷺ رحمةً بمَنْ حولهم؛ لئلَّا يجرؤ عليهم الأعداء المتربصون بهم الدوائر، لكن الصدِّيق ﷺ كان يرى رأيًا آخر، وهو تسيير الجيش الذي عقده الرسول ﷺ بيده الكريمة مهما كانت الظروف بادئ الرأي صعبة، خاصة مع توفر أسباب عدم الإمضاء من

(١) انظر: «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء» (٨٩/٢)، سليمان بن موسى الكلاعي الحميري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ط: الأولى، ١٤٢٠هـ.

(٢) «**السالفة**»: صفحة العنق، وهما سالفتان من جانبيه، وكنى بانفرادها عن الموت؛ لأنها لا تنفرد عما يليها إلا بالموت. وقيل: أراد حتى يفرق بين رأسي وجسدي. «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣٩٠/٢)، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٥.

(٣) انظر: «الروض الأنف في شرح السيرة النبوية» (٥٨٣/٧، ٥٨٤)، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٢هـ.

(٤) يقال لولد المعزى أول سنة: جدي، والأنثى عناق، وفي رواية: عقالًا، وهي في «صحيح مسلم»، كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس (ح ٣٢) (٥١/١)، انظر: «تفسير غريب ما في الصحيحين» (ص٣٥).

(٥) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، (ح١٤٠٠) (١٠٥/٢).

(٦) انظر: «صحيح مسلم»، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس (ح ٣٢) (٥١/١).

قرب وفاة الرسول ﷺ، وضعف إيمان البعض، وحديثي العهد، وتربص الأعداء عن بعد، فكل هذه الأسباب تدعو لرؤية عمر رضي الله عنه وغيره بعدم ترك المدينة والتحلق حولها، وحماية حوزتها، لكنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه خرج حتى أتاهم وأشخصهم وشيعهم، وهو ماشٍ وأسامة رضي الله عنه راكب، فقال له أسامة رضي الله عنه: يا خليفة رسول الله ﷺ، لتركبن أو لأنزلن! فقال: والله، لا نزلت، ولا أركب، وما عليَّ أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله[١].

وهذا الصحابي الرحيم بجنده يخرج يمشي معهم تواضعًا منه، وتفقدًا لحالهم كما سيأتي، وتوصية لهم مما سيواجههم في رحلتهم، وكان عددهم ثلاثة آلاف رجل، فيهم ألف فارس[٢]، ثم قال: يا أيها الناس، قفوا أوصكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا[٣]، ولا تغلوا[٤]، ولا تغدروا[٥]، ولا تمثلوا[٦]، ولا تقتلوا طفلًا صغيرًا، ولا شيخًا كبيرًا، ولا امرأةً، ولا تعقروا نخلًا[٧]، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرةً مثمرةً، ولا تذبحوا شاةً، ولا بقرةً، ولا بعيرًا إلا لمأكلةٍ، وسوف تمرون بأقوامٍ قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أ كلتم منها شيئًا بعد شيءٍ، فاذكروا اسم الله عليها، وتلقون أقوامًا قد فحصوا[٨] أوساط

(١) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (١٩٥/٢).

(٢) انظر: «مغازي الواقدي» (١١٢٢/٣)، قلت: قال محمد رضا في كتابه، «أبوبكر الصديق أول الخلفاء الراشدين»، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، سنة النشر: ١٣٦٩ – ١٩٥٠، عدد المجلدات: ١، رقم الطبعة: ٢. (٢٩/١): "ولم نعثر في المصادر على عدد جيش أسامة". قلت: ذكره الواقدي كما هو موضح أعلاه. انظر: نفس المصدر، محمد رضا، ق: الشيخ خليل شيحا، الناشر: دار الكتاب العربي، ١٤٢٤هـ.

(٣) «**الخيانة**»: أن يؤتمن الإنسان، فلا ينصح. انظر: «المخصص» (٢٨٦/١)، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: خليل إبراهم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

(٤) «**الغل**»: هو أن يخفي الشيء، فلا يرد للقسم من الغنيمة، كأن صاحبه قد غلَّه بين ثيابه. «مقاييس اللغة» لابن فارس (٣٧٦/٤).

(٥) «**الغدر**»: هو نقض العهد. انظر: «العين» للفراهيدي (٣٩٠/٤).

(٦) التمثيل في القتيل: هو جدعه وتشويهه. انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٢٩٦/٥).

(٧) «**عقر النخل**»: قطع رؤوسها فتيبس. «لسان العرب» لابن منظور (٥٩٣/٤)، فصل العين المهملة.

(٨) قال ابن منظور: الفحص شدة الطلب خلال كل شيء، وهو البحث، والأفحوص: مبيض القطا، ومعناه هنا: عملوها مثل أفاحيص القطا... وقد وردت رواية (لشيطان في رؤسهم مفاحص). انظر: «لسان العرب» لابن منظور =

رؤوسهم[١] وتركوا حولها مثل العصائب، فاخفقوهم[٢] بالسيف خفقًا، اندفعوا باسم الله، أفناكم الله بالطعن[٣] والطاعون[٤].

فساروا لا يمرون بحيٍّ من أحياء العرب إلا أُرعبوا منهم، وقالوا: ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة..[٥]، حتى بلغوا تخوم البلقاء من أرض الشام حيث قُتِلَ أبوه زيدٌ[٦] وجعفر ابن أبي طالب وعبد الله بن رواحة ﷺ، فأغار على تلك البلاد، وغنم وسبى، وكرَّ راجعًا سالمًا مؤيدًا[٧].

- **حروب الرِّدَّة:**

- **نشأتها:**

«لقد أتى الخطر الأكبر من شخصيتين ادعتا النبوة في حياة النبي:

= (٧/٦٣). قلت: وجدتها في كتاب «شرح مشكل الآثار» (١٥/ ٤٣٦)، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى - ١٤١٥هـ، ١٤٩٤م.

(١) هم الشمامسة الذين حلقوا رؤوسهم. انظر: «غريب الحديث»، للقاسم بن سلام (٢٣١/٣) مادة (فحص).

(٢) «**الخفق**»: الضرب، ومعناه: اضربوهم بالسيف، انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٢٠١/٢).

(٣) من حديث: «**فناء أمتي بالطعن والطاعون**»، صححه الألباني. الطعن: القتل بالرماح. والطاعون: المرض العام والوباء الذي يفسد له الهواء، فتفسد به الأمزجة والأبدان. أراد أن الغالب على فناء الأمة بالفتن التي تسفك فيها الدماء، وبالوباء، انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (١٢٧/٣). «صحيح الجامع الصغير وزياداته» للألباني (ح٤٢٣١) (٧٧٩/٢).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٢٢٦/٣، ٢٢٧)، «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (١٩٦/٢).

(٥) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (٤٢٢/٩).

(٦) **هو أبو أسامة مولى الرسول، زيد بن حارثة بن شراحيل**، تبنَّاه الرسول في مكة وهو ابن ٨ سنين، وشهد زيد بن حارثة بدرًا، وهو الذي كان البشير إلى المدينة بالظفر والنصر، وزوجه رسول الله ﷺ مولاته أم أيمن، فولدت له أسامة بن زيد، مات سنة ٨هـ في معركة مؤتة. انظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للقرطبي (٥٤٢/٢)، «أسد الغابة في معرفة الصحابة» لابن الأثير (٣٥٠/٢).

(٧) انظر: «السيرة النبوية» ابن كثير (٦١٦/٤)، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: ١٣٩٥هـ.

الأولى: هي المتنبئ عبهلة[١] بن كعب، ذو الخمار، المعروف بالأسود العنسي الذي نشر دعوته في اليمن، وهذا قتل قبل وفاة الرسول ﷺ وهو الأشهر والصحيح[٢]، ولذلك لا يكون حديثي عنه هنا.

والثانية: هي المتنبئ مسيلمة بن حبيب[٣]، المعروف بمسيلمة الكذاب الذي ادَّعى النبوة في بني حنيفة في اليمامة.

كما شكلت هاتان الشخصيتان في المركزين الخطيرين حركتين مختلفتين:

الحركة الأولى: هي حركة تأسيس تحالفات قبلية على غرار التحالف الإسلامي، وتقليده في الشكل من خلال ظهور المتنبئين.

الحركة الثانية: هي حركة الرِّدَّة الفعلية، أي: نكث القبائل لعهودها التي عقدوها مع النبي ﷺ في المدينة، وادعاؤهم أن هذه العقود قد انتهت بوفاته، فامتنعوا عن دفع الزكاة»[٤].

ولقد ذكر الواقدي[٥] في كتابه «الردة»: إن العرب عندما ارتدوا، كانوا على قسمين: فمنهم مَن ارتدَّ وادَّعى النبوة، ومنهم مَن ارتدَّ ومنع الزكاة»[٦].

---

(١) **هو عبهلة بن كعب بن عوف العنسي المذحجي**، ذو الخمار: متنبئ مشعوذ، من أهل اليمن، كان بطاشًا جبارًا، أسلم لما أسلمت اليمن، وارتدَّ في أيام النبي ﷺ، فكان أول مرتد في الإسلام، وادَّعى النبوة، وأرى قومه أعاجيب استهواهم بها، ظهر ١٠هـ، ومات بعدها بأربعة أشهر قبل وفاة الرسول. انظر: «الأعلام» للزركلي (١١١/٥).

(٢) لكن الرسل وصلت في خلافة أبي بكر في آخر شهر ربيع الأول عام ١١هـ/ شهر حزيران عام ٦٣٢م. المصدر نفسه (٥٩/١).

(٣) **مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي**، أبو ثمامة: متنبئ، من المعمرين، وفي الأمثال: «أكذب من مسيلمة»، وُلِدَ ونشأ باليمامة، في القرية المسماة اليوم بالجبيلة، بقرب (العيينة) بوادي حنيفة، في نجد، وتلقب في الجاهلية بالرحمن. وعرف برحمان اليمامة. مات١٢هـ. انظر: «الأعلام» للزركلي (٢٢٦/٧).

(٤) انظر: «تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية» لمحمد طقوش (٣٦/١).

(٥) **هو محمد بن عمر الواقدي**، مولى لبني أسلم، ثم بني سهم بطن من أسلم، ولي القضاء ببغداد للمأمون أربع سنين، وكان عالما بالمغازي والسيرة والفتوح، والأحكام واختلاف الناس، مات ببغداد لإحدى عشرة خلت من ذي الحجة سنة سبع ومائتين. انظر: «الطبقات الكبرى متمم التابعين» لابن سعد (٦٦/١)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٥٩/٨)، «الوفيات» ابن قنفذ (١٥٩/١).

(٦) انظر: «كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني» (٤٨/١)، المؤلف: محمد بن عمر بن

- **القضاء على رِدَّة طليحة الأسدي**[١]*:

«لم يكد نبأ وفاة النبي ﷺ ينتشر في بلاد العرب حتى اشتعلت الفتنة في كلِّ أنحاء الجزيرة العربية بأشكالٍ مختلفةٍ، ولأسباب متباينة، وبرزت ظاهرة التنبؤ كإحدى الانعكاسات للنجاح الإسلامي في الحجاز، وإن كان بعض المتنبئين قد أعلنوا دعوتهم في أواخر حياة النبي ﷺ»[٢]، فخرج أبو بكر ﷺ إلى ذي القَصَة[٣].. لعشر خلون من جمادى الأولى، واستخلف على المدينة سنان الضمري ﷺ[٤]، وابن مسعود ﷺ[٥] على أنقاب المدينة.. «فقال له المسلمون: ننشدك الله يا خليفة رسول الله ﷺ أن تعرض نفسك! فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام، ومقامك أشد على العدو، فابعث رجلًا، فإن أصيب أمرتَ آخر، وفي رواية: «فأمر رجلًا تأمنه وتثق به، وارجع إلى المدينة، فإنك تركتها تغلي بالنفاق»[٦]، فقال: لا والله، لا أفعل، ولأواسينكم

= واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، المحقق: يحيى الجبوري، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(١) **هو طليحة بن خويلد الأسدي**، من أسد خزيمة: متنبئ، شجاع، من الفصحاء، يقال له: (طليحة الكذاب)، كان من أشجع العرب، ارتدَّ طليحة، وادَّعى النبوة، وغزاه أبو بكر، وسيَّر إليه خالد بن الوليد، فانهزم طليحة إلى بزاخة (بأرض نجد)، ففرَّ إلى الشام، ثم أسلم بعد أن أسلمت أسد وغطفان كافة، ووفد على عمر، فبايعه في المدينة، وخرج إلى العراق، فحسن بلاؤه في الفتوحات، واستشهد بنهاوند سنة ٢١هـ. انظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للقرطبي (٧٧٣/٢)، «الوافي بالوفيات» (٢٨٤/١٦)، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢٩. «الأعلام» للزركلي (٢٣٠/٣).

* وقفت على خرائط الفتوحات في أطالس الداعية الإسلامي فضيلة الشيخ سامي عبدالله المغلوث، ومنعني الاقتباس من كتبه عبارته: «لا يسمح بنشر أيّ جزءٍ من هذا الأطلس أو إعادة طبعه أو خزنه في أيّ نظام للمراجع أو أيّ وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو تصويرية دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر».

(٢) انظر: كتاب: «الردة» للواقدي (٣٩/١).

(٣) بفتح القاف والصاد المهملة، هي على بريد (ستة أميال) من المدينة تلقاء نجد. انظر: «معجم البلدان» (٣٦٦/٤)، ياقوت بن عبد الله الحموي، الناشر: دار صادر، بيروت، ط: الثانية، ١٩٩٥م.

(٤) لم أجد مزيدًا عن قول من ترجم له، استخلفه أبو بكر على المدينة في حروب الردة. انظر: «الاستيعاب» للقرطبي (٦٥٩/٢)، «أسد الغابة» لابن الأثير (٣٠٩/٢)، «الوافي بالوفيات» للصفدي (٢٨١/١٥).

(٥) **هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي**، يكنى بأبي عبد الرحمن، أسلم قديمًا، وهاجر الهجرتين، وصاحب نعل الرسول، شهد بدرًا والحديبية، مات سنة ٣٢هـ في المدينة، ودفن بالبقيع. انظر: «الأعلام» للزركلي (٩٩٤/٣).

(٦) انظر: «تاريخ خليفة بن خياط» (ص١٠٢).

بنفسي، فخرج في تعبيته إلى ذي حُسَى[(١)].

- **معركة بزاخة**[(٢)]:

«عن أبي بكر ﷺ، قال لوفد بزاخة: تتبعون أذناب الإبل، حتى يُري الله خليفة نبيه ﷺ والمهاجرين أمرًا يعذرونكم به»[(٣)].

«وعن طارق بن شهاب[(٤)]، قال: قدم وفد بزاخة من أسد وغطفان على أبي بكر ﷺ يسألونه الصلح، فخيَّرهم أبو بكر ﷺ بين الحرب المجْلِيَةِ وَالسِّلْمِ المخْزِيَةِ، فقالوا له: هذه الحرب المجلية قد عرفناها، فما السلم المخزية؟ فقال: أن تنزع منكم الحَلْقة[(٥)] والكُراع[(٦)]، وتتركون أقوامًا تتبعون أذناب الإبل حتى يُري الله خليفة نبيه والمهاجرين أمرًا يعذرونكم به؛ لأنهم يرجعون مثل الأعراب في رعيهم للإبل[(٧)]، ونغنم ما أصبنا منكم، وتردون إلينا ما أصبتم منا،

(١) بضم الحاء والسين المهملة المفتوحة، وهو ماء يغور في الرمل، وإذا بحث عنه وجد. انظر: «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» (٦/١٦١)، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

(٢) اختلفوا في مكانه، فقالوا: إنها ماء لطيئ بأرض نجد. وقال أبو عمرو الشيباني: ماء لبني أسد. «معجم البلدان» لياقوت الحموي (١/٤٠٨). «المعالم الأثيرة في السنة والسيرة» (ص٤٧)، محمد بن محمد حسن شُرَّاب، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق- بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١١هـ.

(٣) «صحيح البخاري»، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، (ح٧٢٢١) (٩/٨١).

(٤) **هو طارق بن شهاب بن عبد شمس بن سلمة**، ورد أنه قال: رأيت النبي، وغزوت في خلافة أبي بكر، غزا في خلافة أبي بكر وعمر ٣٣ غزوة، مات سنة ٨٣هـ، انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٦/١٣١)، «الثقات» (٣/٢٠١)، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣. «رجال صحيح مسلم» (١/٣٣١).

(٥) «**الحَلْقة**»: بسكون اللام: هي السلاح أجمع أو الدروع خاصة. انظر: «سبل الهدى والرشاد» لمحمد الصالحي (٥/١٦٥).

(٦) «**الكراع**»: بضم الكاف: اسم لجماعة الخيل خاصة، المصدر نفسه (٥/١٦٥).

(٧) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (١٣/٢١٠)، أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، ق/ محمد فؤاد عبد الباقي، أشرف عليه: محب الدين الخطيب، تعليق الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله.

وتَدُون[١] قتلانا، ويكون قتلاكم في النار، فقام عمر، فقال: إنك رأيت رأيًا، وسنشير عليك، أما ما رأيت أن تنزع منهم الحلقة والكراع[٢]، فنِعْمَ ما رأيت، وأما ما ذكرت أن يتركوا أقوامًا يتبعون أذناب الإبل حتى يُري الله خليفة نبيه والمهاجرين أمرًا يعذرونهم عليه، فنِعْمَ ما رأيت، وأما ما ذكرت أن نغنم ما أصبنا منهم، ويردوا إلينا ما أصابوا منا، فنِعْمَ ما رأيت، وأما ما رأيت أن يَدُوا قتلانا ويكون قتلاهم في النار، فإن قتلانا قتلوا على أمر الله، أجورهم على الله، ليست لهم دياتٌ قال: فتابع القوم قول عمر ﵁»[٣].

- القضاء على رِدَّة مالك بن نويرة[٤]:

بعد قضاء الصحابي خالد بن الوليد ﵁ على ردة بني أسد، اتَّجه إلى ديار تميم، ولما علم مالك بن نويرة بقدوم المسلمين، طلب من قومه التفرق إلى دورهم؛ إذ لا قِبَلَ لهم، وكانوا في تنازع وانقسام المسلمين، فَدَخل المسلمون ديار تميم، وكان مما أوصاهم به أبو بكر ﵁: إذا

(١) «**الدية**»: هي مال أو عين تعطى أولياء المقتول، وأصله: أن القاتل كان إذا قتل قتيلًا جمع الدية من الإبل فعقلها بفناء أولياء المقتول. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٢٧٨/٣)، «طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية» (١٦٣/١)، عمر بن محمد النسفي، الناشر: المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد، ط: بدون طبعة.

(٢) وفائدة نزع الحلقة والكراع لأجل ألَّا يبقى لهم شوكة؛ فيأمن منهم الناس. «فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ٢١٠).

(٣) «الأموال» لابن زنجويه، كتاب العهود التي كتبها رسول الله ﷺ وأصحابه لأهل الصلح، (ح٧٤٠) (٢/ ٤٦٠)، وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى»، كتاب أهل البغي جماع أبواب الرعاة، باب من قال يُتبعون الدم، (ح١٦٧٦١) (٣١٨/٨)، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.. ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه»، كتاب السير، ما قالوا في الرجل يسلم ويرتد، (ح٣٢٧٣١) (٤٣٧/٦).

(٤) **هو مالك بن نُوَيرة بن جمرة بن شداد بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع التميمي**، يكنى أبا حنظلة، ويلقب الجفول، وهو شاعر شريف، أحد فرسان بن يربوع بن حنظلة ورجالهم المعدودين في الجاهلية، وكان من أرداف الملوك، وكان النبي ﷺ استعمله على صدقات قومه، فلمَّا بلغه وفاة رسول الله ﷺ، أمسك الصدقة وفرقها في قومه، وجفل إبل الصدقة، فسُمِّي الجفول. «معجم الشعراء» (٣٦٠/١)، لإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (المتوفى: ٣٨٤هـ)، بتصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، الناشر: مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م. «الأعلام» للزركلي (٢٦٧/٥).

نزلتم فأَذِّنوا وأقيموا، فإن أذن القوم وأقاموا فكفُّوا عنهم، وإلا فالحرب، وإن أجابوا إلى الإسلام فسائلوهم، فإن أقروا بالزكاة، فاقبلوا منهم، وإن أبوا فالحرب.

ولما أسروا مالك بن نويرة، ساءله وجادله خالد بن الوليد ﷺ، ولما تبيَّن له أنه مرتد عن دفع الزكاة، أَمَر بقتله فقتل، وهذا عمل بوصية الصديق ﷺ، وقد تزوج خالد ﷺ زوجة مالك بعد انقضاء عدَّتها.

وقد لُفِّقت روايات في كتب التأريخ والأدب تشير إلى أن خالدًا قتل مالكًا وهو على الإسلام، أو أن قتل مالك كان عن سوء فهم لقول خالد ﷺ: أدفئوا أسراكم[١]، وهي في لغة القوم تعني القتل، فقتلوا ولم يقصد خالد ذلك.

وقد كره أبو بكرٍ ﷺ زواج خالد ﷺ، وكانت العرب تكره الزواج في الحروب[٢].

- **القضاء على رِدَّة مسيلمة الكذاب:**

«كان خالد بن الوليد ﷺ يحارب المرتدين في اليمامة من أتباع مسيلمة، واليمامة موطن بني حنيفة في وسط شبه جزيرة العرب»[٣]، «والتقى المسلمون وبنو حنيفة، واقتتلوا قتالًا شديدًا لم يكن في الإسلام يومٌ أشد منه حتى كسر بنو حنيفة جفون سيوفهم، وقُتِلَ من المسلمين ألفان ومائتان»[٤]، وأدرك خالد ﷺ أن الحالة لا تهدأ إلا إذا قُتِلَ مسيلمة، فحمل

(١) وكانت في لغة كنانة إذا قالوا: دثروا الرجل فأدفئوه، دفئه قتله، وفي لغة غيرهم: أدفه فاقتله، فظن القوم -وهي في لغتهم القتل- أنه أراد القتل، فقتلوهم، فقتل ضرار بن الأزور مالكًا، وسمع خالد الواعية، فخرج وقد فرغوا منهم، فقال: إذا أراد الله أمرًا أصابه. «تاريخ الطبري» للطبري (٢٧٨/٣)، قلت: ولذلك لما اعتذر خالد عند أبي بكر، قبل عذره، وجعله متأولًا.

(٢) انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي (٧٨/٤)، «عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين» (٤٠٦/١، ٤٠٧)، أكرم بن ضياء العمري، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م. «تاريخ الطبري» للطبري (٢٧٨/٣).

(٣) انظر: «أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين» (ص٤٥)، محمد رضا، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، سنة النشر: ١٣٦٩ - ١٩٥٠، عدد المجلدات: ١، رقم الطبعة: ٢.

(٤) انظر: «البدء والتاريخ» للمقدسي (١٦٢/٥).

عليهم ودعا إلى البراز فلم يبرز إليه أحد إلا قتله، وحمل على مسيلمة ففرَّ وفرَّ أصحابه، وصاح خالد ﷺ في الناس، فهجموا عليهم، فكانت الهزيمة، ونادى المحكم بن الطفيل وهو أحد قواد بني حنيفة المشهورين: يا بني حنيفة، الحديقةَ الحديقةَ، ثم رماه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ﷺ بسهم، فوضعه في نحره فقتله، وكان ممن دخل الحديقة مسيلمة، وقال البراء بن مالك ﷺ: يا معشر المسلمين، ألقوني عليهم في الحديقة، فتردد المسلمون خوفًا عليه، ثم احتملوه فألقوه، فلما أشرف على الحديقة من الجدار، اقتحم فقاتلهم عن باب الحديقة التي كانت مغلقةً حتى فتحها للمسلمين(١).

ولما أصبحوا، نادى خالد بن الوليد ﷺ مجاعة بن مرارة، وكان قد استبقاه فلم يقتله، فقال له: ما تقولون؟ قالوا: نقول: منا نبي ومنكم نبي، فعرضهم على السيف(٢).

وقد وصف إحسان صدقي في كتابه «حركة مسيلمة» قائلًا: «... تظل مع ذلك حركة مصطنعة ضحلة الفكر والعقيدة، وبخاصة إذا ما قُورنَت بالإسلام، وسُمُو مبادئه، وشمول عقيدته وشريعته التي تخطت كثيرًا القبلية والإقليمية والقومية، وجاوزتها إلى الإنسانية العالمية، وبذلك هزمت تلك الحركة وأمثالها بالفكر والعقيدة قبل أن تهزم في ميادين الجهاد والاستشهاد، فكانت أقرب ما تكون بذلك إلى حركة ردّ فعل متسرع ومفتعل ضد حركة إسلامية صادقة وأصيلة»(٣).

فتوح العراق:

«بعدما خَلُص أبو بكر ﷺ من حرب أهل الرِّدَّة، وكان قد نشر جيشه في كلِّ بقعةٍ من الجزيرة العربية، وصلت وُفُودُه إلى حدود العراق مواصلًا جهاده في حرب المرتدين، فكتب إلى خالد ﷺ أن سِرْ إلى العراق حتى تدخلها، وابدأ بفرج الهند، وهي الأُبُلَّة(٤)، وتألف أهل

(١) انظر: «أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين» لمحمد رضا (ص٤٧).

(٢) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣/٢٨٨).

(٣) انظر: «حركة مسيلمة الحنفي»، إحسان صدقي، «حوليات الحولية العاشرة» جامعة الكويت، كلية الآداب ط: ١٤٠٩هـ.

(٤) «**الأبلة**»: بضم الهمزة والباء واللام المشددة، مدينة بالعراق بينها وبين البصرة اثنا عشر ميلًا. انظر: «الروض المعطار =

فارس، ومَنْ كان في ملكهم من الأمم»(١).

- معركة ذات السلاسل:

سار خالد ﷺ إلى الأُبلة في شهر محرم ١٢هـ، وعندما اقترب من مشارفها، كتب إلى حاكمها هرمز يدعوه إلى إحدى الخصال الثلاث: الإسلام أو الجزية، فإن رفض فالحرب، فَخَرج هرمز، ودعا خالدًا ﷺ إلى البراز، وأسرَّ في أُذُن أصحابه على الغدر بخالد ﷺ(٢)، وكان مشهورًا بالخبث والسوء حتى ضُرِبَ المثل بخبثه، فعمل مكيدةً لخالد ﷺ، وذلك أنه اتفق مع حاميته على أن يبارز خالدًا ﷺ، ثم يغدروا به، ويهجموا عليه، فبرز بين الصفين، ودعا خالدًا ﷺ إلى المبارزة، فبرز إليه، والتقيا فاختلفا ضربتين، واحتضنه خالد ﷺ، فحملت حامية هرمز على خالد ﷺ، وأحدقوا به، فما شَغَله ذلك عن قتل هرمز، وما أن لمح ذلك البطل المغوار القعقاع بن عمرو(٣) مكيدتهم في خالد ﷺ حتى حمل بجماعةٍ من الفرسان على حامية هرمز، وكان خالد ﷺ يجالدهم فأناموهم.. فبرز إليه خالد ﷺ، ومشى نحوه راجلًا، ونزل هرمز أيضًا، وتضاربا، فاحتضنه خالد، وحمل أصحاب هرمز، فما شغله ذلك عن قتله، وانهزم الفرس بعد أن قتل منهم عددًا عظيمًا، وسُمِّيت الموقعة «ذات السلاسل»؛ لأن فريقًا من جند الفرس قد قرنهم هرمز بسلاسل(٤)، وغنم المسلمون من الفرس حمل ألف بعير، وبعث خالد ﷺ سرايا تفتح ما

= في خبر الأقطار» (ص٨)، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (المتوفى: ٩٠٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع في مطابع دار السراج، الطبعة: الثانية، ١٩٨٠م.

(١) «تاريخ الطبري» للطبري (٣/٣٤٣).

(٢) انظر: «تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية» لمحمد طقوش (ص١٣٢).

(٣) **القعقاع بن عمرو التميمي**، روي عنه أنه قال: شهدت وفاة النبي، وللقعقاع أثر عظيم في قتال النفوس في القادسية، وغيرها، وكان من أشجع الناس، وأعظمهم بلاءً، وشهد مع عليٍّ الجمل وغيرها من حروبه، وسكن الكوفة، وهو الذي قال فيه أبو بكر الصديق ﷺ: صوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل. انظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للقرطبي (٢/٧٨٤)، «أسد الغابة» لابن الأثير (٤/٣٩٠) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٨٩).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣/٣٤٤)، للاستزادة انظر: «أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين» لمحمد رضا (١/٦٣، ٦٤). «عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين» لأكرم العمري (ص٣٥٣).

حول الحيرة من حصون، فغنموا أموالًا كثيرةً، ولم يعرض خالد ﷺ لمنْ لم يقاتلوه من الفلاحين، بل أحسن معاملتهم كما أوصاه الصديق ﷺ.

- معركة المذار(١):

وقعت في شهر صفر ١٢هـ حيث كان هرمز قد كتب إلى كسرى بكتاب خالد ﷺ، فأمده كسرى بجيش بقيادة قارن بن قريانس، ولكن هرمز استخفَّ بجيش المسلمين، فسارع إليهم قبل وصول قارن، فنكب(٢) ونكب جيشه، وهرب فلول المنهزمين فالتقوا بجيش قارن، وتذامروا فيما بينهم وتشجعوا على قتال المسلمين، وعَسْكروا بمكانٍ يُسمَّى المذار، وكان خالد ﷺ قَدْ بعث المثنى بن حارثة، وأخَاه المعنى بن حارثة في آثار القوم، ففتحا بعض الحصون، وعَلِمَا بمجيء جيش الفرس، فأبلغا خالدًا ﷺ الخبر، وكتب خالد ﷺ إلى أبي بكر ﷺ بمسيره إليه، وسار وهو مستعدٌّ للقتال حتى لا يفاجأ بهم، والتقى المسلمون معهم في المذار، فاقتتلوا أشد قتالٍ مما كان في «ذات السلاسل»، وأسفرت عن انتصار المسلمين، وقُتِلَ من الفرس زُهَاء ثلاثين ألفًا كان من بينهم قائدان مشهوران، هما: أنوشجان وقباذ، ولجأ من نجا إلى السفن ليعبروا، فغرق بعضهم، وحال الماء دون مطاردة المسلمين لهم لافتقارهم إلى السفن(٣)، وأقر خالد ﷺ الفلاحين بمقابل الجزية(٤).

- معركة الولجة(٥):

وقعت في شهر صفر سنة ١٢هـ، وهي أنه لما وقع الخبر بأردشير بمصاب قارن وأهل المذار،

---

(١) «**المذار**»: بفتح أوله، وبالراء المهملة في آخره: أرض بقرب الكوفة. قال الثوري: «سميت بذلك لفساد تربتها. والمذر الفساد في الرائحة. انظر: «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» لأبي عبيد البكري (١٢٠٣/٤).

(٢) «**نكب عن الطريق**»: مال عنه وعدل. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» لأحمد مختار (٢٢٧٧/٣).

(٣) انظر: «تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية» لمحمد طقوش (ص١٣٤).

(٤) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (٥١٧/٩).

(٥) «**الولجة**»: مكان بأرض كسكر موضع مما يلي البر، واقع فيه خالد بن الوليد جيش الفرس فهزمهم. «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٣٨٣/٥).

أرسل الأندرزغر وكان فارسيًّا من مولدي السواد.. ولم يكن ممن ولد في المدائن[١]، ولا نشأ بها وأرسل بهمن جاذويه في أثره في جيشٍ، وأمره أن يعبر طريق الأندرزغر، وكان الأندرزغر قبل ذلك على فرج خراسان[٢]، فخرج الأندرزغر سائرًا من المدائن حتى أتى كسكر، ثم جازها إلى الولجة، وخرج بهمن جاذويه في أثره[٣].

- معركة أُلَّيْس[٤] وفتح أمغيشيا[٥]:

جرت هذه المعركة في ٢٥ صفر سنة ١٢هـ، وهي أنه لما أصاب خالد ﷺ يوم الولجة مَنْ أصاب من بكر بن وائل من نصاراهم الذين أعانوا أهل فارس، غضب لهم نصارى قومهم، فكاتبوا الأعاجم وكاتبتهم الأعاجم، فاجتمعوا إلى (أليس)، وعليهم عبد الأسود العجلي[٦][٧]، وكان قد قتل له ابن بالأمس، فكاتبوا الأعاجم، فأرسل إليهم أردشير جيشًا، وأمر بهمن جاذويه بالتوجه إلى أليس لمساعدة مَن اجتمع فيها من الفرس والعرب، وأمده بقوةٍ إضافيةٍ بقيادة جابان[٨].

وبالفعل التحم الجيشان في رحى معركة ضارية، انتهت بانتصار المسلمين، وتكبدت قوى

(١) «**المدائن**»: المدائن تحت بغداد من الجنوب، وكانت المدينة الكبرى التي كان بها إيوان كسرى في شرقي دجلة. انظر: «المسالك والممالك» (ص١١٩)، الحسن بن محمد المهلبي العزيزي، ق/ تيسير خلف. ط: بدون.

(٢) «**خراسان**»: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق، أزاذوار قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٢/٣٥٠).

(٣) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣/٣٥٣).

(٤) هي قرية من قرى الأنبار. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (١/٢٤٨).

(٥) «**أمغيشيا**»: بفتح أوله ويضم، وسكون ثانيه، والغين معجمة مكسورة، وياء ساكنة، والشين معجمة، وياء وألف: موضع كان بالعراق، وكانت ألّيس من مسالحها، وكانت قرية كالمصر. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (١/٢٥٤)، «مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع» (١/١١٨)، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين (المتوفى: ٧٣٩هـ)، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ، عدد الأجزاء:٣.

(٦) لم أجد له ترجمة.

(٧) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣/٣٥٥).

(٨) انظر: «تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية» لمحمد طقوش (ص١٣٦).

التحالف سبعين ألف قتيل(١)، ففروا مهزومين، وعندما فرغ خالد ﵁ من أليس، سار إلى أمغيشيا، وكانت مصر كالحيرة، فغزا أهلها وأعجلهم أن ينقلوا أموالهم، فغنم جميع ما فيها، وقد جلا أهلها وتفرقوا في السواد وبلغ سهم الفارس ١٥٠٠ سوى الذي نقله أهل البلاء وأرسل إلى أبي بكرٍ ﵁ بالفتح، ومبلغ الغنائم، فلما بلغ ذلك أبا بكر ﵁ قال: أعجزت النساء أن يلدن مثل خالد ﵁(٢).

- معركة الفراض(٣):

وقعت في ١٥ ذي القعدة من السنة ١٢هـ، انطلق خالد ﵁ قاصدًا الفراض مُؤَمِّنًا مؤخرة جيشه من خلفه، فلما سمعت به الروم، حميت واغتاظت، واستعانوا بمن يليهم من مشايخ أهل فارس، واستمدوا من العرب تغلبًا وإيادًا والنمرَ، فأمدوهم، ثم ناهدوا خالدًا ﵁ حتى إذا صار الفراض بينهم، قَالُوا: إما أن تعبروا إلينا، وإما أن نعبر إليكم، قال خالد ﵁: بل اعبروا إلينا، قالوا: فتنحوا حتى نعبر، فقال خالد ﵁: لا نفعل، ولكن اعبروا أسفل منا، فقالت الروم وفارس بعضهم لبعضٍ: احتسبوا ملككم، هذا رجل يقاتل عن دينٍ، وله عقلٌ وعلمٌ، والله لينصرن ولنخذلن، فعبروا، فقالت الروم: امتازوا حتى نعرف الحسن والقبيح من أيِّنا يجيء، ففعلوا فقاتلوا قتالًا طويلًا، ثم هزمهم الله، فقتل منهم مائة ألف(٤).

فتوح الشام:

- مسيرة خالد بن الوليد ﵁ من العراق إلى الشام:

خرج خالد ﵁ من الحيرة في ٨ صفر ١٣هـ، وأرسل رسالةً عامَّة إلى المسلمين في بلاد الشام يخبرهم بأمر الخليفة بنجدتهم، ورسالة خاصَّة إلى أبي عبيدة ﵁ يخبره بأمر الخليفة تعيينه

---

(١) انظر: «تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية» لمحمد طقوش (ص١٣٦).

(٢) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣/٣٥٩)، «أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين» لمحمد رضا (ص٦٧).

(٣) «**الفراض**»: موضع يفصل بين العراق والشام والجزيرة. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٤/٢٤٤).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣/٣٨٣)، «المنتظم في تاريخ الأمم والملوك» لابن الجوزي (٤/١١١٠)، «البداية والنهاية» لابن كثير (٩/٥٣٤).

قائدًا عامًّا لجيوش المسلمين في هذه البلاد، وكان أبو عبيدة ﷺ في الجابية[١] حين أتاه عمرو بن الطفيل[٢] مبعوث خالد ﷺ بالرسالتين، فقرأ على المسلمين الرسالة الأولى، واحتفظ لنفسه بالرسالة الثانية، وعلق عليها قائلًا: «بارك الله خليفة رسول الله فيما رأى، وحيَّا خالدًا بالسلام»[٣].

قطع خالد ﷺ مع قواته الصحراء بمعاونة دليله رافع بن عميرة الطائي[٤]، فكان يسري في الليل مهتديًا بكوكب الصبح، ويرتاح في النهار، ولأجل تأمين الماء للجيش قام خالد بتخصيص عددٍ من الإبل، فمنع منها الماء أيامًا، ثم أوردها إياه حتى ملئت أجوافها عللًا بعد نهلٍ، ثم قطع مشافرها[٥]؛ لئلا تجتر[٦]، وأخذ كل جندي معه معدات المياه المنفردة، فكان كلَّما نزل مكانًا للراحة، ينحر عشرًا من تلك الإبل، ثم يُطعمون من لحمها، ويشربون ما على الخيول من

(١) موضع بالشام، وهو جابية الملوك، وباب الجابية بدمشق. «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» لأبي عبيد البكري (٣٥٥/٢).

(٢) **هو عمرو بن الطفيل بن عمرو بن طريف الدوسي**، أسلم بعد أبيه، شهد اليمامة، وقطعت يده، مات في معركة اليرموك. انظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للقرطبي (١١٨٤/٣)، «تاريخ دمشق» (١٣/٢٥)، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م. «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٥٣٦/٤).

(٣) انظر: «فتوح الشام» (ص٦٢)، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

(٤) **هو رافع بن عمير بن جابر بن حارثة الطائي**، لقبه دعموص الرمل من أهل الكوفة، شهد ذات السلاسل، مات ٢٣هـ قبل عمر بن الخطاب. «تاريخ ابن عساكر» (١١/١٨)، «أسد الغابة» لابن الأثير (٢٤١/٢)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٣٦٨/٢).

(٥) «**مشفر البعير**»: هي كالشفة للإنسان. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٣٣٤/٤)، ويجوز فعله عند الاضطرار، والقاعدة تقول: «يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام». انظر: «شرح القواعد الفقهية» (ص١٩٧)، أحمد بن الشيخ محمد الزرقا، ق/ مصطفى أحمد الزرقا. الناشر: دار القلم – دمشق، ط:١٤٠٩هـ.

(٦) «**الاجترار**»: هو إخراج ما في الجوف، والاستفادة منه. انظر: «معجم ديوان الأدب» (٢٣٨/٢)، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: ٣٥٠هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

القرب، ويوردون الخيول ما في أجواف الإبل حتى بقي عليهم ليلة لكي يصلوا مكانهم، فسألوا رافع بن عمير، فدلهم على شجرة أراك، فأمرهم أن يحفروا تحتها، فوجدوا الماء وشربوا وأوردوا دوابَّهم حتى رويت، ووصل إلى مبتغاهم، وفتحوا ديارًا كثيرةً صلحًا(١).

- معركة أجنادين(٢):

وقعت في جمادى الأولى سنة ١٣هـ لما وصل خالد ﷺ إلى الشام بعد فتح بصرى، التقى مع أبي عبيدة وشرحبيل ويزيد ﷺ، ودرس معهم الموقف العسكري، واطَّلع عليه كما اطلع على موقف عمرو بن العاص ﷺ الذي كان ينسحب نحو نهر الأردن؛ لكي يلتقي بجيوش المسلمين إلا أنه كان يعلم أن ليس من مصلحته الاشتباك معهم؛ لأن جيشه قليل بالنسبة لجيش الروم، وبعد أن درس خالد ﷺ الموقف العسكري، قرَّر أن يُسرع وينضم إلى جيش عمرو ﷺ، ويخوض معركة فاصلة تقضي على قوة الروم، وبالوقت نفسه يصون خط رجعته، ويحمي جناحه الأيسر منهم، بعد ذلك أصدر خالد ﷺ أمره لعمرٍو ﷺ يأمره أن ينسحب بجيشه عن الاصطدام بجيش الروم حتى يصل خالد ﷺ فيقوم بمساعدته عليهم، فَرَجَع عمرٌو ﷺ إلى أجنادين، ووصلت قوات خالد ﷺ، فأصبح الجيش ثلاثين ألف مقاتل ضد سبعين ألف مقاتل من الروم، فلمَّا اصطدمت قوات عمرو ﷺ بقوات الروم، انقضَّ خالد ﷺ بقواته، وجرت معركة عنيفة حققت نصرًا للإسلام والمسلمين سطَّرت أولى المعارك الكبيرة في الشام ضد الروم، جعلت قيصر الروم هرقل يشعر بمد الكارثة(٣).

- معركة اليرموك:

وقعت في أواخر جمادى الآخرة سنة ١٣هـ، بعد أن عادت الجيوش الإسلامية رافعةً راية النصر من وقعة أجنادين، واجتمعت جيوش المسلمين في اليرموك، وتحرَّكت جيوش الروم بقيادة

(١) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٢٣/١)، «تاريخ الطبري» للطبري (٥٨٠/١١)، «البداية والنهاية» لابن كثير (٤٧٧/٤).

(٢) «**أجنادين**»: موضع من بلاد الأردن بالشام. «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» لأبي عبيد البكري (١١٤/١).

(٣) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٢٢/١)، «تاريخ الطبري» للطبري (٤١٥/٣).

ماهان، ونزلت في مكانٍ واسعٍ ضيق المهرب جاءت حشود الروم حتى نزلوا الواقوصة[١]، وكان عَددُهُم مائتين وأربعين ألفًا، وكان قَائدُهُم ماهان، وأما عدد المسلمين فكان خمسةً وأربعين ألفًا بقيادة خالد بن الوليد ﵁، فلما وصل المسلمون اليرموك، قال عمرو بن العاص ﵁: «أبشروا أيها الناس، فقد حصرت الروم، وقلَّما جاء محصور بخير»[٢].

وقسم خالد ﵁ جيشه إلى كراديس[٣]، وهم ألف مقاتل تحت قائد واحد، وأمير نائب له، فأصبح عدد الكراديس من عشرة إلى عشرين، وقسم جيشه إلى أربعين كردوسًا: القلب، وفيها ثمانية عشر كردوسًا بقيادة أبي عبيدة ومعه عكرمة، والقعقاع بن عمرو ﵄، وميمنة وفيها عشرة كراديس بقيادة عمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن حسنة، وميسرة وفيها عشرة كراديس بقيادة يزيد بن أبي سفيان، وفرقة استطلاع وفيها الخيالة والحفاظ على عدم المشاركة إلا وقت الأمر العسكري، وفرقة المؤخرة وفيها خمسة كراديس مؤلفة من خمسة آلاف مقاتل بقيادة سعيد بن يزيد، ومهمتها قيادة الظعن (الأمور الإدارية)، وكان القاضي أبو الدرداء ﵁، وعلى الأقباض[٤] عبد الله بن مسعود ﵁[٥] ومهمته تأمين الأمور الإدارية والإعاشة وجمع الغنائم، والقارئ المقداد بن الأسود ﵁[٦] وكان يدور على الناس، ويقرأ سورة الأنفال وآيات الجهاد

---

(١) «**الواقوصة**»: وادي في الشام في أرض حوران. «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٥/٣٥٤).

(٢) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣/٣٩٣)، «البداية والنهاية» لابن كثير (٩/٥٥١).

(٣) «**الكردوس**»: هي الخيل العظيمة. وقيل: القطعة من الخيل العظيمة. ويقال: كردس القائد خيله، أي: جَعَلها كتيبة كتيبة. انظر: «العين» للفراهيدي (٥/٤٢٦)، «لسان العرب» لابن منظور، فصل الكاف (٦/١٩٥).

(٤) «**الأقباض**»: هي ما جرت العادة بنقله من غير كيلٍ ولا وزنٍ، كالمتاع والنحاس ونحوها، فقبضُه بنقله إلى مكانٍ لا يختص ببائعه. «الفوائد الجسام على قواعد ابن عبد السلام» (ص٤٠٨)، عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني، العسقلاني الأصل، ثم البلقيني المصري الشافعيّ، أبو حفص، سراج الدين (المتوفى: ٨٠٥ هـ)، المحقق: د. محمد يحيى بلال منيار، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

(٥) **هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي**، أبو عبد الرحمن، أسلم قديمًا قبل عمر بن الخطاب، وهاجر الهجرتين، شهد بدرًا والمشاهد كلها، مات ٣٢هـ. انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/١١٢) «تاريخ ابن عساكر» (٣٣/١٩٢)، «أسد الغابة» لابن الأثير (٣/٣٨١).

(٦) **هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة**، حالف في الجاهلية الأسود بن عبد يغوث، فتبناه، فأصبح المقداد بن الأسود، أسلم قديمًا، وهاجر المرة الثانية، آخى الرسول فيما بينه وبين جبار بن صخر، مات سنة ٣٦، وصلى عليه عثمان. «الطبقات الكبرى» =

لرفع المعنويات، وخطيب الجيش أبو سفيان بن حرب ﵁[(١)] وهو يطوف على الصفوف يحثُّ الجند على القتال، والصحابي الجليل خالد بن الوليد ﵁ في الوسط، وحوله كبار الصحابة، وأعد الجيش الإسلامي بقيادة خالد بن الوليد ﵁ في الوسط لكل شيءٍ عدَّته، وأخذ كل قائدٍ من القواد يمرُّ على جنده ويحثهم على الجهاد، وكان لكلِّ قائدٍ موعظة تذكر جنوده بفضل الجهاد، وعدم تولية الأدبار، وعدم الجزع والخوف، ذكرها كثير من المؤرخين..

وجاءت الروم كأنها غمامة سوداء بخيلها ورجلها رافعة الصلبان، تالية آيات الرهبان، يُسْمع لهم أصوات كأصوات نواقيسهم متكبرة متغطرسة، فنزلت الواقوصة، وصار الوادي خندقًا عليهم، وتعبأ الروم باستخدام أسلوب الكراديس في خطين، كل خمسة في دائرة يفصل بينهما وبين الخمسة الأخرى فاصل، ثم يأتي الخط الثاني وراء فرجات الخط الأول، وجعلوا خطتهم كالتالي:

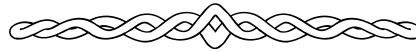
الرُّماة في المقدمة، وعليهم جرجة، والخيالة في الأجنحة، وعليهم ماهان والدارقص، والكراديس مشاة عليهم الاقتحام، وحصلت مفاوضات قبل القتال... وحملت ميسرة الروم على ميمنة المسلمين، وكذلك العكس، وحمل خالد ﵁ بمَنْ معه على الميسرة، فأزالوهم إلى القلب، وقال خالد ﵁: لم يبقَ من الجلد والصبر عندهم إلا ما رأيتم، ثم قامت ميمنة المسلمين بإغلاق المنافذ والثغرات في وجوه الروم، وحوصروا بين وادي اليرموك ونهر شرقي الأردن، ودارت رحى المعركة، وأبلى المسلمون بها بلاءً حسنًا، واستطاع المسلمون أن يفصلوا فرسان الروم عن مُشَاتهم، فحملوا على الروم، وركبوا أكتافهم حتى أرهقوهم، وبذلك أراد فرسان الروم مخرجًا لهم للفرار منه، وبذلك أمر خالد ﵁ عمرو بن العاص ﵁ بفسح المجال لهم في طريق الهرب، وفعل ذلك، وَهَرَب فرسان الروم، وبذلك تحرك مشاة الروم دون غطاء من

= لابن سعد (١١٩/٣)، «معجم الصحابة» للبغوي (٢٩٣/٥)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٣٨٥/١).

(١) **هو أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس،** ولده معاوية بن أبي سفيان، أسلم عام الفتح، شهد حنينًا، واسم أبي سفيان صخر، مات سنة ٣١هـ. «الطبقات الكبرى» لابن سعد (ص٦٦)، «مشاهير علماء الأمصار» (ص٥٨)، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق علي إبراهيم، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة، الطبعة: الأولى ١٤١١هـ – ١٩٩١م. «تاريخ ابن عساكر» (٤٣٥/٢٣).

خيالتهم، فجاء المشاة إلى الخنادق وهم مقيدون بالسلاسل حتى صاروا كأنهم حائط وقد هدم، وجاءهم المسلمون إلى خندقهم في ظلام الليل، وأخذ معظمهم ينهار بالوادي، فإذا منهم شخصٌ قتل، سقط معه الجميع الذين كانوا مقيدين معه، وقتل منهم المسلمون في هذه المرحلة خلقًا كثيرًا قُدِّر عددهم بمائة وعشرين ألفًا، وكان عدد شهداء المسلمين ثلاثة آلاف بينهم من صحابة النبي ﷺ وشيوخ المسلمين، وفرح المسلمون بهذا النصر العظيم، لكن عكر ذلك الفرح وصول خبر وفاة الصديق ﷺ؛ حيث حزنوا عليه حزنًا شديدًا، وعوضهم الله تعالى بالفاروق رضي الله عنهم أجمعين.

وقَدْ كان البريد قَدْ قدم بموت الصديق ﷺ والمسلمون مصافو الروم، فكتم خالد ﷺ ذلك عن المسلمين؛ لئلَّا يقع في صفوفهم وهنٌ أو ضعفٌ، فلما تمَّ النصر، وأصبحوا، أجلى لهم الأمر، وكان الفاروق ﷺ قد عيَّن أبا عبيدة بن الجراح ﷺ بدلًا من خالد بن الوليد ﷺ(١) على جيوش الشام، وتقبل خالدٌ أَمْرَ الفاروق رضي الله عنهما برحابة صدرٍ، وعزى المسلمين في خليفة رسول الله ﷺ، وتولى أبو عبيدة ﷺ القيادة العامَّة لجيوش الشام.



(١) **تكلم كثيرٌ من المؤرخين في عزل خالد بن الوليد عن الإمارة للجيش، وأفضل ما يقال عن سبب هذا العزل:**

١- ما ورد من أسانيد صحاح مثل ما ذكره ابن حجر العسقلاني من أن الفاروق ﷺ خشي على الأمة من الافتتان بخالد بن الوليد ﷺ، وربط النصر به فقط، فأراد أن يثبت للناس أن النصر من عند الله. انظر: «الإصابة» لابن حجر (٤٧٧/٣)، «تاريخ خليفة» (١٢٢/١).

٢- قيل: إن خالد ﷺ في زمن الصديق لا يرجع إليه في كلِّ صغيرة ولا كبيرة، وهذا ملاحظ في رسائله، وعتاب الصديق له، أمَّا في زمن عمر، فلا يصلح هذا لعمر، فقام بعزله؛ لأن عمر ﷺ ينظر بنظرة شمولية، وخالد ﷺ نظرته عسكرية، ونظرة الوالي تكون أبعد مدى من نظرة الرعية، وهذا ما ذكره خالد لما حضرته الوفاة، حيث قال: «... عرفت أن عمر يريد الله بكلِّ ما فعل». انظر: «الإصابة» لابن حجر (٢١٨/٢)، «صحيح وضعيف الطبري» (١٤٦/٣)، ق/ محمد البزرنجي، ومحمد حلاق، الناشر: ابن كثير، ط ١٤٢٨هـ.

المطلب الثاني
الفتوحات في عهد عمر بن الخطاب ﷺ

ما إنْ ودَّع الخليفة الراشد أبو بكر الصديق ﷺ هذه الدنيا؛ ليأتي بعده عمر بن الخطاب ﷺ عازمًا وجازمًا بلا توانٍ على أن يأخذ على عاتقه استكمال الفتوحات الإسلامية، وانطلق الفاروق ﷺ ليكمل مسيرة الفتوحات العظيمة، وما كاد عمر ﷺ يفرغ من دفن أبي بكرٍ ﷺ بعد وفاته حتى دعا الناس إلى التطوع لحرب الفرس مع المثنى[1] ﷺ، وركز على تعبئة المسلمين على الجبهة العراقية، وأدَّى المثنى ﷺ دورًا بارزًا في ذلك حين اجتمع به، وشرح له الوضع الداخلي المتدهور للفرس، وشَجَّعه على إرسال المسلمين؛ لتكثيف حَمَلاتهم على أراضي السواد؛ إذْ لا بقاء لهم في العراق، إذْ لم تعزز قواتهم هناك بمددٍ قويٍّ[2].

- **الوضع الفارسي في العراق:**

كانت تَعيش دولة الفرس حالةَ اضطرابٍ داخليٍّ سببتها الصراعات على العرش الفارسي، وتهاوى عدد من الملوك في تسارع مستمر، وفي مدَّةٍ قصيرةٍ فقَدَ الفرس استغلال فرصة مغادرة خالد ﷺ عن العراق، ورحيل المثنى ﷺ إلى المدينة لاستعادة الأراضي التي أُخِذَتْ منهم من قِبَل المسلمين[3].

وأقدم رستم على خطوةٍ وهي توعية الفرس في أراضيهم، وكيف أخذها المسلمون، فكان يرسل العمال والنقباء إلى هذه المدن -بل والقرى- ليثيروا الحمية الدينية والقومية، فاندلعت

---

(١) **هو المثنى بن حارثة الشيباني**، كان إسلامه وقدومه في وفد قومه على النبي ﷺ، وبعثه أبو بكر سنة إحدى عشرة في صدر خلافته إلى العراق قبل مسير خالد بن الوليد إليها، وكان المثنى شجاعًا شهمًا بطلًا، ميمون النقيبة، حسن الرأي والإمارة، أبلى في حروب العراق بلاءً لم يبلغه أحد، مات سنة ١٤هـ. انظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للقرطبي (١٤٥٦/٤)، «أسد الغابة» لابن الأثير (٥٥/٥)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٥٦٨/٥).

(٢) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٤٤٤/٣).

(٣) المصدر نفسه (٤٤٥/٣).

نتيجة ذلك الثورة ضد المسلمين في جميع مدن الفرات، وفقد هؤلاء المناطق التي كانت بحوزتهم[١]، وجهزت بوران جيشًا كبيرًا بقيادة نرسي ابن خالة كسرى، وجابان وهو أحد أثرياء العراق المعروفين بعدائه الشديد للمسلمين، وسلك هذان القائدان طريقين مختلفين تحسُّبًا من أن ينقضَّ عليهما المسلمون، فوصل نرسي إلى كَسْكر[٢] بين الفرات ودجلة، وعسكر فيها بناءً لأوامر رستم، وتخطى جابان الفرات إلى الحيرة، ونزل في موقع متقدم، وفي النمارق[٣] بين الحيرة والقادسية[٤]، وطلب القائدان مزيدًا من القوات من المدائن تعزيزًا لصفوفهما[٥].

ووَصل المثنى ﷺ في هذا الوقت إلى الحيرة، ولما علم بالاستعدادات الفارسية الضخمة، أدرك أنه لا قِبَلَ له بلقاء من عبَّأهم الفرس، فآثر الحذر، وانسحب من الحيرة إلى خفان[٦]، وأدركه أبو عبيد[٧] فيها[٨].



---

(١) المصدر نفسه (ص٤٤٨).

(٢) «كسكر» بالفتح، ثم السكون، وكاف أخرى، وراء: معناه عامل الزرع، وهي كورة واسعة، وقصبتها واسط القصب التي بين الكوفة والبصرة، يكثر بها الفراريج (الدجاج) الكسكرية، وكان غالب غذائهم. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٤/٤٦١)، «مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع» لصفيّ الدين القطيعي (٣/١١٦٥).

(٣) هو موضع قرب الكوفة من أرض العراق، نزله عسكر المسلمين في أول ورودهم العراق. «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٥/٣٠٤).

(٤) هي مكان في العراق بينه وبين الكوفة خمسة عشر فرسخًا، وهي طريق الحجاج. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٤/٢٩١)، «مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع» لصفيّ الدين القطيعي (٣/١٠٥٤).

(٥) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (ص٤٤٨، ٤٤٩).

(٦) هو موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحيانًا، وهو مأسدة، وقيل: هو فوق القادسية. «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٢/٣٧٩).

(٧) **هو أبو عبيد الثقفي**، وليس من السابقين في الإسلام، وقد لا يكون صحابيًّا. انظر: «المسيرة الإسلامية لجيل الخلافة الراشدة عمر بن الخطاب»، منير الغضبان، الناشر: القاهرة، دار السلام، ط: الأولى ١٤٣٦هـ. وقد ذكر ابن حجر أنهم لا يؤمرون في الفتوح إلا الصحابة، وهو الصحيح؛ لقوة معرفته في هذا الفن. انظر: «الإصابة» لابن حجر (٤/٥٧٦).

(٨) انظر: «تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية» لمحمد طقوش (ص١٨٣).

أ- فتوح العراق:

- معركة السقاطية[١]:

وقعت في ١٢ شعبان سنة ١٣هـ حينما هرب الفرس الناجون إلى كسكر لينضموا إلى جيش نرسي، فطاردهم المثنى ﵁ حتى بلغ درنا[٢]، ووصلت أنباء هزيمة جابان إلى المدائن، فجهز رستم جيشًا آخَرَ بقيادة الجالينيوس، وأمدَّ به لنرسي، وتمنَّى أن يلحقَ قبل اشتباك الطرفين، فَرَاح يناور ويتمهل في خوض المعركة غير أن أبا عبيدٍ لم يمهله، بل اصطدم بقواته في السقاطية، وانتصر عليه، وفرَّ نرسي يحمل معه خيبة الخسارة، فرفعت هذه الانتصارات الروح المعنوية للمسلمين، وحفزتهم على تكثيف حملاتهم في السواد، فأرسل أبو عبيد مجموعات صغيرة من الجيش لمطاردة فُلُول الفرس، والإغارة على قرى السواد[٣].

- معركة الجسر:

واختلف في وَقْعتها[٤]، وهي أنه عندما بدأ خطر المسلمين يهدد كيان الفرس، وطارت الأخبار بكثرة انتصاراتهم مما جعل رستم يجهز جيشًا عظيمًا قرابة اثني عشر ألف مقاتل، وأرسل هذا الجيش صوب الحيرة بقيادة بهمن جاذويه الذي كان معروفًا بكراهية العرب، وشدته في القتال عليهم، وكان رفيقه جالينوس، واصطحب معه الفيلة، ويبدو أن رستم أراد أن يكسب

---

(١) ناحية بكسكر من أرض واسط كانت فيها وقعة شهيرة بين العرب والفرس، وانتصر فيها العرب بقيادة أبي عبيد الثقفي. «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٣/٢٢٦).

(٢) «**درنا**»: هي باب من أبواب فارس دون الحيرة. انظر: «مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع» لصفيّ الدين القطيعي (٢/٥٢٤).

(٣) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣/٤٥٠، ٤٥١)، «تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية» لمحمد طقوش (ص١٨٣).

(٤) الجسر موضع بالسواد كانت فيه وقائع بين المسلمين والفرس، وتسمى: قس الناطف، ويقال لها: المروحة.

واختلف في سنة الوقعة بين (١٤)، و(١٥)، و(١٦) هـ، ولعل الأقرب أنها سنة (١٥) هـ. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٥/١١١). وانظر: «عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين» لأكرم العمري (ص٣٥٩).

معركةً أمام المسلمين تُرْجع هيبة دولته، وترد لجيوشه الروح المعنوية والثقة النفسية في موضعٍ يكون أكثر أمانًا واستراتيجيًّا، فارتحل عائدًا إلى الحيرة، وتوجه إلى قس ناطف، فعبر الفرات، واستعدَّ للمواجهة، ووصل بهمن إلى قس الناطف، وعسكر على الضفة المقابلة، وفصل نهر الفرات بين الجيشين، فخيَّر بهمن أبا عبيد إمَّا أن يعبر إليه أو يسمح له بالعبور إلى الجانب الإسلامي، وعارض جيش أبي عبيدة ﷺ هذا الرأي الأخير، ولكن قدرة الله سبقت كل إمكانيات البشر، فخسر بذلك مكانًا ملائمًا للعمليات العسكرية وَفْق أساليب العرب القتالية؛ لأن فيه «مجالًا وملجأً، ومرجعًا من فرة إلى كرة»[1]، ونسي نصيحة عمر ﷺ إذ بعثه فقال له: «إنك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبرية، تقدم على قومٍ قد جرؤوا على الشَّرِّ فعملوه، وتناسوا الخير فجهلوه، فانظر كيف تكون! واخزن لسانك، ولا تفشين سرك، فإن صاحب السر ما ضبطه، متحصن لا يؤتى من وجهٍ يكرهه، وإذا ضيعه كان بمضيعةٍ، وتحكمت به عواطفه «لن يكونوا أجرأ على الموت منَّا»[2]، في الوقت الذي كان أحوج إلى التفكير العقلاني الهادئ، والتخطيط السليم بعيدًا عن انفعالات العواطف عَبَرَ المسلمون نهر الفرات فوق الجسر، وقد ترك لهم بهمن مكانًا ضيقًا أجبرهم على النزول فيه خاليًا من مجال أساليب الحرب من كرٍّ أو فرٍّ، مما أفقدهم حرية الفرِّ والكرِّ والانتشار، ففرض بذلك عليهم المعركة، وارتكب أبو عبيد خطأً آخر حين قطع الجسر حتى يحول دونهم فكرة التراجع والانسحاب، ودارت بين الطرفين رحى معركة ضارية أدت الفيلة فيها دورًا كبيرًا حيث كانت تُجفل الخيل، فتهرب منها، وإذا حشر جيش المسلمين في مكانٍ ضيقٍ قام الفرس فأمطروهم بالسهام، ومزقوا صفوفهم حتى عَضَّهم الألم..وبدأت الهزيمة تَسْري في صف المسلمين، فخَطَّط للانسحاب أملًا

---

(١) انظر: «تجارب الأمم وتعاقب الهمم» (٣١٢/١)، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفى: ٤٢١هـ)، المحقق: أبو القاسم إمامي، الناشر: سروش، طهران، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٠م».

(٢) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٤٥٤/٣)، «تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية» لمحمد طقوش (ص١٨٤-١٨٦).

أن يرتدَّ المسلمون في نظامٍ وهدوءٍ، فعقد الجسر، لكن أحد الصحابة قام بقطعه بفكرة أنهم يموتون كَمَا مات قادتهم أو يظفروا، مبرهنًا عن قصر نظرٍ في الحقل العسكري، مما خلَّف ضغطًا داخليًّا في صفوف المسلمين، ولَمْ يكن أمامهم إلا طريق النهر للفرار، فغرق بعضهم وقُتِلَ آخرون لم يعبروا، وأخيرًا استدرك المثنى ﷺ، فقام بربط الجسر، وانسحب مع مَنْ بقي من أفراد الجيش باتجاه أليس، فكان انتصار الفرس واضحًا، على الرغم من تكبُّدهم ستة آلاف قتيل، وخسر المسلمون أربعة آلاف بين قتيلٍ وغريقٍ، وفرَّ ألفان، وصمد ثلاثة آلاف مع المثنى ﷺ، فأضحى استمرار التقدم مستحيلًا بعد هزيمة المسلمين في معركة الجسر دون إدخال إمدادات جديدة إلى المعركة؛ إذ إن الآلاف الثلاثة من المقاتلين الذين نَجَوا من المعركة، واستمروا بالوجود على أرض العراق، شكَّلوا أصغر قوة إسلامية منذ بدء الفتح، فضلًا عن إثخانهم بالجراح[1].

- معركة القادسية[2]:

كانت في محرم يوم الإثنين سنة ١٤هـ، وهذا القول هو أشهر الأقوال، حيث إنه بعث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ سعد بن أبي وقاص ﷺ[3] في ثلاثة آلاف رجلٍ إلى العراق، وكتب إلى المثنى بن حارثة ﷺ بأن يجتمع إلى سعد ﷺ، وكتب إلى العلاء بن الحضرمي[4] وهو

(١) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٤٥٥،٤٥٤/٣).

(٢) «القادسية»، سميت بذلك؛ لأن رجلًا من أهل قادس نزل بها، وقيل غير ذلك، وهي موضعٌ بينه وبين الكوفة خمسة عشر فرسخًا. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٢٩١/٤).

(٣) **هو سعد بن أبي وقاص**، واسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن زهرة بن كلاب القرشي، سابع سبعة في الإسلام، أسلم بعد ستة، وشهد بدرًا، والحديبية، وسائر المشاهد، وهو أحد الستة الذين جعل عمر فيهم الشورى، وأخبر أن رسول الله ﷺ تُوفي وهو عنهم راضٍ، وهو أحد العشرة، وكان مجاب الدعوة، مات سنة ٥١هـ. انظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للقرطبي (٦٠٧/٢)، «الطبقات الكبرى» لابن سعد (١٠١/٣)، «غاية النهاية في طبقات القراء» (٣٠٤/١)، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر.

(٤) **هُوَ العلاء بن عماد بن سلمى الحضرمي**، نسبة لحضرموت في اليمن، حليف لبني أمية بن عبد شمس، عامل النبي ﷺ على البحرين، وسمع منه، مات سنة ٢١هـ. انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢٦٦/٤)، «الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد» (٥٩٠/٢)، أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن، أبو نصر البخاري الكلاباذي (المتوفى: =

بالبحرين[١] يأمره بالمسير إلى سواد بابل[٢]، فسار العلاء واستخلف أبا هريرة رضي الله عنه[٣] على البحرين، فمات في الطريق، وبعث عمر عتبة بن غزوان[٤] إلى ناحية البصرة، فافتتح الأبلة، وجاء سعد رضي الله عنه فيمَنْ معه من الجموع، فنزلوا فشربوا مما يلي سواد الحيرة.. وكتب سعد إلى عمر -رضي الله عنهما- بالخبر يستمده بالرجال.. واجتمعوا إليه، وجاء سعد رضي الله عنه فنزل ما بين العُذيب[٥] إلى القادسية، وجاء رستم[٦] فنزل الحيرة في ستين ألفًا من المقاتلين.. واستولى على كل ما كان قَدْ صار بأيدي المسلمين مما افتتحوه صلحًا وعنوةً حتى ضاق الأمر على المسلمين في الطعام.. ثمَّ بعث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه رسلًا... يَدْعون رستم إلى الله، ودار بَيْنهم حوار

= ٣٩٨هـ)، المحقق: عبد الله الليثي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧، عدد الأجزاء: ٢. «الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب» (٤٨/٦)، سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا (المتوفى: ٤٧٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

(١) هي المدينة المعروفة اليوم، شرقيها ساحل البحر، وجوفها متصل باليمامة، كثيرة الأنهار والعيون العذبة والنخيل. انظر: «الروض المعطار في خبر الأقطار» للحِميرى (ص٨٢).

(٢) هي مدينة العراق العظيمة ذات التأريخ المجيد، المشهورة بحدائقها: «حدائق بابل المعلقة»، وكانت إحدى عجائب الدنيا القديمة السبع. وقد اندثرت بابل، ولكن آثارها ما زالت باقيةً، يؤمها مئات السياح يوميًّا. «معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية» (ص٣٩)، عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي الحربي (المتوفى: ١٤٣١هـ)، الناشر: دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(٣) **الصحيح أن اسمه عبد الرحمن بن صخر الدوسي من الأزد،** سمي أبا هريرة؛ لأن الرسول كناه بذلك، فقال له: «**ثكلتك أمك أبا هرٍّ**»، أسلم عام خيبر سنة ٧هـ، روى أحاديث كثيرة، من أحفظ الصحابة للحديث، روى عنه من الصحابة ابن عباس وابن عمر وعائشة، توفي في المدينة سنة ٥٧هـ وعمره ٨٧ رضي الله عنه. انظر: «الاستيعاب» للقرطبي (١٧٧٢/٤)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٦٥/١)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٥٧٨/٢).

(٤) **هو عتبة بن غزوان بن جابر السلمي**، يكنى أبا عبدالله، أسلم قديمًا، وهاجر إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، وكان من الرماة، استعمله عمر على البصرة ستة أشهر، شهد بدرًا والمشاهد، ومات سنة ١٧هـ. انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٧٢/٣)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للقرطبي (١٠٢٦/٣)، «أسد الغابة» لابن الأثير (٥٥٨/٣).

(٥) بضم أوله، هو وادٍ بظاهر الكوفة. انظر: «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» لأبي عبيد البكري (٩٢٧/٣).

(٦) لم أجد ترجمته.

طويل، وجهز رستم جيشًا من مائةٍ وعشرين مقاتلًا، والتقى الصفان في معركة دارت رحاها في ثلاثة أيام يقتتلون فيما بينهم حتى الليل، ثم يبيتون، فلما أصبح اليوم الرابع، اقتتلوا قتالًا شديدًا.. وقد أبلى الشجعان من الصحابة ﭫ بلاءً حسنًا، فلما زالت الشمس وكان هذا اليوم يسمى يوم القادسية، انتصر المسلمون على الفرس في معركة خلَّد التاريخ ذكرها[١].

- فتح بهرسير[٢]:

وقعت في ١٥هـ في شهر ذي الحجة بعدما أقام سعد ﭬ مدةً من الزمن أراح خلالها جنده ودوابه، وشفي من مرضٍ ألمَّ به، وتبادل الرسائل مع عمر ﭬ فيما ينبغي أن يتصرف به، فجاء أمر عمر ﭬ بأن يسير إلى المدائن، وعهد إليه أن يخلف النساء والعيال، ويجعل معهم مَنْ يحرسهم من الجند، ويُسْهِم لأولئك الجند من المغنم ما داموا يحفظون عيالًا.. فاستعد للزحف، وأرسل طلائع يمهدون له الطريق، وحصل اصطدام بينهم وبين الفرس، وتغلب عليهم وصالحه بعضهم.. ووصلت إحدى هذه الطلائع إلى بهرسير إحدى ضواحي المدائن، ثم خرج سعد ﭬ وراءهم، وضرب عليها الحصار، وبثَّ خَيْله في المناطق المجاورة، فأَغَارت على مَنْ ليس له عهدٌ بين دجلة والفرات، واستعمل سعد ﭬ لأول مرة في حرب العراق، والأسلحة الثقيلة والمجانيق[٣] وغيرها، واستمرَّ الحصار بضعة أشهرٍ، ودافعت خلالها الحامية عن المدينة بشكلٍ ملفتٍ؛ لأنها تعدُّ معبرًا إلى العاصمة، فإذا سقطت، انكشفت المدائن، وأمدها يزدجرد بالإمدادات عَبْر جسرٍ يصلها به، وأيقن يزدجرد أن بهرسير سوف تسقط بأيدي المسلمين، وسوف تتبعها المدائن، فعرض الصلح على سعد ﭬ، فرفض سعد ﭬ، وأبى إلا القتال، واقتحمها المسلمون.. ووقف

(١) انظر: «تاريخ خليفة بن خياط» (ص١٣٢)، «فتوح الشام» للواقدي (١٧٢/٢)، «البدء والتاريخ» للمقدسي (١٧٠/٥)، «البداية والنهاية» لابن كثير (٦٣٠/٩).

(٢) بالفتح ثم الضم، وفتح الراء، وكسر السين المهملة، وياء ساكنة، وراء: من نواحي سواد بغداد قرب المدائن. «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٥١٥/١).

(٣) «**المنجنيق**»: آلة قديمة من آلات الحصار كانت ترمى بها حجارة ثقيلة. «معجم اللغة العربية المعاصرة» لأحمد مختار (٢١٢٧/٣).

المسلمون على شاطئ النهر، فلاح لهم إيوان كسرى بقبته البيضاء الشامخة، وجدرانه البيضاء، فبهتوا من روعتِهِ، وضخامة بنائِهِ وارتفاعه، واتخذ سعد ﷺ من بهرسير قاعدة عسكرية استعدادًا لمهاجمة المدائن[١].

فتح جَلولاء[٢]:

وقعت في ١٦هـ أول ذي القعدة لما تحصن الفرس في جلولاء، وفرشوا الأشواك في طريق المسلمين، وحسك الحديد، وتجهزوا لقتالهم، وصلت أخبار الحشود الفارسية إلى مسامع سعد ﷺ، فكتب إلى عمر ﷺ يستطلع رأيه، فكتب إليه أن يرسل هاشم بن عتبة ﷺ[٣] إلى جلولاء على رأس اثني عشر ألفًا، وقام بتوزيع الجيش، فخرج هاشم ﷺ من المدائن على رأس الجيش الإسلامي وهو على تعبئةٍ، وَوَصل إلى جلولاء بعد أربعة أيامٍ، وضرب عليها حصارًا مُرَكَّزًا، استمر الحصار مدة ثمانين يومًا تخللته مناوشاتٌ وكرٌّ وفرٌّ من كلا الجانبين، أسفر عن الانتصار في فتح هذه المدينة، وأصاب المسلمون من المغانم الشيء الكثير، ولما أراد المسلمون أن يواصلوا مسيرتهم في الفتوحات، قال عمر ﷺ: «حسبنا من الريف السواد أنِّي قد آثرت سلامة المسلمين على الأنفال»[٤].

---

(١) انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي (٢٠٣/٤)، «تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية» لمحمد طقوش (٢٠٥/١، ٢٠٦).

(٢) «**جَلولاء**»، بفتح أولها من مدن السواد على طريق خراسان، وهو نهر عظيم يمتد إلى بعقوبا. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (١٥٦/٢).

(٣) **هاشم بن عتبة بن أبي وقاص**، يكنى أبا عمرو، أسلم يوم الفتح، يعرف بالمرقال، وكان من الفضلاء الخيار، وكان من الأبطال البهم، فُقِئت عينه يوم اليرموك، ثم أرسله عمر من اليرموك مع خيل العراق إلى سعد، كتب إليه بذلك، فشهد القادسية، وأبلى فيها بلاءً حسنًا. انظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للقرطبي (١٥٤٦/٤)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤٨٦/٣)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٤٠٤/٦).

(٤) انظر: «تجارب الأمم وتعاقب الهمم» لابن مسكويه (٣٦٥/١)، «تاريخ خليفة بن خياط» (١٣٦/١)، «تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية» لمحمد طقوش (ص٢٠٨).

فتح حلوان[١]:

بعد أن انهزم الفرس في جلولاء، أرسل سعد ﷺ القعقاع بن عمرو إلى حلوان، وأمدَّه بثلاثة آلاف مقاتل مع مَنْ معه من الجند الذين اصطحبهم، وسانده هؤلاء الجنود الفرس الذين أسلموا، فأدرك سبيًا[٢] كثيرًا عُرِفَ في التاريخ بـ«سبي جلولاء»، فبلغت أنباء هذه التطورات السلبية مسامع يزدجرد وهو بحلوان، فأدرك أن المسلمين في الطريق إليه، فخرج منها نحو الري، وترك فيها حاميةً عسكريةً بقيادة خسروشنوم للدفاع عنها، وتأخير تقدم المسلمين، والتقى الجمعان على بُعْد فرسخ من حلوان، وجرت بينهما معركةٌ قاسيةٌ، هزم فيها الفرس، وهرب خسروشنوم، وَدَخَل القعقاع حلوان صلحًا، فكفَّ عن أهلها، وأمَّنهم على دمائهم، وجعل لمنْ أحبَّ منهم الخروج ألَّا يتعرض له، وكان هذا الفتح هو خاتمة فتوح العراق[٣].

ب- فتوح فارس:

- **فتح تُسْتَر**[٤]: وقعت سنة ١٧هـ[٥] لما فرَّ الهرمزان إلى تستر، ولحقه الجيش، فحاصروا تستر، ولكثرة جيوش الهرمزان وحصون تستر، لم يتمكن المسلمون من فتحها إلا بعد وصول أمداد كثيرة، ودار قتال عنيف خارج تستر مما اضطر الفرس إلى الاعتصام بحصونها، وقد دلَّ رجل من أهل تستر المسلمين على مدخلٍ مائيٍّ إلى المدينة، فدخل منه مائتان وأربعون مقاتلًا في الليل، وفتحوا أبواب المدينة، ودخلها المسلمون، فاعتصم الهرمزان بقلعته، ثم سلم على أن

(١) «**حلوان**»: هي مدينة في العراق، وهي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٢/٢٩٠).

(٢) «**السبي**»: هو النهب، وأخذ الناس عبيدًا وإماءً. والسبية: المرأة المنهوبة. «لسان العرب» لابن منظور (١٤/٣٦٨).

(٣) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٠/٢٥)، «تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية» لمحمد طقوش (ص٢٠٨).

(٤) «**تستر**»: بالضم ثم السكون، وفتح التاء الأخرى، وراء: أعظم مدينة بخوزستان اليوم، «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٢/٢٩).

(٥) وقع خلاف في زمن وقوعها قيل (١٦هـ-١٧هـ-١٩هـ) «تاريخ الطبري» للطبري (٤/٧٧)، وذكر ابن خياط أنها حوصرت سنتين (١/١٤٦)، ولعلها وقعت أواخر سنة ١٦هـ حتى بداية ٢٠هـ جمعًا بين الروايات، والله أعلم. للاستزادة انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (٦/٥٣).

يحكم فيه عمر رضي الله عنه، وكفت المدينة عن المقاومة[١].

- **فتح نهاوند**[٢]:

وقعت ٢١هـ وهو المشهور من الأقوال، حيثُ هرب يزدجرد إلى حلوان، فأخذ يجمع ويحشد الجيوش، وأمر عليهم مردانشاه، وكان عددهم مائة ألف، فكتب عمار بن ياسر رضي الله عنه[٣] إلى عمر رضي الله عنه بخبرهم، فهمَّ أن يغزوهم بنفسه، ثم خاف أن ينتشر أمر العرب بنجد[٤] وغيرها، وأُشِيرَ عليه بأن يغزي أهل الشام من شامهم، وأهل اليمن من يمنهم، فخاف إنْ فعل ذلك أن تعود الروم إلى أوطانها، فكتب إلى أهل الكوفة[٥] يأمرهم أن يسير ثلثهم، ويبقى ثلثهم لحفظ بلدهم وديارهم، وبعث من أهل البصرة[٦] بعثًا، وقال: لأستعملن رجلًا يكون الأول ما يَلْقاه من الأسنَّة، فعقد سبعة ألوية، وكان الفرس يخرجون من نهاوند، فيقاتلون ثم يحتمون بحُصُونها، فلم يتمكَّن منهم المسلمون حتى استدرجوهم بعيدًا عنها، ثم قاتلوهم وهزموهم، وقتل الفيرزان، واستشهد النعمان رضي الله عنه[٧]، وفتح المسلمون نهاوند، وتُسمَّى فتح الفتوح، فلم تقم للفرس بعدها قائمةٌ[٨].

(١) انظر: «عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين» لأكرم العمري (ص٣٦٣).

(٢) «**نهاوند**»: مدينة جليلة كان فيها اجتماع الفرس لما لقيهم النعمان بن مقرن المزني سنة ٢١هـ. «البلدان» لليعقوبي (ص٨٣).

(٣) **عمار بن ياسر بن مالك العنسي**، يكنى أبا اليقظان، هاجر إلى أرض الحبشة، وصلى القبلتين، وهو من المهاجرين الأولين، ثم شهد بدرًا والمشاهد كلها، وأبلى ببدرٍ بلاءً حسنًا، ثم شهد اليمامة، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للقرطبي (١١٣٦/٣)، «أسد الغابة» لابن الأثير (١٢٢/٤)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤٠٦/١).

(٤) «**نجد**»، هي ما بين جرش إلى سواد الكوفة؛ وآخر حدوده مما يلي المغرب. «الحجازان»: حجاز الأسود، وحجاز المدينة؛ والحجاز الأسود سراة شنوءة. «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» لأبي عبيد البكري (١٣/١).

(٥) «**الكُوفة**» بالضم: المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق، ويسميها قوم: خد العذراء. قال أبو بكر محمد بن القاسم: سُمِّيت الكوفة؛ لاستدارتها أخذًا من قول العرب: رأيت كوفانًا وكوفانًا، بضم الكاف وفتحها، للرميلة المستديرة، وقيل: سميت الكوفة كوفةً؛ لاجتماع الناس بها. «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٤٩٠/٤).

(٦) «**البصرة**»، هي مدينة في العراق، أرضها صلبة غليظة. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٤٣٠/١).

(٧) **هو النعمان بن مقرن بن عائذ المزني**، يكنى أبا عمرو، أول مشاهده الأحزاب، وشهد بيعة الرضوان، سكن البصرة، وتحول عنها إلى الكوفة، فوجهه سعد إلى تُسْتر، فصالح أهل زندورد. وقدم المدينة بفتح القادسية، مات ٢١هـ. «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للقرطبي (١٥٠٦/٤) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤٠٣/١)، «أسد الغابة» لابن الأثير (٣٢٣/٥).

(٨) انظر: «فتوح البلدان» (ص٢٩٦)، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفى: ٢٧٩هـ)، الناشر: دار ومكتبة =

- **فتح أصبهان:**

وقعت في ٢١هـ حينما وجه عمر ﷺ عبد الله بن عبد الله بن عتبان(١) إلى أصبهان، وبعد قتال عنيف خارج المدينة، صالحت أصبهان على الجزية(٢)، فانتهى إليها، والملك بأصبهان الفاذوسفان، فنزل بالناس على جي(٣)، وحاصرها وقاتلها، ثم صالحه الفاذوسفان على أصبهان، وأن على مَنْ أقام الجزية، وأقام على ماله، وأن يجري من أخذت أرضه عنوة مجراهم، ومَنْ أبَى وذهب كان لكم أرضه.. فخرج القوم من جي، ودخلوا في الذمة إلا ثلاثين رجلًا من أهل أصبهان لحقوا بكرمان(٤).

فتح الري:

وقعت في ٢١هـ عندما اجتمعت جيوش المقاطعات الشمالية في الري بقيادة ملك الري سياوخش... حيث لقي المسلمون مقاومة عنيفة انتهت بفتح الري عنوة، ومع ذلك فقد أجراه نعيم ﷺ(٥) صلحًا، ولعلَّ خطورة الوضع وعنف العدو في هذه المناطق، جعله يفكر في تهدئة أهل الري(٦).

وأعقب هذا الفتح فتوحات كثيرة ذكرت ما يهمنا في هذه الرسالة.. وهكذا تمَّ فتح بلاد إيران في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، وأقام المسلمون المسالح(٧) في شتى أرجائها متوقعين

= الهلال- بيروت، عام النشر: ١٩٨٨م، «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٣٩٩/٢)، «عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين» لأكرم العمري (ص٣٦٣).

(١) لم أجد له ترجمةً.

(٢) «عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين» لأكرم العمري (ص٣٦٤).

(٣) «**جي**»، هي: مدينة ناحية أصبهان القديمة، وهي الآن كالخراب منفردة، وتسمى الآن عند العجم: شهرستان. «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٢٠٢/٢).

(٤) «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٤٠٢/٢).

(٥) **هو أخو النعمان بن مقرن**، خلف أخاه النعمان حين قتل بنهاوند، وكانت على يديه فتوح كثيرة، وهو وأخوه من جلة الصحابة، وكانوا من وجوه مزينة، وكان عمر بن الخطاب يعرف لنعيم والنعمان موضعهما. «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للقرطبي (١٥٠٩/٤)، «أسد الغابة» لابن الأثير (٣٢٩/٥)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٣٦٤/٦).

(٦) انظر: «عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وَفق منهج المحدثين» لأكرم العمري (ص٣٦٥).

(٧) المسالح جمع مسلحة، وهي القوم ذوو سلاح في عدة، بموضع رصد، قد وكلوا به بإزاء ثغر، وأحدهم مسلحي. «تاج =

انتقاض الفرس في هذه الديار، ولقد كانت فتوح المشرق عنيفةً اقتضت من المسلمين تضحيات جسيمة بسبب اختلاف الدم، فسكان إيران فرس لا تربطهم بالعرب لغة، ولا جنس، ولا ثقافة، وكان الشعور القومي عند الإيرانيين يذكيه التاريخ الطويل والثقافة المتأصلة، كما أن القتال كان يدور في صميم الوطن الإيراني، ويشترك رجال الدين المجوس في تأليب السكان على المقاومة، يُضَاف إلى ذلك بُعْد هذه المناطق عن مراكز الجيش في البصرة والكوفة، وطبيعة الأرض الجبلية التي تمكن السكان من المقاومة، ولذلك فقد انتقضت معظم هذه المراكز، وأعيد فتحها في خلافة عمر أو في خلافة عثمان رضي الله عنهما[1].



= العروس» (٤٧٩/٦)، محمّد بن محمّد الزَّبيدي، ق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، ط بدون.

(١) «عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وَفق منهج المحدثين» لأكرم العمري (ص٣٦٨)، قلت: تمَّ فتحها في خلافة عثمان ﷺ سنة ٣١. راجع المصدر نفسه.

المطلب الثالث
الفتوحات في عهد عثمان بن عفَّان رضي الله عنه

لقد طمع الفرس والروم حين سمعوا مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في التفكير مرةً أخرى في استرداد ملكهم، فبدأ يزدجرد يخطط في العاصمة التي يقيم فيها وهي فرغانة[١] عاصمة سمرقند[٢]، وأما زعماء الروم، فقَدْ تركوا بلاد الشام، وانتقلوا إلى القسطنطينية[٣] العاصمة البيزنطية، وبدأوا في عهد عثمان رضي الله عنه في البحث عن الوسائل التي تُمكِّنهم من استرداد ملكهم حيث تجمَّعوا في الإسكندرية[٤]، ونقضوا الصلح، واستعانوا بالروم من البحر، فأمدوهم بثلاثمائة سفينة بحرية تحمل الرجال والسلاح.

حيث رأى عثمان رضي الله عنه اتساع رقعة الدولة الإسلامية في عهد عمر رضي الله عنه بفتح أراضي الإمبراطورية الفارسية، والأراضي البيزنطية في بلاد الشام، ومصر، وجزء من شمالي إفريقية، وأَضْحَت هذه المناطق تحت الحكم الإسلامي، ولم تتوقف سلسلة هذه الفتوح في عهد عثمان رضي الله عنه مما سنقف عليه من خلال سيرة فتوحاته[٥].

---

(١) «**فرغانة**»: مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٢٥٣/٤).

(٢) «**سمرقند**»: مدينة مشهورة بما وراء النهر قصبة الصغد؛ قالوا: أول مَنْ أسَّسها كيكاوس بن كيقباذ، وليس على وجه الأرض مدينة أطيب ولا أنزه ولا أحسن من سمرقند. «آثار البلاد وأخبار العباد» (ص٥٣٥)، زكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى: ٦٨٢هـ)، دار صادر – بيروت.

(٣) «**القسطنطينية**»: مدينة كانت رومة في القديم دار مملكة الروم، نزلها من ملوكهم تسعة وعشرون ملكًا، ثم ملك بها قسطنطين الأكبر، ثم انتقل إلى بزنطية، وبنى عليها سورًا، وسماها القسطنطينية. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٣٤٧/٤)، «الروض المعطار في خبر الأقطار» للحِميرى (ص٤٨١).

(٤) «**الإسكندرية**»: هي المدينة المشهورة بمصر، على ساحل البحر. «آثار البلاد وأخبار العباد» للقزويني (ص١٤٣).

(٥) انظر: «تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية» لمحمد طقوش (ص٣٧٣).

فتح أذربيجان[١]:

وكانت في ٢٤هـ لما منع أهل أذربيجان ما كانوا قد صالحوا عليه أيام عمر بن الخطاب ﷺ، وثاروا على واليهم، عندها أمر عثمان ﷺ أحد القادة أن يغزوهم، ثم سار هذا القائد فأسرع إليه أهل أذربيجان طالبين الصلح مثل صلحهم السابق، فأجابهم وصالحهم[٢].

- **فتح قبرص**[٣]:

«وقعت سنة ٢٧هـ. قال الواقدي: غزا معاوية بن أبي سفيان ﷺ في البحر غزوة قبرص[٤] الأولى، ولم يركب المسلمون بحر الروم قبلها، وكان معاوية ﷺ استأذن عمر ﷺ في غزو البحر، فلم يأذن له، فلمَّا ولي عثمان بن عفان ﷺ، كتب إليه يستأذنه في غزوة قبرص، ويعلمه قربها، وسهولة الأمر فيها، فكتب إليه أن قد شهدت ما رد عليك عمر رحمه الله حين استأمرته في غزو البحر.

فلمَّا دخلت سنة سبع وعشرين، كتب إليه يهون عليه ركوب البحر إلى قبرص، فكتب إليه عثمان ﷺ: فإن ركبت البحر ومعك امرأتك، فاركبه مأذونًا لك وإلا فلا، فركب البحر من عكا، ومعه مراكبُ كثيرةٌ، وحمل امرأته.. وبعث إليهم حاكمها يطلب الصلح، وقد أذعن أهلها به، فصالحهم على سبعة آلاف ومائتي دينار يؤدونها كل عام، وصالحهم الروم على مثل ذلك، فهم يؤدون خراجين، واشترطوا ألَّا يمنعهم المسلمون أداء الصلح إلى الروم، واشترط عليهم المسلمون ألَّا يقاتلوا عنهم مَنْ أرادهم من ورائهم، وأن يؤذنوا المسلمين بسير عدوهم من الروم، فكان المسلمون إذا ركبوا البحر، لم يعرضوا لهم، ولم ينصرهم أهل قبرص، ولم ينصروا عليهم..

فلمَّا كان سنة اثنتين وثلاثين، أعانوا الروم على الغزاة في البحر بمراكب أعطوهم إيَّاها،

---

(١) «**أذربيجان**»: بفتح أوله وإسكان ثانيه، كور تلي الجبل من بلاد العراق، وتلي كور أرمينية من جهة المغرب. انظر: «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» لأبي عبيد البكري (١٢٩/١)، قلت: الكور هي القرية أو المدينة. انظر: «تاج العروس» للزَّبيدي (٧٧/١٤).

(٢) انظر: «فتوح البلدان» للبلاذُري (ص٣١٧).

(٣) «**قبرص**»: هي جزيرة غربي بلاد الشام. «البداية والنهاية» لابن كثير (٢٢٨/١٠).

(٤) هذا ذكره بعض المؤرخين: قبرس بالسين دون الصاد. «مرآة الجنان وعبرة اليقظان» (٧١/١) اليافعي.

فغزاهم معاوية سنة ثلاث وثلاثين في خمسمائة مركب، ففتح قبرص عنوة..»[١].

- **فتح طبرستان**[٢]:

لما غزا سعيد بن العاص[٣] قادمًا من الكوفة سنة ٣٠هـ، ومعه بعض صحابة الرسول ﷺ يريد خراسان، فكان كل مكان ينزل به يصالحه أهلها حتى جاء إلى طميسة[٤]، وهي كلها من طبرستان جرجان، وهي مدينة على ساحل البحر، وهي في تخوم جرجان، فقاتله أهلها حتى صلى صلاة الخوف، فقال لحذيفة ﷺ: كيف صلى رسول الله ﷺ؟ فأخبره، فصلَّى بها سعيد صلاة الخوف وهم يقتتلون.... وحاصرهم، فسألوا الأمان، فأعطاهم على ألَّا يقتل منهم رجلًا واحدًا، ففتحوا الحصن.

- **فُتُوحات عبد الله بن عامر**[٥]:

«وقعت فتوحات كثيرة في سنة ٣١ هـ، فعندما انتقضت خراسان، فتقدم إليها عبد الله بن

(١) «فتوح البلدان» للبلاذُري (ص١٥٤). «البداية والنهاية» لابن كثير (٢٢٨/١٠).

(٢) «**طبرستان**»: من بلاد خراسان، بفتح أوله وثانيه، سميت بذلك؛ لأن الشجر كان حولها شيئًا كثيرًا، فلم يصل إليها جنود كسرى حتى قطعوه بالفأس، والطبر بالفارسية الفأس، واستان الشجر. «الروض المعطار في خبر الأقطار» للحِميرى (ص٣٨٣).

وطبرستان بلد عظيم كثير الحصون والأعمال، منيع بالأودية، وأهله أشراف العجم وأبناء ملوكهم، وهم أحسن الناس وجوهًا.

(٣) **هو سعيد بن العاص بن سعيد بن قصي**، وأمه أم كلثوم بنت عمرو، كان سعيد من أشراف قريش وأجوادهم وفصحائهم، وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان بن عفان، واستعمله عثمان على الكوفة بعد الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وغزا طبرستان فافتتحها، وغزا جرجان فافتتحها، سنة تسعٍ وعشرين أو سنة ثلاثين، وانتقضت أذربيجان، فغزاها، مات ٥٧هـ. «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢١/٥) «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (١٢٩٤/٣) «أسد الغابة» لابن الأثير (٤٨١/٢).

(٤) «**طميسة**»، هي: بلدة من سهول طبرستان، بينها وبين سارية ستة عشر فرسخًا، وهي آخر حدود طبرستان من ناحية خراسان وجرجان، وعليها درب عظيم ليس يقدر أحد من أهل طبرستان أن يخرج منها إلى جرجان إلا في ذلك الدرب. «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٤١/٤).

(٥) **هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف**، عامل عثمان بن عفان على البصرة، وهو ابن خاله، وُلِدَ على عهد النبي، وافتتح خراسان كلها، مات سنة ٥٧هـ. انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣٢/٥)، «الثقات» لابن حبان (٧/٥)، و«الإصابة» لابن حجر (١٤/٥).

عامر بجيشٍ من البصرة، وأعاد فتح مدنها[١]، ثم وجه الأحنف بن قيس[٢] إلى طخارستان[٣]، فاجتمع عليه أهلها، ففتح هذه البلاد؛ بعضها صلحًا، وبعضها عنوةً، ثم عبر نهر جيحون[٤]، فصالحه أهل بلاد ما وراء النهر، ثم استخلف عثمان قيس بن الهيثم ﵁[٥] بدل الأحنف، فتوغل في طخارستان وفتح مدنها، وكذلك فتح سعيد بن العاص بلاد طبرستان[٦]، وصالحه ملك جرجان، وثارت أذربيجان، فغزاها الوليد بن عقبة ﵁[٧]، وأعادها إلى الطاعة، وكذلك

(١) وأما كور خراسان، فهي: نيسابور ومرو وهراة وبلخ، وبخراسان كور دونها، فمنها قوهستان وطوس ونسا وأبيورد وسرخس وأسفزار وبوشنج وباذغيس وگنج رستاق ومرو روذ وجوزجان وغرج الشار والباميان وطخارستان وزم وآمل. انظر: «المسالك والممالك» للعزيزي (١٤٥)، «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٤٨٢/٤).

(٢) **هو الأحنف بن قيس بن معاوية التميمي**، ويكنى الأحنف أبا بحر، وسمي أحنف لميلٍ في قدمه، وكان ثقةً مأمونًا قليل الحديث، وقد روى عن عمر بن الخطاب، وعليّ ابن أبي طالب، وأبي ذرّ، أحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين، كان قد أدرك النبي ﷺ ولم يره، ودعا له النبي ﷺ، فمن هنالك ذكرناه في الصحابة؛ لأنه أسلم على عهد رسول الله ﷺ، مات ٧٢هـ. انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٦٣/٧، ٦٤)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للقرطبي (١٤٥/١)، «الأعلام» للزركلي (٢٧٦/١).

(٣) «**طخارستان**»: هي ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد، وهي من نواحي خراسان. «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٢٣/٤).

(٤) نهر جيحون تنضم إليه أنهار كثيرة من حدود الجبل ووخش، فيصير نهرًا عظيمًا، ويمرُّ على مدن كثيرة حتى يصل إلى خوارزم. وهذا النهر يجمد في الشتاء عند قوة البرد، فيصير قطعًا، ثم تصير القطع قطعًا على وجه الماء حتى يلصق بعضها ببعض إلى أن تصير سطحًا واحدًا على وجه الماء، حتى تعبر عليه العجلات والقوافل، وهو نهر قتال قَلَّ أن ينجو منه غريق. انظر: «خريدة العجائب وفريدة الغرائب» (ص٢٤٨)، لسراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردي، البكري القرشي، المعري ثم الحلبي (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المنسوب خطأ: للقاضي زين الدين عمر بن الوردي البكري القرشي، المحقق: أنور محمود زناتي - كلية التربية، جامعة عين شمس، الناشر: مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

(٥) **هو قيس بن الهيثم بن أسماء بن الصلت السلمي البصري**، ذكره البخاري، وقال: له صحبة. وكذا ابن أبي حاتم، وكان واليًا على خراسان لعثمان بن عفان، وممن يحض من أهل البصرة على نصرة عثمان. انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٤٢٩/٤)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٣٨٤/٥)، «الأعلام» للزركلي (٢٠٩/٥).

(٦) طبرستان من أعمال خراسان، وهي مملكة عظيمة، وهي بلاد كثيرة الحصون، منيعة بالأودية، وأهلها أشراف العجم وأبناء ملوكهم، وهم أحسن الناس وجوهًا. انظر: «آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان» (ص٦٩)، إسحاق بن الحسين المنجم المتوفى: ق/ ٤هـ. الناشر: عالم الكتب، بيروت ط: الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٧) **هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط**، أخو عثمان بن عفان لأُمِّه. قُتِلَ أبوه بعد بدر صبرًا، وأسلم الوليد وأخوه عمارة =

تم فتح أرمينية[١] في خلافته لما ذهب عبد الله بن عامر إلى خراسان، ففتح مدنًا كثيرةً حتى بلغ سرخس[٢]، وصالح فيها أهل مرو[٣].. واستعمل على إصطخر[٤] شريك بن الأعور الحارثي[٥]، فبنى شريك مسجد إصطخر، فدخل على ابن عامر رجلٌ من بني تميم هو الأحنف بن قيس، فقال له: إن عدوك منك هارب، وهو لك هائب، والبلاد واسعة، فَسِرْ، فإن الله ناصرك ومعزّ دينه»[٦].

فتجهز ابن عامر، وأمر الناس بالجهاز للمسير، واستخلف على البصرة، وسار إلى كرمان، ثمَّ أخذ إلى خراسان؛ سالكًا طريق أصبهان، ثمَّ سار إلى خراسان، ثم أتى ابن عامر نيسابور... واستطاع ابن عامر أن يتغلَّب على نيسابور، وخرج إلى سرخس، فأرسل إلى أهل مرو يطلب

= يوم فتح مكة، تولى الكوفة لعثمان بن عفان بعد سعيد ابن أبي وقاص. انظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للقرطبي (١٥٥٢/٤) «أسد الغابة» لابن الأثير (٤٢٠/٥)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤١٣/٣).

(١) «**أرمينية**»: اسم لصِقْعٍ عظيمٍ واسع في جهة الشمال، والنسبة إليها أرمني على غير قياس. «معجم البلدان» لياقوت الحموي (١٦٠/١).

(٢) هي مدينة بين نيسابور ومرو، وهي في أرض سهلة، وليس لها ماء جار إلَّا نهر يجري في بعض السَّنة، ولا يدوم ماؤه، وهو فضل مياه هراة، وزروعهم مباخس، وهي مدينة على نحو النصف من مرو، وهي عامرة صحيحة. «المسالك والممالك» للإصطخري (٢٧٢/١).

(٣) «**مرو**»: هي من أجلِّ كُوَر خراسان، افتتحها حاتم بن النعمان الباهلي في خلافة عثمان ﷺ سنة ٣١هـ، وأهلها أشراف من العجم، وبها قوم من العرب من الأزد، وبها ينزل ولاة خراسان. انظر: «آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان» للمنجم (ص؟؟؟).

(٤) «**إصطخر**»: بالكسر، وسكون الخاء المعجمة، والنسبة إليها إصطخري وإصطخرزي بزيادة الزاي: بلدة بفارس، وهي من أعيان حصون فارس ومدنها وكورها. قيل: كان أول مَن أنشأها إصطخر بن طهمورث ملك الفرس. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٢١١/١).

(٥) **هو شريك بن الأعور**، واسم الأعور الحارث الحارثي شاعر من أهل البصرة، وفد على عمر بن الخطاب ﷺ، وكان من أصحاب عليٍّ ﷺ، شهد معه الجمل وصفين، وفد على معاوية بن أبي سفيان ﷺ. قال عنه الذهبي: شيعي، وكان صاحب غزوات وجهاد، وليس من أهل الرواية. انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٦٦/٧٣)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٩٩/٣)، «المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري» (٢٣٧/١)، أكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري، تقديم: علي حسن عبد الحميد الأثري، الناشر: الدار الأثرية، الأردن – دار ابن عفان، القاهرة.

(٦) «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٤٩٣/٢).

الصلح، فبعث إليهم ابن عامر حاتم بن النعمان الباهلي(١)، فصالح براز مرزبان مرو على ألفي ألفٍ ومائتي ألفٍ(٢).

- معركة ذات الصواري(٣) ٣١ هـ:

أول معركة بحرية يخوضها المسلمون (فقد أصبح للمسلمين بحرية في عهد عثمان ﷺ)، وكانت ضد الروم على شواطئهم، وقاد المسلمين عبدُ الله بن أبي السرح من قِبَلِ معاوية بن أبي سفيان ﷺ، وهزم فيها الروم شرّ هزيمة، وقتل قائدهم الإمبراطور قسطنطين عندها... وغزا معاوية ﷺ الروم، ووصل إلى حدود عمورية (قرب أنقرة) عام ٣٣ هـ(٤).

فتح الباب(٥) وبلنجر(٦):

«ذكر الطبري في «تاريخه» عند سنة ٣٢هـ أن عثمان بن عفان ﷺ كتب إلى سعيدٍ: أن اغز سلمان الباب، وكتب إلى عبد الرحمن ابن ربيعة(٧) وهو على الباب: أن الرعية قد أبطر

(١) **هُوَ حاتم بن النعمان بن عمر الباهلي**، شهد مع معاوية صفين، وكان أميرًا على بعض العسكر، وكان حاتم هذا سيد بني باهلة بالجزيرة، وهو الذي افتتح مرو في زمن عبد الله بن عامر خلافة عثمان. انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١١/٣٧٩).

(٢) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٤/٣٠٠-٣٠٣).

(٣) هو دقل السفينة الذي ينصب في وسطها قائمًا، ويكون عليه الشراع. «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٣/٢٨).

(٤) «تاريخ خليفة بن خياط» (ص١٦٨)، «موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر» (ص١٢٢)، أحمد معمور العسيري، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية ط: الأولى، ١٤١٧هـ.

(٥) مدينة الباب والأبواب: وإنما سُمِّيت أبوابًا؛ لأنها قصور بنيت على طرق في الجبل تقريبًا ٣٦٠ قصرًا. انظر: «المسالك والممالك» لابن خرداذبة (ص١٢٣)، «البلدان» لابن الفقيه (ص٥٨٤).

(٦) «**بلنجر**»: بفتح أوله وثانيه، وإسكان ثالثه، بعده جيم مفتوحة، وراء مهملة: مدينة ببلاد الروم، شهد فتحها عدد من الصحابة. انظر: «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» لأبي عبيد البكري (١/٢٧٦).

(٧) **هو عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي**، أخ لسلمان، يعرف بذي النور، أدرك النبي ﷺ بسنة، ولم يسمع منه، ولا روى عنه، كان أسن من أخيه سلمان، وجعل إليه عمر بن الخطاب ﷺ الأقباض وقسمة الفيء، ثم استعمله على الباب والأبواب، وقتال الترك. انظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للقرطبي (٢/٨٣٢)، «أسد الغابة» لابن الأثير =

كثيرًا منهم البطنة[1]، فقصر، ولا تقتحم بالمسلمين، فإني خاشٍ أن يبتلوا، فلم يزجر ذلك عبد الرحمن عن غايته، وكان لا يقصر عن بلنجر، فغزا سنة تسعٍ من إمارة عثمان ﷺ حتى إذا بلغ بلنجر، حصروها ونصبوا عليها المجانيق[2] والعرادات[3]، فجعل لا يدنو منها أحدٌ إلا أعنتوه[4] أو قتلوه، فأسرعوا في الناس، وقتل معضد في تلك الأيام أن الترك اتَّحدوا يومًا، فخرج أهل بلنجر، وتوافت إليهم الترك، فاقتتلوا، فأصيب عبد الرحمن بن ربيعة -وكان يقال له: ذو النور- وانهزم[5] المسلمون فتفرقوا»[6].

= (٤٤١/٣)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٢٥٧/٤).

(١) «**البِطْنة**»، هي امتلاء البطن من الطعام. انظر: «شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم» (٥٥٤/١)، شوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. قلت: ومعنى كلامه ﷺ هو انفتاح الدنيا، وكثرة الترف، ولذلك أَمَره أن يقصر بهم.

(٢) «**المجانيق**»: بفتح الميم وكسرها، والمنجنوق: القذاف التي ترمى بها الحجارة. «لسان العرب» لابن منظور (٣٣٨/١٠).

(٣) «**العرادة**»: آلة من آلات الحرب القديمة، وهي منجنيق صغير، جمعه عرادات بتشديد اللام. انظر: «تاج العروس» للزَّبيدي (٣٧١/٨)، «المعجم الوسيط» (٥٩٢/٢)، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

(٤) «**العنت**»، هو إدخال المشقة والعظم المجبور يصيبه شيء فيعنته إعناتًا. انظر: «العين» للفراهيدي (٧٢/٢)، قلت: أي يصيب العظام بلا قتلٍ.

(٥) الهزيمة ليس معناها عدم النصر، ولذلك يستخدم هذا اللفظ المؤرخون الأولون، وقد يقصدون به الانسحاب كما هو معروف، وهو من التخطيط للمعركة، فمثلًا: «قال أبو عبيدة ﷺ لما نظر إلى هزيمة الروم نادى في المسلمين: معاشر الناس، لا يتبعهم أحد، ولا يفترق جمعكم؛ لأني أخشى أن تكون هزيمة القوم مكيدة لكم حتى إذا تفرق جمعكم زحفوا عليكم»، قال الصلابي: «ذلك لأن أكثرهم مدنيون، لا يفرقون بين هذين التعبيرين، «الهزيمة»، وهي ترك ساحة القتال بدون نظام، ولا قيادة، فهي كارثة، و«الانسحاب» وهو ترك ساحة القتال وَفق خطة مرسومة بقيادة واحدة، فهو (أي: الانسحاب) صفحة من صفحات القتال لإعادة الكرَّة على العدوِّ بعد إكمال متطلبات المعركة عَددًا وعُددًا، وعسى ألَّا يقع المؤرخون المحدثون في مثل هذا الخطإ في التعبير، فلا يفرقون بين «الهزيمة» و«الانسحاب»؛ لأن الفرق بين التعبيرين شاسع بعيد. انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١٢٣/١).

(٦) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣٠٤/٤)، «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٥٠٣/٢)، وفي لفظ: «فإني أخشى».

- **فتح الأحنف بن قيس بلخ**(١):

انطلق الأحنف من مرو الروذ إلى بلخ ليحاصرهم، فحاصرهم حتى صالحه أهلها أربعمائة ألف، فرضي منهم بذلك، واستعمل ابن عمِّه ليأخذ منهم ما صالحوه عليه، ومضى إلى خارزم(٢)، فأقام حتى هجم عليه الشتاء، فأمر الأحنف بالرحيل، ثم انصرف إلى بلخ، وقَدْ قبض ابن عمه ما صَالَحهم عليه، وكان وافق -وهو يجبيهم- المهرجان، فأهدوا إليه هدايا: من آنية الذهب، والفضة، ودنانير، ودراهم، ومتاع، وثياب، فقال ابن عم الأحنف: هذا ما صالحناكم عليه؟ قالوا: لا، ولكن هذا شيءٌ نصنعه في هذا اليوم بمَنْ ولينا نستعطفه به. قال: وما هذا اليوم؟ قالوا: المهرجان. قال: ما أدري ما هذا؟ وإني لأكره أن أرده، ولعله من حقي، ولكن أقبضه وأعزله حتى أنظر فيه، فقبضه، وقدم الأحنف فأخبره، فسألهم عنه، فقالوا له مثل ما قالوا لابن عمه، فقال: آتي به الأمير، فحمله إلى ابن عامر، فأخبره عنه، فقال: اقبضه يا أبا بحر، فهو لك؟ قال: لا حاجة لي فيه، فقال ابن عامر: ضمّه إليك يا مسمار(٣)، فضمّه القرشي، وكان مضمًّا(٤)(٥).

- **هزيمة قارن لما أراد استرداد خراسان**:

وقعت هذه الهزيمة سنة ٣٣هـ، وهو أنه لما رجع ابن عامر من الغزو استخلف قيس بن الهيثم(٦) على خراسان، فجاء قارن في جمعٍ من الترك، عددهم أربعون ألفًا، مقابل عبد الله بن

---

(١) «**بلخ**»، هي مدينة مشهورة بخراسان. «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٤٧٩/١).

(٢) هي خوارزم: من بلاد خراسان، وخوارزم اسم للقرية، وتسمَّى مدينتها الكبرى قيلا بالقاف، فقيل: مدينة خوارزم. انظر: «الروض المعطار في خبر الأقطار» للحِميرى (ص٢٢٤).

(٣) لم أجد له ترجمةً.

(٤) الضم والضمام: كلُّ شيء يضم به شيء إلى شيء. قلت: أي أخذه ووضعه في حصر الأموال النقدية. «العين» للفراهيدي (١٦/٧).

(٥) «تاريخ الطبري» للطبري (٣١٤/٤).

(٦) **هو قيس بن الهيثم بن قيس بن الصلت بن حبيب السلمي**: من الخطباء الشجعان، من أعيان البصرة في صدر الإسلام، كان من أنصار بني أمية فيها، ثم قام بدعوة «عبد الله بن الزبير» وصحب أخاه «مصعبًا» في ثورته إلى أن =

خازم السلمي[1] في أربعة آلاف، وجعل لهم مقدمة ستمائة رجل، وفكَّر بخطة عسكرية حيثُ أمر كلًّا منهم أن يجعل على رأس رمحه نارًا، وأقبلوا إليهم في وسط الليل، وهجموا عليهم مباغتةً، فثاروا إليهم، فناوشتهم المقدمة، فاشتغلوا بهم، وأقبل عبد الله بن خازم بمَنْ معه من المسلمين، فأحاطوا بهم، فولى المشركون مدبرين، واتبعهم المسلمون يقتلون مَنْ شاؤوا، وقتل قارن فيمَنْ قتل، وغنموا سبيًا كثيرًا، وأموالًا جزيلةً، ثم بعث عبد الله بن خازم بالفتح إلى ابن عامر[2].



= قتل، فتوجه إلى عبد الملك بن مروان، فعفا عنه وأكرمه. «الأعلام» للزركلي (٥/٢٠٩)، توفي بالبصرة (٢).

(١) **هو عبد الله بن خازم**، وهو ابن أسماء بن الصلت ابن أخي عمرو بن أسماء بن الصلت، ولي خراسان من قبل عبد الملك بن مروان، أصله من البصرة، شجاع مشهور، قدم به على معاوية، فتح على يده سرخس. انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣/١٦٣٣)، «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٨/٦).

(٢) انظر: «تاريخ خليفة بن خياط» (ص١٦٧).

المطلب الرابع
الفتوحات في عهد علي ابن أبي طالب
معركة الجمل (البصرة) ٣٦ هـ

«لم يبايع معاوية بن أبي سفيان ﷺ والي الشام عليًّا ﷺ؛ إذ كان يطالب بدم عثمان ﷺ، وكان عليٌّ ﷺ أجَّل هذا الأمر؛ لعدم استقرار الأوضاع، وبذا خرجت الشام عن الطاعة، واستقلَّ بها معاوية ﷺ، فقرر الخليفة قتاله، فخرج إليه عليٌّ ﷺ على جيشٍ من أهل الكوفة، وكان عليٌّ ﷺ نقل العاصمة من المدينة إلى الكوفة، وفي هذه الأثناء خرجت عائشة -رضي الله عنها- ومعها الزبير وطلحة -رضي الله عنهما- وجماعةٌ من مكة إلى البصرة ليستقروا بها، فوصلوا إلى هناك، وسيطروا عليها، وتمكنوا من قَتْل قَتَلَة عثمان ﷺ، وكتبوا إلى بقية الأمصار أن يفعلوا كذلك.

فغيَّر عليٌّ ﷺ خطَّ سيره من الشام إلى البصرة، وأرسل لعائشة -رضي الله عنها- ومَنْ معها يبين لهم سوء عاقبة فعلهم، وتسرعهم، فاقتنعوا بكلامه، وساروا إلى معسكره لإجراء المصالحة.

كاد الفريقان أن يصطلحا، فخاف ابن سبإٍ وجماعته المنحرفة، ورأوا ضرورة نشوب القتال، ونجحوا في إشعال الحرب بين الفريقين لأسباب تافهة.

التحم الفريقان، ولم يستطع عليٌّ ﷺ إيقاف القتال، وقد اشتدَّت المعركة أمام الجمل الذي يحمل هودج عائشة، فهزم جيش البصرة، وأكرم عليٌّ ﷺ عائشة -رضي الله عنها-، وأعادها إلى مكَّةَ، وكانت هذه أول معركة بين طرفين مسلمين، وقد قُتِلَ الكثير من المسلمين (يقدره بعض المؤرخين بعشرة آلاف)، وتمَّت البيعة لعليٍّ ﷺ في البصرة، فواصل بعدها مسيره إلى الشام»(١).

معركة صفين(٢):

«حدثت بين عليٍّ ومعاوية -رضي الله عنهما- سنة ٣٧ هـ، فقد سارت الرسل بين عليٍّ

---

(١) «موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر» للعسيري (ص١٣٠).

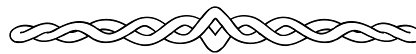
(٢) بكسر أوله وثانيه، وتشديده: موضع معروف بالشام، وهو الذي كانت فيه الحرب بين أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب ومعاوية. انظر: «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» لأبي عبيد البكري (٣/٨٣٧).

ومعاوية –رضي الله عنهما- بدون نتيجة، حتى عسكر الفريقان في صفين، ونشب القتال، وقتل الكثير من الطرفين، وكاد عليٌّ ﷺ أن ينتصر، فرفع أهل الشام المصاحفَ، وطلبوا تحكيم كتاب الله، وهذه حيلةٌ دبرها عمرو بن العاص ﷺ (قائد جيش معاوية) لإيقاف القتال، فنجح في ذلك، وتوقف القتال، والتقى حكما الفريقين، ولم يصلا إلى اتِّفاقٍ، وكتبت صحيفة التحكيم. وعادت الجيوش إلى بلادها»[١].

الخوارج ومعركة النهروان[٢] وقعت سنة ٣٨هـ:

الخوارج هؤلاء كانوا من ضمن جيش عليٍّ ﷺ، فخرجوا عليه بعد التحكيم واعتزلوه؛ لأنه قَبِلَ التحكيم، والعجيب أن أكثرهم كانوا قد أرغموا عليًّا ﷺ على قبول التحكيم، وطالب هؤلاء بالعودة لقتال معاوية ﷺ، فرفض طلبهم، فانحازوا إلى منطقة حروراء[٣]، وصمموا على القتال، ثم إنَّ هذه الجماعة أخذت تزداد وتتجمع في منطقة النهروان، فأخذوا يقتلون المسلمين، ويَعِيثُونَ فسادًا في الأرض، فخرج إليهم عليٌّ ﷺ وجادلهم طويلًا، وبيَّن لهم خطأ مذهبهم بكلِّ طريقةٍ، فارتدع بعضهم، أما الأكثرية فصمموا على القتال، فنشب القتال، وأبادهم عليٌّ ﷺ تمامًا، ولم ينجُ منهم إلا عدد أقل من عشرة[٤].

وبهذا نكون قد انتهينا من بعض فتوحات الخلفاء الراشدين ﷺ مُعرِّجين على ما له علاقة في الرسالة، ومَنْ أراد الاستزادة، فليراجع الكتب التي ذكرت ذلك في مواضعه.



---

(١) «موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر» للعسيري (ص١٣١).

(٢) هي مدينة من مدن العراق صغيرة من بغداد إليها مشرقًا اثنا عشر ميلًا. انظر: «الروض المعطار في خبر الأقطار» للحِميرى (ص٥٨٢).

(٣) قيل: هي قرية بظاهر الكوفة، وقيل: موضع على ميلين منها نزل به الخوارج الذين خالفوا عليّ ابن أبي طالب ﷺ، فنسبوا إليها. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٢/٢٤٥).

(٤) «موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر» للعسيري (ص١٣١).

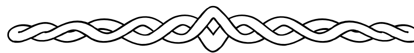
الفصل الأول
مظاهر الرحمة
في مرحلة الإعداد للحرب في عهد الخلفاء الراشدين ﭫ

المبحث الأول: دوافع الحرب.

المبحث الثاني: مراعاة أزمنة وأمكنة الحروب.

المبحث الثالث: اختيار المجاهدين والقادة.

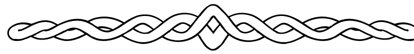
المبحث الرابع: إعداد المجاهدين وتأهيلهم.



المبحث الأول
دوافع الفتوحات

كان عصرُ الخلافة الراشدة متممًا للهدف الذي بُعِثَتْ من أجله الرسل، وأُنزلت له الكتب، وحيث إن الرسول ﷺ ربَّى صحابته ﵃ على هذا الهدف الدائم، الذي بدأ من أول رسول إلى خاتم الرسل -صلى الله عليهم وسلم-، فَوَضعه الصحابة ﵃ بين أعينهم؛ تحقيقًا وتحملًا لمتاعبه، والصبر في سبيله، فجيَّشوا الجيوش له؛ رحمةً بالناس، كما بعث نبيهم ﷺ رحمةً للعالمين، فكانوا خيرَ وارثٍ لهذا الهدف العظيم، وهو إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وكما أن لكل حربٍ دافعًا إلا أن هناك ثمة دافعٍ عامٍّ يتفق عليه الخلفاء ومَنْ بعدهم ممَّنْ سلك سبيلهم، واقتفى آثارهم، ألَا وهو الدعوة إلى الله؛ رحمةً للعالم أجمع.





المطلب الأول
بيان مفهوم "دوافع"

سبق أَنْ بيَّن الباحث معنى «الفتوحات»، وتحتم منهجية البحث العلمي بيان معنى «الدوافع» لغةً واصطلاحًا، لقد وردت كلمة «دفع» في معاجم اللُّغة العربية في عدَّة معانٍ، ولعلي أقتصر فقط على ما يخدم موضوع البحث فيما يتعلق بالحرب، فأقول:

جاءت كلمة «دفع»:

أولًا: لغةً:

١- بمعنى: أزال بقوة(١).

٢- بمعنى: مضى في الأمر(٢).

٣- بمعنى المنع، يقال: دفع عنه الأذى والشر، أي: منعه(٣).

٤- بمعنى الولع، يقال: دافع الرجل أمر كذا إذا أولع به، وانهمك فيه(٤).

٥- وجاءت «دوافع» بمعنى: حوافز وأسباب(٥).

لقد جاءت كلمة «دافع» في معاجم اللُّغة بما يقارب عشرة معانٍ، كل معنًى حسب الجملة التي جاء بها، ويميل الباحث إلى القول الخامس، أي: أسباب وحوافز جعلت الخلفاء ينطلقون للفتوحات الإسلامية.

---

(١) «مقاييس اللغة» لابن فارس (٢/٢٨٨).

(٢) «أساس البلاغة» (١/٢٩٠)، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٣) «تاج العروس» للزَّبيدي (٢٠/٥٥٣).

(٤) «لسان العرب» لابن منظور (٨/٨٩).

(٥) «معجم اللغة العربية المعاصرة» لأحمد مختار (١/٧٥٣).

ثانيًا: اصطلاحًا:

وسيقتصر الباحث على تعريف جمع تعاريف عدة؛ سواء أكانت في الكتاب أم السُّنة أم علم النفس، وهو ما ذكرته جوهرة الظبيبان: «الحوافز والمحركات لرغبات الإنسان للقيام بعملٍ ما»(١).

فَيَرى الباحث أنَّ الحوافز والمحركات والأسباب التي دفعت الخلفاء الراشدين ﷺ إلى الفتوحات الإسلامية هي التعريف الاصطلاحي.



---

(١) انظر: «دوافع السلوك الإنساني وضوابطه العلمية على ضوء الكتاب والسنة» (٢١/١)، رسالة ماجستير، جوهرة صالح الظبيبان، أم القرى، ١٤١٠.

المطلب الثاني
الدوافع التي دفعت الخلفاء الراشدين ﭫ إلى الفتوحات الإسلامية

الدافع الأول: نشر الدعوة الإسلامية:

يقول الشيخ علي الطنطاوي[1] رحمه الله: «إن الغاية من كلِّ الفتوح هي ضمّ البلاد المفتوحة إلى أملاك الفاتحين، والانتفاع بخيراتها إلا الفتح الإسلامي، فلم تكن هذه غايته، بل كانت نشر الإسلام دون إكراه»[2].

«لقد مكث النبيُّ ﷺ في مكَّة ثلاثة عشر عامًا يدعو إلى التوحيد، ويُربِّي أصحابه على العقيدة، ويغرسها في نفوسهم، فكان ﷺ طيلة هذه المدة يبذل غاية جهده لتخليص النفوس من شوائب الشرك، ويربي نفوس المؤمنين على صِدق التوجه لله إرادةً وقصدًا وعبوديةً خالصةً»[3]، «فلمَّا هاجر، وَضَع أُسس الدولة الإسلامية الشامخة في المدينة المنورة، واستمرَّ ﷺ بتَلقِّي الوحي المناسب للمرحلة، فلم يعد الوحي قاصرًا على العقيدة فقط، بل تناولها مع الشريعة والأخلاق»[4] ليقضي أيضًا على حروبٍ قبليةٍ عصبيةٍ، وينشر الأمن والإيمان، ممَّا جعل الرسول ﷺ يرسم خطة الجهاد منذ أن تكوَّنت دولة الإسلام في المدينة، فَقَام بعبء الجهاد في سبيل الله؛ لتبليغ الدعوة إلى جانب إرسال الكتب والرسل إلى مَنْ كان يعاصره من الملوك، والأمراء، والقادة، والزعماء..

---

(١) هو الشيخ عليّ مصطفى الطنطاوي سوري الجنسية، والأصل أنه من طنطا المعروفة، تعلم على أبيه الفقه، كان أديبًا فقيهًا قاضيًا، له برامج تلفزيونية عدة في السعودية، أصبح معلمًا في سورية والعراق وغيرها، مات سنة ١٩٩٩م في جدة، ودفن في مكَّة رحمه الله. انظر: «المعجم الجامع في تراجم المعاصرين» (ص٢٣٢).

(٢) «الجهاد والقتال في السياسة الشرعية» (٥٥٩/١)، محمد خير هيكل، ط: البيارق.

(٣) «وقفات مع أحاديث تربية النبي ﷺ لصحابته» (ص١٠٥). عبد الرحمن بن عبد الكريم الزيد، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ط: السنة السادسة والثلاثين العدد (١١٢) ١٤٢٤هـ.

(٤) «السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني» (ص٧)، أحمد أحمد غلوش، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع. ط: الأولى ١٤٢٤هـ.

ورسول الله ﷺ قام فعلًا بتبليغ الدعوة ونشرها عن طريق الجهاد، وغزواتُهُ وسراياه كثيرة، وتظهر في بعضها خطته في نشر الدين خارج شبه الجزيرة العربية (١)، ولا يعقل أن تكونَ هذه الفتوحات وليدة المصادفة، أو ارتجالية حيث لا يعقل أن تنشأ إمبراطورية على الحظ أو المصادفة؛ لأن أيَّ أُمَّةٍ من الأمم لها أهدافها، فلابد أن تسعى سعيًا حثيثًا لترى أهدافها النور، فكيف بدولة الإسلام التي أنشأها الرسول العظيم ﷺ لتصبح بعد وفاته إمبراطوريةً إسلاميةً تخشاها أعظم دولتين في عصرها، فإن معجزة ظهور دولةٍ كالدولة الإسلامية، وما حققته من رفعةٍ وتقدمٍ كان وراءها عبقريات رسموها وخططوا لها، كما خطط لها -صلوات ربي وسلامه عليه- حاضرة أيام حياته، ومستقبلية بعد موته، فكان يبشر الناس بالفتوحات التي ستحدث مستقبلًا.

ولما مات ﷺ، قام بتحقيق هذا الهدف أصحابه من بعده، فكان هدفهم الدعوة إلى الله ﷻ لجميع الناس، فساروا جميعًا إلى تحقيقها، بدءًا بالخلفاء الأربعة ﭫ، وانتهاءً بكل مَن حمل راية هذا الدين العظيم، فكان هدفهم نشر الدين الإسلامي، والقوة الإسلامية، وإعلاء كلمة: «لا إله إلا الله».

ولقد ساعد قوام هذا الهدف أسباب عدَّة، منها:

أ- انطلاقه من عقيدة راسخة:

فإن الله ﷻ خلق الجنَّ والإنس؛ ليعبدوه وحده لا شريك له، وليعظموا أمره ونهيه، وليعرفوا أسماءه وصفاته، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾(٢).

وقال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾(٣).

---

(١) انظر: «كتاب الرِّدة» للواقدي (٤٩/١)، «انتشار الإسلام والفتوحات الإسلامية زمن الراشدين» (ص٧٧، ٧٨)، جميل عبد الله المصري، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: السنة الحادية والعشرون - العددان الواحد والثمانون والثاني والثمانون المحرم - جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ.

(٢) سورة الذاريات آية (٥٦).

(٣) سورة البقرة آية (٢١).

وقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾(١)، ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٦﴾(٢).

وقال ﷺ: «**أُمِرْتُ أن أُقَاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عَصَموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقِّ الإسلام، وحسابهم على الله**»(٣)، ممَّا جَعَل تمسك الفاتحين بعقيدتهم، وتطبيق أحكام الإسلام على أنفسهم، والتزامهم بها، وحسن عرضهم لدعوتهم هو سبب دخول الناس في دين الله أفواجًا، ولقَدْ عرضوا الإسلام على أهل البلاد، سلوكًا، وعملًا، وقولًا، فاعتنقه كثيرٌ من النصارى واليهود والمجوس، وفي أعدادٍ كثيرةٍ، وحماسةٍ كبيرةٍ(٤).

ومن خلال هذه الآيات والأحاديث السابقة التي دلَّت أن العقيدة الإسلامية تتطلب التبليغ للناس كافَّة، ومَنْ يقف مانعًا هذه العقيدة، فإنه حتمًا على أهلها أن يبلغوها بالطرق والوسائل لكي تدخل القلوب؛ لأن القتال لم يُشرَع لأجل التعطش للقتل وإزهاق الأنفس، والتلذذ بكثرة الرؤوس، والجثث، والدماء أو شرع لأجل إشعال الحروب بين الناس، والوقوف للفرجة والتمتع في رؤيتهم، ولكن شُرِعَ لإقامة شريعة الجهاد: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾(٥).

وإعلاء كلمة التوحيد، ومقاتلة مَنْ كفر بالله ليس على إطلاقه، بل بشرط رفضه هذه العقيدة، والوقوف بوجهها، وعدم نشرها، والسعي للبقاء على عقائدَ واهيةٍ، ومنع التمكين في الأرض، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والقضاء على العبادة المطلوبة من الخلق.

---

(١) سورة سبأ آية (٢٨).

(٢) سورة التوبة آية (٣٦).

(٣) «صحيح البخاري»، كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة، (ح ٢٥) (١/١٤).

(٤) «انتشار الإسلام والفتوحات الإسلامية زمن الراشدين» لجميل المصري (ص٩٢).

(٥) سورة الحج: آية (٣٩).

وجاءت هذه العقيدة باذلةً للمعرض عنها فرصةَ التخيير بين (الإسلام أو الجزية أو القتل)؛ لتنقل للناس صورةً جميلةً في الرحمة الإسلامية، ولحتمية نشرها للناس كافَّة من طرق كثيرة، من أعظمها: الجهاد في سبيل الله؛ لأنه السبيل لنشرها، والتعرف عليها، ومقارنتها بالعقائد الأخرى.

ب- الصراع بين الحقِّ والباطل:

إن حقائق العقيدة واضحة جلية، ولم تكن خافيةً على أحدٍ من سكان الدول المجاورة، أو مسؤوليها، وكما هو معروف تاريخيًّا فإن المجتمعات الفارسية والرومانية والعربية قد انتشر فيها الكثير من المعتقدات والأديان قبل مجيء الإسلام، حيثُ كانت المسيحية منتشرةً بين الروم والعرب التابعين لهم في بلاد الشام، وكانت عبادة النار منتشرةً بين الشعوب الفارسية، وانتشرت بعض الأديان الأخرى كعبادة الأصنام والكواكب والنجوم على أطراف الجزيرة، وفي داخلها، وجميع هذه الأديان كانت منتشرةً بدرجاتٍ متفاوتةٍ بين شعوب هذه المنطقة حتى أصبحت تشكل عقبةً بوجه الدعوة الإسلامية، فلذلك أيّ متتبع للأحداث لابد أن يتوقَّع حتمية المواجهة للصراع بين هذه العقيدة الناشئة، وبين العقائد الأخرى، كما أنه من غير المعتقد أن فكرة القضاء على العقيدة كانت غائبةً أو بعيدةً عن عقول الساسة، وأصحاب القرار في أعظم دولتين (الروم والفرس)، وأتباعهم من العرب، ويرتكز هذا التوقع على ظهور مصلحة مشتركة للدولتين، وهدف واحد تتفقان عليه، وهو القضاء على هذه العقيدة الناشئة قبل أن يستفحلَ خطرها، إضافةً إلى أن الدولة الإسلامية كانت تمتلك حدودًا مع هاتين الدولتين: شرقًا مع الفرس، وغربًا مع الروم، ولذلك أيّ استراتيجية إسلامية لابدَّ لها أن تنطلق محاولةً بناء قوة قادرة على الدفاع عن نفسها من جهةٍ، ولديها القدرة على اختراق حدود هاتين الدولتين من جهة أخرى، على اعتبار أن الهجوم خير وسيلة للدفاع.

وإذا كان هدف الدولة الإسلامية الأبعد هو نشر العقيدة وإن كانت تتطلب هذه العقيدة السيادة على غيرها من العقائد، فإن تشكيلَ الجيوش الإسلامية وتجهيزها يصبح حتميًّا على الدولة للدفاع عن نفسها، وقَدْ أدركت الدولة الإسلامية هذه الحقيقة قَبْلَ أن يدركها غيرها،

فَبَادرت بحشد الإمكانات المناسبة، وما يتلاءم مع هذه الحتمية، وذلك لتحقيق عنصر المبادرة، فتبنَّت استراتيجية التطبيق العملي عندما انطلقت جيوشها في الفتوح الإسلامية(١) ومن رحمة الله بعبادة أن جعل الصراع قائم بين الحق والباطل إلى قيام الساعة؛ ليميز الله الخبيث من الطيب والصادق من الكاذب، ولولا هذا الأمر الكوني لأصبح الخلق كلهم سواء ومصيرهم سواء، وتبقى حكمة الله في كونه وشرعه لا يعلمها إلا هو جلَّ في علاه.

ج- تحقيقًا للانتشار الدعوي سياسيًّا واقتصاديًّا:

إن الدعوةَ إلى الله مرتبطةٌ في توسعها وانتشارها في أقطار المعمورة مما يحمله أهلها من البلاغ رحمة للناس كافَّةً، ومما يساعد في توسع رقعة البلاد الإسلامية، ومما يحتم هذا السبب أنه متآزر مع الدعوة إلى الله، فبكثرة الداخلين فيها يكون هناك انتشارٌ في الرقعة الأرضية الإسلامية، مما يستوجب على أهلها قدرات وإمكانات بقدر حجمها وتبعاتها العظيمة؛ لأن طبيعة هذه المسؤولية تأتي من خلال شمولية هذه الدعوة، وبُعْدها العالمي المستقبلي الذي يستوجب عليها وجود دولةٍ ذات سيادة مرموقة، وصاحبة دورٍ عالميٍّ يتماشى مع مقتضيات العقيدة.

لقد فرضت هذه الحقائق ذاتها على القيادات السياسية والدينية الإسلامية السعي لتطوير قدراتها، ودورها العالمي؛ لأنه لا يعقل لعقيدةٍ ذات خصوصية وشمولية عالمية أن ترتقي بمسؤولياتها دولة ذات دور هامشي، وقدرات منهكة ضعيفة على الصعيد السياسي، والعسكري، والاقتصادي، بل لابد من التطوير والارتقاء بهذ القرارات؛ لتتآزرَ مع حجم المسؤولية الملقاة على عاتقها، ولتصبح مساويةً أو مجاوزةً قريناتها من الدول الأخرى، والاقتصاد هو الأساس المتين للبناء، والجزيرة العربية -كما هو معروفٌ- منطقة جغرافية تتصف بضآلة مواردها الاقتصادية، لذلك اقتضت هذه العقيدة الانطلاق إلى أماكنَ واسعةٍ رحبةٍ؛ لأن التمدد الجغرافي يمثل عنصرًا مهمًّا في تطوير مساحة الدولة؛ لكي يُكسب الدولة موقعًا استراتيجيًّا مهمًّا، وسياسيًّا واقتصاديًّا يخدمها في نشر هذه العقيدة وترسيخها(٢).

---

(١) انظر: «اليرموك الاستراتيجية والحسم» (٣٩، ٤٠)، علي محمد المراشدة، الأردن - ١٩٩٧.

(٢) المصدر نفسه (ص٤٠، ٤١).

الدافع الثاني:الحفاظ على الدولة الناشئة:

أ - عملًا بوصية الرسول ﷺ:

لما قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده، لو ظننت أن السباع تختطفني لأنفذتُ جيش أسامة كما أمر النبي ﷺ، فخاطب الناس، وأمرهم بالتجهز للغزو، وأن يخرج كل مَنْ هو من جيش أسامة إلى معسكره..»[١].

«في خِضَمِّ هذه الابتلاءات حيث مات الرسول ﷺ، وارتدَّت العرب، وادَّعى أناسٌ النبوة، وضعفت الهمم، ومُنعت الزكاة، وأشار بعض الصحابة رضي الله عنهم إلى عدَم تنفيذ هذا الجيش؛ لاحتياج الصديق رضي الله عنه لشيءٍ أهمّ، وأبدى بعض الصحابة رضي الله عنهم تحفظًا على إرسال هذا العدد الكبير من المقاتلين إلى خارج المدينة في ظلِّ أجزاء ثورات القبائل والمرتدين، لكن أبا بكرٍ رضي الله عنه أبَى أن يخالفَ وصيَّة النبي ﷺ، وأثبتت الأحداث أنه كان محقًّا في إصراره؛ لأن في ذلك دلالات واضحة على قوة المدينة، وثقتها بنفسها، وساعد على رفع هيبتها في عيون القبائل»[٢]، «وكان منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومع كلّ هذه الضغوط يأتي خليفة الرسول ﷺ وعلى عاتقه وصية نبويَّة سمعها قبل وفاة حبيبه ﷺ، وهي: أن يُمضي جيش أسامة بن زيد رضي الله عنه، ولو أن تخطفه الطير والسباع من حول المدينة، مما جعل عمر رضي الله عنه يصفه بقوله: فوجدته في ذلك أمضى مني، وأحزم، وأدب الناس على أمورٍ هانت على كثيرٍ من مؤنتهم حين وليتهم»[٣].

ب- التصدي للمرتدين:

«الحدثان البارزان في خلافة أبي بكر رضي الله عنه القصيرة هما: الرِّدة، وانطلاق الفتوح الإسلامية خارج نطاق الجزيرة العربية، وكان لكلٍّ منهما تأثيره الخاص على مستقبل الدعوة الإسلامية والعرب»[٤].

---

(١) «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٢/١٩٥).

(٢) «تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية» لمحمد طقوش (ص٦٢).

(٣) المصدر نفسه (ص٥٩).

(٤) «تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية» لمحمد طقوش (ص٢٩).

ولما مات الرسول ﷺ، ارتدت أغلب القبائل عن الإسلام كما وصفهم الله بقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾(١)، أي: «ارتددتم عن دينكم الذي بعث الله محمدًا ﷺ بالدعاء إليه، ورجعتم عنه كفارًا بالله بعد الإيمان به، وبعدما قد وضحت لكم صحَّة ما دعاكم محمد ﷺ إليه، وحقيقة ما جاءكم به من عند ربِّه ﷻ، ومَنْ ينقلب على عقبيه، يعني بذلك: ومن يرتدد منكم عن دينه، ويرجع كافرًا بعد إيمانه»(٢). «حيث قال عبد الله بن مسعود ﷺ: لقد قمنا بعد رسول الله ﷺ مقامًا كِدْنَا نهلك فيه، لولا أن الله مَنَّ علينا بأبي بكر ﷺ.. فوالله ما رضي منهم إلا بالخطة المخزية أو الحرب المجلية(٣)؛ فأما الخطة المخزية أن يقروا بأن مَنْ قتل منهم في النار، ومَنْ قتل منا في الجنة، وأن يَدُوا(٤) قتلانا، ونغنم ما أخذنا منهم، وأن ما أخذوا منا مردود علينا، وأما الحرب المجلية فأن يخرجوا من ديارهم»(٥).

ويُلَاحظ هنا مظهرٌ من مظاهر الرحمة، حيث إن أبا بكر ﷺ خيَّرهم بين الخطة المخزية، أو الحرب المجلية، ولم يلزمهم بأمرٍ واحدٍ لا خيار لهم به، ولا محيص عنه، بل حتى هذان الأمران فيهما من الرحمة الإعدادية للمتأمل، فبالخيار الأول خطة مخزية، وهو ما يسمَّى: حربًا نفسية، وإقرارًا بالانهزامية، والاعتراف أن قتلاهم في النار، مما يقتضيه أن عدوهم بنسبه لهم في الجنة،

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٤٤).

(٢) «تفسير الطبري» (٧/٢٥١)، = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٣) تقول العرب: اختاروا، فإما سلم مخزية، أو حرب مجلية، أي: إما صلح على ذلٍّ، أو حرب تخرجكم عن الدار والمال. «شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم» للحميري (١١٤٨/٢).

(٤) وديت القتيل أديه ديةً، إذا أعطيت ديته، واتديته: أي أخذت ديته، والهاء فيها عوض من الواو المحذوفة. وجمعها: ديات. «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (١٦٩/٥).

(٥) «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٢٠١/٢).

وهذا له أثرٌ على النفس البشرية لما يعتريها من الإحساس بالذُّلِّ والهوان والانكسارية النفسية قبل الخوض في المعركة الجسدية، وكذلك أن يداووا قتلى خصمهم، ويشرعوا بتطبيبهم، والنظر في أحوالهم، والسعي في دمل جراحهم، والقيام عليهم حتى يصحوا، وإن الغنائم التي أخذوها تُرد لخصمهم لا العكس، وكلُّ هذه الأمور في هذا الخيار ليس فيه قتل ولا تشريد، بل هو بمنزلة الهزيمة النفسية قبل العسكرية، وفيه رد للحقوق الإنسانية، وإذا تأملنا الخيار الثاني وهو الحرب المجلية، لوجدنا روح الرحمة ينبض حيثُ الخروج فقط، والبعد عن ديار الإسلام خوف الإفساد في الأرض أو غرس الرِّدة في قلوب مَنْ بهم مرضٌ.

الدافع الثالث: شرعيَّة الجهاد لبقاء الدعوة ووصولها للأمم:

قام الصديق ﷺ بمواصلة الجهاد؛ لتأمين الدعوة ووصولها للناس، فجهز الجيوش، وندب الناس للخروج إلى الجهاد في سبيل الله لنشر دعوة الحقِّ، وإزاحة الطواغيت الذين رفضوا دعوة النبي ﷺ لهم بالإسلام(١)، فالجهاد في سبيل الله ليست غايتُهُ حملَ الناس على الإسلام، وإلزامهم باعتناقه، وليس لاستعمار الشعوب ونهبها، واستغلال خيراتها، واستعباد أفرادها وإذلالهم، إنما هو فرضٌ لمصلحة البشر، ولفائدة المجتمعات لإفساح المجال لتوحيد الله سبحانه وعبادته، وتكوين مجتمع الخير والعدل، بإزالة العقبات والحواجز التي تَحُول بين الناس وإبلاغهم دعوة الإسلام(٢)، وهو ما فعله الخلفاء ﷺ من بعده كتجهيز عمر ﷺ الإمداد للجبهات العراقية، وتعزيز الفتوحات الإسلامية في عهده، وانتشارها، وهو الطريق الذي سارَ عليه مَن بعده.

---

(١) انظر: «تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين» (ص٢٦٠، ٣٣٢)، يسري محمد، جامعة أم القرى مكة، الملك فهد الوطنية، ط: ١٤١٨هـ.

(٢) انظر: «انتشار الإسلام والفتوحات الإسلامية زمن الراشدين» لجميل المصري (ص٧٦).

الدافع الرابع: الاقتصادي:

وسوف يتناول الباحث هذا الدافع من جهتين:

الجهة الأولى: من ناحية عامَّة في الاقتصاد:

لقد عززت معركة المذار(١) أهمية منطقة الأبلة الاقتصادي، والعسكري بوصفها الطريق المائي الوحيد بين المدائن والشرق(٢)، وتتكرر الصورة المشابهة لها في معركة داثن حيث حقق المسلمون النجاح إلى مدًى أبعد شرقًا، وفي منطقة مختلفة، وخلَّفت الخسارة البيزنطية صدى قويًّا، تراوح بين الفرح الذي عمَّ السكان اليهود بخاصَّة الذين عدُّوا انتصار المسلمين فاتحة زوال السيطرة البيزنطية، وبين الأسى الذي عمَّ الدوائر الحاكمة في القسطنطينية، وبعض القبائل العربية في بلاد الشام.

وتمثل هذه المعركة إلى جانب الهدف الديني الأسمى للمسلمين، المقاومة الإسلامية للمحاولات البيزنطية لتضييق الخناق الاقتصادي عليهم، من واقع فرض السيطرة على المناطق الحدودية، والتحكُّم بمرور القوافل التجارية بعد أن استعَاد هؤلاء سيطرتهم على سواحل البحر الأحمر، كما تعدُّ دومة الجندل موقعًا حصينًا بين المدينة ودمشق، ولها أهمية تجارية وعسكرية تحث المسلمين على فتحها.

وكذلك نلحظ هذا الهدف في عهد الفاروق ﵁، حيثُ اتَّخذ البصرة قاعدةً؛ لكي يحمي البلاد من الهجمات الفارسية الارتدادية، وكلَّف رجلًا بإقامة مدينة قريبة من ميناء الأبلة، حيث كانت ترسو سفن فارس والهند، وقد وصف له طبيعة الأرض وموقعها كما لا يخلو هذا الهدف في عهد عثمان ﵁، فمثلًا: في غزوة قبرص حينما كَتَب معاوية بن أبي سفيان ﵁ إلى أهل السواحل بالاستعداد لغزو قبرص التي اختارها هدفًا عسكريًّا لنشاط الأسطول الإسلامي بفَضْل وضعها

---

(١) مدينة على نهر دجلة، كانت قاعدة ميسان، وسميت المذار؛ لفساد تربته، تعريف بالأعلام الواردة في «البداية والنهاية» لابن كثير (١/٢٥١).

(٢) انظر: «تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية» لمحمد طقوش (ص١٣٥).

الجغرافي المتميز آنذاك، كقاعدةٍ لغزو القسطنطينية، وقد تَجْتمع عوامل تدفع المسلمين إلى فتح مدينةٍ استراتيجيةٍ في موقعها، غنيةً في مصادرها، وعسكريةً في قاعدتها، ففي فتح طرابلس تضافرت ثلاثة عوامل دفعت المسلمين إلى فتح طرابلس: سياسية، واقتصادية، وعسكرية..

فمن الناحية السياسية: كان لا بدَّ من إحكام السيطرة الإسلامية على مدن الساحل الشامي، ولا يتمُّ ذلك إلا بفتح طرابلس آخر المعاقل البيزنطية على هذا الساحل.

ومن الناحية الاقتصادية، تشكل طرابلس منفذًا بحريًّا هامًّا لبلاد الشام، وثغرًا لدمشق وحمص.

ومن الناحية العسكرية، كانت طرابلس قاعدةً بيزنطيةً مهمةً، راحت تهدد مكتسبات المسلمين من واقع مهاجمة الثغور البحرية الإسلامية(١).

الجهة الثانية: من ناحية الغنائم:

إن الغنائم كانت نتيجةً ولست سببًا، وإن مَنْ يُقدِّم حياته من أجل عقيدته، لا يفكِّر في الغنائم، فكانت الغنيمة نتيجة للفتوحات، وليست سببًا فيها، فنال المسلمون خيري الدنيا والآخرة، وكانوا يُؤْثرون الشهادة على الغنيمة، وعلى الحياة، ولا يعني هذا أن جميع الجند كانوا يحملون هذه الروح، بل وُجِدَ بين المسلمين مَن اندفع من أجل الغنيمة، وهؤلاء لا يُعْتَدُّ بهم، وليسوا سببًا في الفتوحات، ولا يخلو من أمثالهم زمنٌ، حتى على عهد رسول الله ﷺ في حنين، وحصار الطائف، وغزوة تبوك وغيرها، ومن البديهي أن ذلك لا يمثل القيادة الفكرية التي كانت تَدْفع المسلمين إلى الفتوحات، وتبنَّاها الخلفاء والقادة والجند، ونفَّذها الجند المسلم، كما أنه لا يمثل بحالٍ من الأحوال وجهة نظر الأُمَّة المسلمة، ورأيها العام، ولهذا فقَدْ تميَّز الجند الإسلامي بالحرص على نَيْل الشهادة، والعف عن المغانم، وعدم استحلالها إلا محلها، تشهد بذلك النصوص الصريحة الكثيرة، وشهد بذلك أعداؤهم(٢).

(١) المصدر نفسه (ص١٤٢- ٣٧٧).

(٢) انظر: «انتشار الإسلام والفتوحات الإسلامية زمن الراشدين» لجميل المصري (ص٨٩، ٩٠).

الدافع الخامس: ترسيخ هيبة الدولة في نفوس الأمم الأخرى:

لا شكَّ أن الرعب الذي يقذفه الله في قلوب الأعداء من النصر الذي أيده الله لهذه الأُمَّة، والرسول ﷺ نُصِرَ بالرعب، فقد ورد عنه أنه قال: «**نُصرت بالرعب مسيرة شهر**»(1).

قال ابن بطال(2): «قال المهلب، قوله: «**نُصرْتُ بالرعب**»، هو شيء خصَّه الله، وفضَّله به، لم يُؤْتِهِ أحدًا غيره، ورأينا ذلك عيانًا... قال: افتتحنا برشلونة مع ابن أبي عامر، ثم صحَّ عندنا بعد ذلك عمَّن أتى من القسطنطينية، أنه لما اتصل بأهلها افتتاح برشلونة، بلغ بهم الرعب إلى أن غَلَّقوا أبواب القسطنطينية ساعة بلوغهم الخبر بها نهارًا، وصاروا على صورها وهي على أكثر من شهرين»(3).

لقَدْ حقق الخلفاء ﷺ هذا الهدف من خلال طرقٍ عدَّةٍ، فهذا جيش أسامة ﷺ الذي أنْفَذه الصديق ﷺ له أثر بالغ في نشر هيبة الدولة الإسلامية، وقد جعل الروم يتساءلون عن الجيش الذي حاربهم وعاد منتصرًا إلى عاصمة دولته، فامتلأت قلوبهم فزعًا حتى حشد هرقل عشرات الألوف من جيشه على الحدود، فقد نقلت تلك الأخبار إلى بلاد كسرى، وَتَنَاقلها الناس مما كان له الأثر في نَشْر هيبة المسلمين في قلوب هذه الدول(4).

إنَّ وصول أخبار الانتصارات هذه التي أيَّد الله بها الأمةَ المسلمة في حروب الرِّدة، وتوالي

(1) انظر: «صحيح البخاري» كتاب التيمم (1/74 ح 335).

(2) **هو علي بن خلف بن بطال**، ويعرف بابن اللجام. قال ابن بشكوال: كان من أهل العلم والمعرفة، عني بالحديث العناية التامَّة؛ شرح الصحيح في عدَّة أسفار، رواه الناس عنه، واستقضي بحصن لورقة، مات 449هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (13/303)، «ديوان الإسلام» (1/340)، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (المتوفى: 1167هـ)، المحقق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1411هـ - 1990م. «الأعلام» للزركلي (4/285).

(3) انظر: «شرح صحيح البخارى» (5/142)، لابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: 449هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، 1423هـ - 2003م، عدد الأجزاء: 10.

(4) انظر: «تاريخ الدعوة إلى الإسلام» ليسري محمد (259).

الانتصارات على فارس والروم مما ساعد في نشر هيبة دولة الإسلام، كما أن سياسة الفاروق ﵁ حققت في فتح الأبلة والبصرة خوفًا في قلب يزدجرد حينما أراد أن يفتح جبهةً ثانيةً ضده، فأرسل أحد الصحابة ﵃ إلى البصرة لأجل فتح الأبلة؛ لأن سقوطها سوف يربك الفرس، ويزيد الوضع الفارسي سوءًا[(١)].

الدافع السادس: نشر العدل بين أهل الأرض المفتوحة:

«كانت فتوحات الخلفاء الراشدين ﵃ تحمل معها جانبًا عظيمًا من العدل فيما بين الأمم، ونشر الأمن فيهم، حتى يفرق الناس بين أُمَّة فاتحة وأمَّة ظالمة، وبين الحقِّ والباطل، وحتى لا يظنّ الناس أنه قَدْ ذهب جبَّار ظالم؛ ليحل مكانه من هو أشد منه أو مثله في ظلمه وجبروته.

وحافظ المسلمون الفاتحون على الإنسان والعمران؛ مما جعل مظاهر العدل بارزةً في عصر القرون المفضلة المطبقة للإسلام التي تدلُّ على أن المسلمين قد كانوا في رسالتهم الحضارية للناس جميعًا متمثلين أسس هذه الرسالة تمثلًا سويًّا، ومن أجل ذلك فَتحَتْ لهم الأرض والنفوس والقلوب أبوابها، في مشارق الأرض ومغاربها، وهذا ما جعلهم يقودون موكب الحضارة العالمية الرائدة الصاعدة إلى قمم المجد، وما زالوا كذلك حتى أدركهم الوهم، والبُعْد عن المنهج الإسلامي العظيم.

وكان لإلغاء الفوارق العرقية، والعنصرية، والإقليمية، والطبقية الذي نادت به أسس الحضارة الإسلامية أثره العميق في البناء الفكري للمجتمع الإسلامي، الذي وعى الإسلام حقًّا وتأدب بآدابه»[(٢)].

«إننا نجد هذا في وصايا أبي بكرٍ ﵁ حينما وصَّى قواده بالرحمة والعدل والإحسان إلى الناس؛ لأن المغلوب يحتاج إلى الرأفة، وتجنب ما يثير فيه حمية القتال، فشاهدت الشعوب المفتوحة خلقًا جديدًا في ذوقٍ رفيعٍ، وإنسانيةٍ صادقةٍ، فقام ميزان الشريعة بين الأمم المغلوبة

---

(١) انظر: «تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية» لمحمد طقوش (ص٢١٣).

(٢) انظر: «الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها» (ص١٥١، ١٥٢) عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي. الناشر: دار القلم- دمشق ط: الأولى المستكملة لعناصر خطة الكتاب ١٤١٨هـ.

بالقسط، وانتشر نور الإسلام، فأخذ يعد له مجامع القلوب، فسارعت الشعوب إلى اعتناق هذا الدين، والانضواء تحت لوائه، مقارنةً فيما بين جند الأعاجم من الفرس أو الروم الذين كانوا إذا وطئوا أرضًا دنسوها، ونشروا فيها الرعب، والفزع، وانتهكوا الحرمات، مما قاسى منه الناس الويل والثبور، وتناقلت الأجيال قصصه المرعبة والمفزعة جيلًا بعد جيل، وقبيلًا إثر قبيل، فلما جاء الإسلام ودخل جنده هذه الديار، فإذا بالناس يجدون العدل يبسط رداءه فوق رؤوسهم، ويعيد إليهم آدميتهم التي انتزعها الظلم والطغيان، روى البيهقي: أن الأعاجم كانوا إذا انتصروا على عدوٍّ، استباحوا كل شيءٍ من ملكٍ أو أميرٍ، وكانوا يحملون رؤوس البشر إلى ملوكهم كبشائر للنصر، وإعلان للفخر، فرأى أمراء المسلمين في حروب الروم أن يعاملوهم بنفس معاملتهم، فبعث عمرو بن العاص ﷺ شرحبيل بن حسنة برأس «بنان» أحد بطارقة الشام إلى أبي بكر ﷺ مع عقبة بن عامر ﷺ، فلمّا قدم عليه، أنكر ذلك، فقال له عقبة: يا خليفة رسول الله، إنهم يصنعون ذلك بنا، فقال: أفاستنانٌ بفارس والروم؟ لا يُحْمل إليَّ رأس، إنما يكفي الكتاب والخبر»(١)(٢).

الدافع السابع: رفع الإكراه عن أهل الأرض المفتوحة:

لا يشكُّ عاقلٌ فيما تميزت به، وبرزت فتوحات الخلفاء في رفع الإكراه عن الأمم المفتوحة، فهذا أبو بكر الصديق ﷺ لم يُكْرِه أحدًا من الأمم أو الشعوب على دينه بالقوة، وهو في هذا ينطلق من قول الله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ۝٩٩﴾(٣)، وأهل الإسلام كان من أهدافهم إزالة الطغاة والظلمة ونشر نور الإسلام في أقطاب الأرض وتسهيل طرقه ومسالكه ليدخل الناس فيه أفواجًا وهذا ما فعله الخلفاء الراشدون ﷺ؛ فلم يكرهو أحدًا

(١) **قال ابن الملقن**: "إسناده صحيح". «البدر المنير» (١٠٧/٩)، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، المحقق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض – السعودية، الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

(٢) انظر: «تاريخ الدعوة إلى الإسلام» ليسري محمد (ص٢٦١).

(٣) سورة يونس آية (٩٩).

على الإسلام، بل طبقوه بأفعالهم وأقوالهم وأخلاقهم وطريقة معاملتهم مع أعدائهم ليدخل أعدائهم راغبين لا مكرهين ومقتنعين بهذا الدين العظيم؛ لأن العقائد لا تُغرَس بالإكراه، بل بالعلم والإقتناع، وعلى مرِّ العصور لم يثبت أن المسلمين أكرهو أحدًا على الدخول في هذا الدين ولو كان المسلمون أجبروا أحدًا على الدخول فيه ودخول مكرهين فكيف يثبتون عليه بعد زوال الإكراه عنهم؟ وهذا يدلُّ على رضاهم، ولو كان دخول الإسلام بالإكراه لما ترك المسلمون أحدًا على غير الإسلام ولأدخلوهم فيه كراهية أو قتلوا مَن يأبى دخوله، وهذا لم يحدث ولو حدث لنُقِل إلينا لتوافر الدواعي على نقله، ومن المعلوم أن البلاد التي تمَّ فتحها رجع بعضهم للكفر بينما مَن أسلم تمسَّك بإسلامه ونافح عنه ودافع، بل وأصبح عدوًّا لمن عادى الإسلام وأهله ووقف صفًّا مع صفوف المسلمين مما يدلُّ على دخولهم برضاهم مطاوعين لا مكرهين، وهذا ما سار عليه الخلفاء رضي الله عنهم وأرضاهم(١).

الدافع التاسع: نصرة المؤمنين في ديار الكافرين:

لقد حثَّ الإسلام على نصرة المستضعفين الذين لا حول لهم ولا قوة؛ لأجل ممارسة دينهم بحُريَّة، فاستنصر مَنْ له حول وقوة من إخوانهم المسلمين، فقال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾(٢).

قال الطبري عن ابن عباس –رضي الله عنهما–: «قوله: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾، يعني: إن استنصركم الأعراب المسلمون، أيها المهاجرون والأنصار، على عدوهم، فعليكم أن تنصروهم إلَّا على قومٍ بينكم وبينهم ميثاق»(٣)، فاحفظوا هذا الميثاق؛ لأنَّ نقض العهود الميثاقية ليس من تعاليم الدين الإسلامي(٤)، فعندما يقعُ على المسلمين في ديار غير

---

(١) http://www.alukah.net/sharia/٠/١١٠٦٩٣/

مقال بعنوان: ما هو الإكراه في الدين؟ د/سمير مثنى عليه الأبارة.

(٢) سورة الأنفال آية (٧٢).

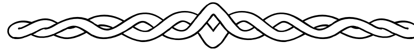
(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١٤/٨٣).

(٤) انظر: «تفسير الشعراوي» (٨/٤٨٢٢).

ديارهم حيف، وربما يُفتَنون في دينهم، ويمنعون من إقامة شعائرهم، ولا يجدون احترامًا لأيامهم في تلك الأوطان، فعلى المسلمين نصرتهم بالطرق السليمة الشرعية التي يرجع فيها إلى أهل العلم الذين أمرنا الله ﷻ بالرجوع إليهم، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾(١).

قال القرطبي(٢) في تفسيره لما تقدم إلى الولاة في الآية المتقدمة: «وبدأ بهم، فأمرهم بأداء الأمانات، وأن يحكموا بين الناس بالعدل، تقدم في هذه الآية إلى الرعية، فأمر بطاعته ﷻ أولًا، وهي امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ثم بطاعة رسوله ﷺ ثانيًا فيما أمر به، ونهى عنه، ثم بطاعة الأمراء ثالثًا، على قول الجمهور وأبي هريرة وابن عباس ﵃ وغيرهم»(٣).





(١) سورة النساء آية (٥٩).

(٢) **هو محمد بن أحمد بن أبي بكر الأندلسي**، أبو عبد الله، القرطبي، من كبار المفسرين، صالح متعبد من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق، ومن كتبه: «الجامع لأحكام القرآن». انظر: «الأعلام» للزركلي (٥/٣٢٢)، «معجم المؤلفين» (٨/٢٣٩).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (٥/٢٥٩)، «الجامع لأحكام القرآن»، محمد بن أحمد القرطبي، ق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ط: الثانية، ١٣٨٤هـ.

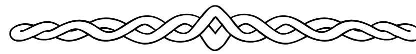
المبحث الثاني
مراعاة أزمنة الحروب وأمكنتها

إن اختيار المكان والزمان في الحرب كان له دور في الانتصارات المحققة عسكريًّا وجغرافيًّا في عهد الخلفاء الراشدين ﭫ، مما جعل توسعًا ملحوظًا في البلاد الإسلامية، وانتشار الإسلام، وقوة شوكته، وكثرة الداخلين والراغبين فيه، فَكَانوا يولون الأمكنة والأزمنة في الفتوحات اهتمامًا كبيرًا، فكانت الرحمة في اختيار أمكنة الحرب وأزمنتها، وتحرِّي المكان والوقت المناسبين لكل حالٍ، ظاهرة في فتوحاتهم، وتَحْت هذا المبحث ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم مراعاة الأزمنة والأمكنة.

المطلب الثاني: مراعاة اختيار أزمنة الفتوحات.

المطلب الثالث: مراعاة اختيار أمكنة الفتوحات.



المطلب الأول
التعريف بمفردات عنوان البحث

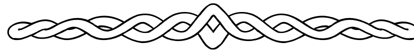
مراعاة:

المراعاة هي «المناظرة والمراقبة، يقال: راعيت فلانًا مراعاةً ورعاءً إذا راقبته، وتأملت فعله»[١]، «وراعيته مراعاةً: لاحظته محسنًا إليه، ومنه مراعاة الحقوق. وراعيت الأمر مراعاةً: راقبته ونظرت إلَام يصير، وماذا منه يكون»[٢].

الأزمنة:

الزمن: قالوا: «الزمن من الزمان»[٣]، و«يقال: زمن وأزمان، وزمان وأزمنة»[٤]، وهو «اسم لقليل الوقت وكثيره»[٥].

الأمكنة: جمع مكان، وهو الموضع الذي يستقرُّ فيه[٦]. وعليه فإن معنى مراعاة الأزمنة والأمكنة هو اختيار الزمان والمكان المناسبين للحرب.



---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» للهروي (٣/١٠٤).

(٢) انظر: «تاج العروس» للزَّبيدي (٣٨/١٦٤).

(٣) انظر: «العين» للفراهيدي (٧/٣٧٥).

(٤) انظر: «الألفاظ» لابن السكيت (ص٣٦٥)، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، ق/ فخر الدين قباوة، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون، ط: الأولى، ١٩٩٨م.

(٥) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للفارابي (٥/٢١٣١).

(٦) انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» لأحمد مختار (٣/ ٢١١٥).

المطلب الثاني
مراعاة اختيار أزمنة الفتوحات

لقد حَرَص الخلفاء الراشدون ﷺ كلَّ الحرص على تحرِّي اختيار الأمكنة المناسبة للفتوحات، وهذا من رحمة القادة بمن هم تحتهم، وخشية من إدخال المشاق على الجيش، ومُرَاعاة لظروفهم وما يعتريهم في مسيرهم، وتَحْت هذا المطلب أربعة مظاهر:

المظهر الأول: الرحمة في اختيار وقت الليل لمسيرة الجيش.

المظهر الثاني: الرحمة في اختيار اليوم الذي يسير فيه الجيش.

المظهر الثالث: الرحمة في تقصد الأوقات رجاء النصر.



مظاهر الرحمة في اختيار وقت الليل لمسيرة الجيش

تميَّز عهد الخلفاء الراشدين ﭬ في وقت اختيار الليل لمسيرة الجيش، وهذا منهج نبويّ قبل أن يكون منهجًا راشديًّا، فحينما ننظر في عهد الصديق ﭬ ذَكَر الطبري في «تاريخه» أن أهل الرِّدة أرادوا دخول المدينة ليلًا، فتبعهم المسلمون على إبلهم حتى بلغوا بهم ذي الحسي(١)، وهذا من باب الدفاع، وكان ليلًا، وفي معركة بزاخة قال للصحابي خالد بن الوليد ﭬ يوصيه في الجيش: «وانظر إذا وافيتهم، فلا تنزلن بهم نهارًا، فيروا عسكرك، ويعلموا ما فيه من الناس، ولكن انزلْ بهم ليلًا عند وقت نومهم، ثم ارعوا إبلكم، وحركوا أسلحتكم، وهولوا عليهم ما قدرتم»(٢).

كَمَا نلحظ رؤية القائد الأعلى المستقبلية، حيث إنهم لو نزلوا وقت النهار، فإن أعداءهم يرونهم ويكشفونهم، وسرعان ما يعرفون عددهم وعدتهم، كما أن الليل يُخْفِي عن الأنظار تجهيز الأسلحة والاستعداد للمعركة، وإعطاء الإبل ما يكفيها من علوفةٍ ورعيٍ.

وفي عهد الفاروق ﭬ قبل معركة القادسية كان سعد بن أبي وقاص ﭬ يبث الغارات(٣) ليلًا(٤)، وكانت ليلة الهرير شاهدًا من ليالي القادسية، حصل فيها قتال عظيم(٥)، قال ابن المناصف: «يجب امتثال أمر الإمام، أو أمير العسكر، أو قائد الجماعة، وألا يخالف في شيء مما وافق سُنَّةً في عملٍ، أو تدبيرٍ، أو حيلةٍ، أو مكيدةٍ، أو بعث طليعة، أو سرية، أو رائد، أو حراسة لجانب، أو كمين أو غارة..»(٦)، والغارة لا تكون إلا بليل.

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣/٢٤٥).

(٢) انظر: كتاب «الردة» للواقدي (ص٧٠).

(٣) «**الغارة**»: يقال: شن غارة عليهم، هجم عليهم من كل جهة. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» لأحمد مختار (٢/١٦٤٩).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣/٤٩٣).

(٥) المصدر نفسه (٣/٥٥٧).

(٦) انظر: «بدائع السلك في طبائع الملك» (٢/٥٢)، محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي، أبو عبد الله، شمس الدين الغرناطي ابن الأزرق (المتوفى: ٨٩٦هـ)، المحقق: د. علي سامي النشار، الناشر: وزارة الإعلام — العراق.

«ولما غزى الأحنف بن قيس يزدجرد، واصطحب يزدجرد معه خاقان، خرج الأحنف في عسكره ليلًا لعله يسمع رأيًا ينتفع به؟ وسمع رجلًا يقول: لو أن الأمير أسندنا إلى هذا الجبل، فكان النهر بيننا وبين عدوِّنا خندقًا؟ ثم أمرهم أن يرتحلوا من مكانهم... فكانوا يغادونهم، ويراوحونهم، ويتنحون عنهم في الليل ما شاء الله، وطلب الأحنف علم مكانهم بالليل، فخرج ليلةً بعدما علم علمهم...»[١]. مما يدلُّ على ان الأحنف ﵁ اختار وقت الليل ليعلم مكانهم ويأتي بأخبارهم، ولما لقي الأحنف أهل مرو روذ والطالقان والفارياب والجوزجان في المسلمين ليلًا، قاتلهم حتى ذهب عامَّة الليل، ثم هزمهم الله...»[٢].

«وفي معركة جلولاء اقتتلوا يومهم ذلك كله إلى الليل، ولم يكن للمسلمين فيه صلاة إلا إيماءٌ والتكبير، حتى إذا اصفرَّت الشمس، أنزل الله على المسلمين نصرَه، وهزم عدوهم، فقتلوهم إلى الليل، وأغنمهم الله عسكرهم بما فيه»[٣].

وفي فتح تستر، لما ندب القائد النعمان بن مقرن إليها أربعة رجال غاروا عليهم ليلًا[٤].

وذكر الهرثمي أن القائد يقيم عسكره في الليل، ويجعل الفرسان يطوفون حول العسكر لحمايتهم وصيانتهم[٥].

من خلال ما سبق نعلم: أن قادة الخلفاء الراشدين ﵃ اختاروا هذا الوقت في فتوحاتهم؛ مباغتةً للأعداء، وسرعةً في الانتصار، وتخفِّيًا عن الأبصار، وحفظًا للجيش؛ لأن عدد القتل في

(١) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (١٦٩/٤).

(٢) المصدر نفسه (٣١٢/٤).

(٣) انظر: «الأخبار الطوال» (ص١٢٨)، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (المتوفى: ٢٨٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال، الناشر: دار إحياء الكتب العربي - عيسى البابي الحلبي وشركاه / القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٦٠م.

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٨٥/٤).

(٥) انظر: «مختصر سياسة الحروب» (ص٣٢)، لأبي سعيد الشعراني الهرثمي صاحب المأمون، تحقيق: عبد الرؤوف عون، مراجعة: د. محمد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

الليل أقل بقليل من قتلى النهار فيكون هناك حفاظًا على العدد والعدة، واختيار الليل لأجل برودة الأجواء وهنا يسير الجيش بارتياح ويجعل الإبل والخيل ترعى لتتزود وتنشط خشية استمرار المعركة نهارًا، ولعل القائد يعثر بعدو من عيونهم فيفضح له السر ويكشف له الستر، ومن ثَم لا يحتاج إلى قتال، بل هو تفكير وتخطيط تحمى من ورائه نفوس ورؤس وغير ذلك من الفوائد.



مظاهر الرحمة في اختيار اليوم الذي يسير فيه الجيش

إن اختيار القائد لليوم الذي يسير فيه الجيش يعتبر التخطيط المحنك العسكري، فهو يعلم أنَّ هذا اليوم هو المناسب للمسير؛ لمعرفته التامَّة بأحوال الأعداء مثلًا في وجودهم في هذا اليوم أو رحلتهم إلى مكانٍ آخر، وكذلك معرفة تقلبات الأجواء، حيث يَكُون هذا اليوم مناسبًا للانطلاق أو غير مناسبٍ بسبب حجب الرؤية عن الأنظار: كوجود غبار، أو قترة، أو ضباب، أو مطر شديد يمنع جريان الفرسان، وغيره من الأحوال التي تستلزم من القائد خبرةً تامَّةً، ومعرفةً جغرافيَّةً عامَّةً؛ ليأمر جيشه في المسير، ونلحظ أن عمر بن الخطاب ﷺ كتب إلى سعد بن أبي وقاص في انطلاق جيوشه باسم هذا اليوم الذي يسير فيه، فقد ذكر الطبري في «تاريخه» واصفًا يوم قتل مسيلمة الكذاب وقومه قال عن هذا اليوم: «إنه كان يوم جنوب فيه غبار[(١)]، أو يوم مطير كما في خروج خالد بن سعيد من مرج الصفر إليها[(٢)]، أو في فتح أسوار دمشق لما قطعوا الجبل، فلمَّا كانت الليلة التي أرادوا أن يصبحوا فيها القوم، جاءهم مطر كأفواه القرب، وكان من توفيق الله -عز وعلا- أن حبس القوم عن المسير[(٣)]، وكانوا في معاركهم يسمون الأيَّام حسب الموقع أو اليوم فيقولون: يوم كذا مثل يوم اليرموك، ويوم القادسية، ويوم ذات السلاسل، ويوم الولجة، ويوم المذار... وغيرها من الأيَّام، كما أن القائد يحدد أيَّام المسير لقطع المفاوز، وهذا رحمة بالجيوش، ورحمة بالدواب من خيول وإبل، كما فعل خالد بن الوليد ﷺ لما أراد قطع المفازة، وحدد مسيرتها رافع بن عميرة خمسة أيام فقط[(٤)]، وعمر بن الخطاب ﷺ حدد يوم الارتحال، فكتب إلى سعد بن أبي وقاص ﷺ يوم القادسية أيضًا باليوم الذي

(١) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣/٢٩١).

(٢) المصدر نفسه (٣/٤٠٥).

(٣) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١/٧٨).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣/٤١٦).

يرتحل فيه من شراف[١]، فإذا كان يوم كذا وكذا، فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عذيب الهجانات وعذيب القوادس[٢]، وشرّق بالناس وغرّب بهم»[٣].

وبعد أن حدد في الرسالة التفصيلية السابقة ذات المبادئ العشرة، عاد فاستدرك في رسالة صغيرة زمان المعركة كذلك[٤].



(١) موضع كانت فيه وقعة لطيئ على بني ذبيان، ما بين واقصة والفرعاء، فيها ثلاثة آبار كبار، وقُلُب كثيرة طيبة على ثمانية أميال من الأحساء التي لبني وهب. انظر: «مراصد معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» لأبي عبيد البكري (٧٨٨/٣)، «الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع» (٧٨٨/٢)، «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٣٣١/٣).

(٢) تصغير العذب، وهو الماء الطيب: وهو ماء بين القادسية والمغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال، وإلى المغيثة اثنان وثلاثون ميلًا. وقيل: هو واد لبني تميم، وهو من منازل حاج الكوفة. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٩٢/٤).

(٣) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٤٩١/٣).

(٤) راجع: «المسيرة الإسلامية لجيل الخلافة الراشدة» لمنير الغضبان (ص ١٨٦).

مظاهر الرحمة في تقصد الأوقات رجاء النصر

كان منهج الرسول ﷺ هو اختيار القتال أول النهار، أو إذا مالت الشمس للزوال، ولا شكَّ أن هذا الوقت الأخير يتقصده غالبًا ﷺ لدوران رحى المعركة فيه؛ لما فيه من نشاطٍ للنفس، وهبوبٍ لريح النصر، وقربٍ لفضيلة الصلوات، ونزول الملائكة وغيرها(١)، كما ذكر الصحابي الجليل عبد الله بن أبي أوفى(٢) رضي الله عنهما: «إن رسول الله ﷺ في بعض أيَّامه التي لقي فيها، انتظر حتى مالت الشمس(٣)»(٤)، وكذلك يوم حنين قاتل وقت الزوال(٥) لما قال له بلال: قد حان الرواح يا رسول الله، قال: «**أجل**»(٦)، فيقال: عند انحطاطها زالت ومالت(٧).

ولقد اقتدى بهذا الوقت خلفاؤه من بعده، ففي عهد الصديق رضي الله عنه تحين هذا الوقت خالد بن الوليد رضي الله عنه حينما أرسله الصديق رضي الله عنه لقتال الروم، وقد وصفهم الواقدي رحمه الله بقوله: «واجتمع علينا العدو، وطمعوا فينا، وحملوا علينا في اثني عشر ألف فارسٍ من الروم،

---

(١) انظر: «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي - دار إحياء التراث العربي- بيروت - الطبعة: الثانيَّة (١٢/٤٦، ٤٧).

(٢) **هو عبد الله بن علقمة (أبو أوفى) بن خالد الخزاعي الأسلمي**، سكن الكوفة، وابتنى بها دارًا، وذهب بصره، وهو آخر مَن مات بها من الصحابة، له في كتب الحديث ٩٥ حديثًا. وهو أحد مَنْ بايع بيعة الرضوان. مات سنة ٨٧هـ. «التاريخ الكبير» للبخاري (٥/٢٤)، «معجم الصحابة» للبغوي (٤/١٢٨)، «الأعلام» للزركلي (٤/١٠٤).

(٣) «**مالت الشمس**»: زالت عن كبد السماء. «معجم اللغة العربية المعاصرة» لأحمد مختار (٣/٢١٤٧).

(٤) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي إذا لم يقاتل أول النهار أخَّر القتال حتى تزول الشمس (٤/٥١ ح ٢٩٦٥).

(٥) وقت الزوال الظهر. انظر: «العين» للفراهيدي (٧/٣٨٤).

(٦) انظر: «سنن أبي داود»، كتاب أبواب النوم، باب الرجل ينادي الرجل فيقول: لبَّيك، (٤/٣٥٩ ح٥٢٣٥)، وهو حسن كما قال الألباني. انظر: «صحيح وضعيف سنن أبي داود» (٥٢٣٣)، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، قام بإعادة فهرسته وتنسيقه:أحمد عبد الله عضو في ملتقى أهل الحديث.

(٧) انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/١٧٧).

ونحن فيهم كالشامة البيضاء في جلد البعير الأسود، وصبرنا لهم صَبْرَ الكرام، ولم يزل القتال بيننا وبينهم إلى أن توسطت الشمس في قبة الفلك، وقد طمع العدو فينا، فرأيت شرحبيل بن حسنة قد رفع يده إلى السماء، وهو يقول: يا حي يا قيوم، يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، اللهمَّ انصرنا على القوم الكافرين، قال: فوالله، ما استتمَّ شرحبيل كلامه ودعاءه حتى جاء النصر...»(١).

وقاتل ضرار بن الأزور(٢) البطريق حين حميت الشمس فقتله(٣)، وفي فتح الرستن لم يزالوا في القتال الشديد الذي ما عليه من مزيدٍ حتى توسطت الشمس في كبد السماء، كما وصفهم الواقدي(٤).

وفي معركة اليرموك لما اشتدَّ القتال بينهم وبين الروم، فلم يسمع إلا زئير الرجال، وزمجرة الأبطال، ووقع السيوف على البيض الصقال.. ولم يزل القوم في الحرب والقتال حتى قامت الشمس في كبد السماء، وامتدح عبادة بن الصامت رضي الله عنه مَنْ قاتل ذلك الوقت، وصبر واحتسب، وعَدَّ منهم وسمى...(٥).

قال الواقدي: «لم تزل الحرب بين الفريقين من قيام الشمس في قبة السماء إلى أن همت بالغروب(٦)، وهذا الوقت قد أشار له صاحب كتاب «بدائع السلك» حيث قال: «إن إعمال الجهد في أن تكون الشمس في أعين العدو، والريح في وجهه، وقال بعضهم: فإن سبق العدو

(١) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٢٦/١).

(٢) **هو ضرار بن الأزور**، واسم الأزور: مالك بن أوس ابن خزيمة الأسدي: أحد الأبطال في الجاهلية والإسلام، وكان شاعرًا مطبوعًا. له صحبة. وهو الَّذي قتل مالك بن نويرة بأمر خالد بن الوليد، وقاتل يوم اليمامة أشد قتال، حتى قطعت ساقاه، فجعل يحبو على ركبتيه ويقاتل، والخيل تطأه. ومات بعد أيَّام في اليمامة. «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٦/ ١١٢)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للقرطبي (٢/ ٧٤٦)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ٢١٥).

(٣) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٥١/١-٥٤).

(٤) المصدر نفسه (١٤٤/١).

(٥) المصدر نفسه (١٦٣/١).

(٦) المصدر نفسه (١٨٦/١).

إلى ذلك، ولم تمكن إزالته عنه، فليزحف بالعساكر عرضًا؛ ليكون الأمر له وعليه، والخدعة الثانية جعله آخر النهار، قالت العجم: أخِّر الحرب ما استطعت، فإن لم تجد فاجعل ذلك آخر النهار...»(١).

وفي عهد الفاروق ﷺ لم يحمل عتبة بن غزوان على قتال أهل البصرة إلا بعد زوال الشمس(٢)، وفي معركة نهاوند: أن النعمان بن مقرن سار بين الصفوف يذمر المسلمين، ويحضهم، وجعلهم ينتظرون الساعة التي كان الرسول ﷺ يقاتل فيها، ويستنزل النصر، وهي زوال النهار، ومهب الرياح(٣).

وفي عهد عليٍّ ابن أبي طالب ﷺ في وقعة الجمل كان قتالهم من ارتفاع النهار إلى قريبٍ من العصر، ويقال: إلى أن زالت الشمس، ثم انهزموا(٤).اهـ.



(١) انظر: «بدائع السلك في طبائع الملك» لابن الأزرق (١/١٦٤).

(٢) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣/٥٩١).

(٣) انظر: «الأخبار الطوال» للدينوري (ص١٣٦).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٤/٥١٢).

المطلب الثالث
مراعاة اختيار أمكنة الفتوحات

لقد حرص الخلفاء الراشدون ﷺ كلَّ الحرص على تحرِّي اختيار الأمكنة المناسبة للفتوحات، وهذا من رحمة القادة بمن هم تحتهم، وخشية من إدخال المشاق على الجيش، ومراعاة ظروفهم، وما يعتريهم سواء أكان في مسيرهم أم مبيتهم أم مكان خوض المعركة، كانوا ﷺ يراعون جيشهم حتى في اختيارهم أماكن المعركة، وأماكن وجود الماء، وأماكن الراحة للجيش، وتحت هذا المطلب مظهران:

المظهر الأول: إستراتيجية حماية ظهر الجيش.

المظهر الثاني: إستراتيجية الإمداد والتموين.





إستراتيجية حماية ظهر الجيش

لا شكَّ أن اختيار المكان المناسب لإيقاع المعركة هو من التخطيط العسكري الدقيق، فيحتاج إلى خبرةٍ في موقع ضعف الأعداء، ويحتاج إلى معرفةٍ في المكان المناسب؛ لخوض المعركة من دماثة في الأرض، وكثرة ماء، ووفرة مرعى، وهذا من رحمة القائد بجيشه؛ لئلا يوقعهم في المعاطب.

قال الماوردي: «ويتخير لهم موضع نزولهم لمحاربة عدوهم، وذلك أن يكونوا أوطأ الأرض مكانًا، وأكثر مرعًى، وماءً، وأحرسها أكنافًا، وأطرافًا؛ ليكون أعون لهم على المنازلة، وأقوى لهم على المرابطة»(١).

«فلا ينزل القائد بالعسكر من عدوِّه منزلًا حتى يعرفه، ويرتاده ويكون ذا ماءٍ وَكَلإٍ، ومرتفق بحيث إن أردت أن تتقدَّم منه إلى عدوك قدرت على ذلك، وإنْ أردتَ التأخر عنه، أمكنك ذلك، وتحرَّ أن تسند ظهور أصحابك إلى الجبال، والتلول، والأنهار من كل موضع تأمن منه الكمين والبيات(٢)»(٣)، «ففي عهد الرسول ﷺ لما أراد غزوة أُحُد، جعل ظهره للجبل، للمشركين، وصفَّ الجيش، وجعل على كلِّ فرقةٍ منه قائدًا، واختار خمسين من الرماة...»(٤).

---

(١) انظر: «الأحكام السلطانية» للماوردي (ص٧٩).

(٢) «**البيات**»: هو مفاجأة القوم في جوف الليل. «معجم اللغة العربية المعاصرة» لأحمد مختار (٢٦٧/١).

(٣) انظر: «مختصر سياسة الحروب» للهرثمي (ص٣١).

(٤) انظر: «السيرة النبوية دروس وعبر» (ص٨٤) مصطفى بن حسني السباعي، الناشر: المكتب الإسلامي، ط: الثالثة، ١٤٠٥هـ. قلت: لم أذكر قصة الحباب بن المنذر المشهورة؛ لأني وجدت أنها ضعيفة. قال الألباني رحمه الله: «هي عند ابن هشام في «السيرة» (٢٧٢/٢)، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، المحقق: طه عبد الرءوف سعد، الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة، وقال ابن إسحاق: فحدثت عن رجال من بني سلمة أنهم ذكروا أن الحباب، وهذا إسناد مرسل مجهول، فهو ضعيف، وقد وصله بعضهم، وفيه مَنْ لا يُعرَف، وآخر كذاب كما كنت خرجته في كتاب الغزالي (ص٢٤٠)، وقال الذهبي فيه: «حديث منكر». انظر: «دفاع عن الحديث النبوي» للألباني (ص٢٦).

«ولقَدْ نَهَج منهجه العسكري خلفاؤه وقادته من بعده، ففي عهد الصديق ﷺ عندما جهز جيش أسامة ﷺ، أَمَره يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم[١] من أرض فلسطين»[٢]، وكذلك تم اختيار الموقع المناسب في معركة بزاخة، حيث سار أبو بكر ﷺ معه حتى نزل بذي القصة من المدينة على بريد من نحو نجد فعبى هناك جنوده وأمر خالد ﷺ أن يصمد لطليحة على ماء من مياه بني أسد[٣]، وقيل: اسمه غمر مرزوق[٤]، وحينما تتأمل في اختيار الصديق ﷺ لهذا المكان تعرف خبرته الميدانية في الأرض ومسالكها.

وفي معركة اليمامة كان الصحابي خالد بن الوليد ﷺ اختار جبل يقال له: مصيقرة، خلف ظهورهم لحمايتهم، واختار هذا مقرًّا لقيادته؛ لأنه يُشَاهد منه ما قابله من وادي العرض باتجاه الشرق، وهي الجهة التي قدم منها بنو حنيفة، والأكمة التي اختارها خالد أصبحت أماكن للمراقبة من بعيدٍ، ولا شكَّ أن خالدًا ﷺ لما اختار هذا الموقع، أخذ بعين الاعتبار وجود مساحة من الأرض واقعة خلف مقرّ القيادة، ومن جهة شمال غرب هذا الجبل توجد أرض رملية واسعة تتسع للجيش بأكمله[٥]، وهذا يدلُّ على معرفة الأرض الجغرافية لدى الصديق ﷺ وتخطيطة العسكري الدقيق.

وكتب أبو بكرٍ ﷺ إلى شرحبيل بن حسنة، أنْ أقم بأدنى اليمامة حتى يأتيك أمري»[٦].

«وفي عهد الفاروق ﷺ أوصى قائده سعد بن أبي وقاص ﷺ أن يتعرف الأرض كلها كمعرفته أهلها، فيصنع بعدوِّه كما صنع به، ويبث طلائعه لحراسه عسكره[٧]، وكان فتح الحيرة

---

(١) هي مدينة دير البلح اليوم، في قطاع غزة -حماه الله وردَّ عنه الكيد- وتقع على شاطئ البحر بين غزة وخان يونس، وسُمِّيت دير البلح؛ لكثرة نخيلها. وقد يقال في اسمها: «الدارون»، وينسب إليه كذلك. كتاب: «المعالم الأثيرة في السنة والسيرة» لمحمد شرَّاب (ص١١٥).

(٢) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣/١٨٤).

(٣) المصدر نفسه (٣/٢٥٤)

(٤) انظر: «تاريخ خليفة بن خياط» (ص:١٠٣).

(٥) انظر: «أطلس الخليفة أبي بكر الصديق»، سامي عبدالله المغلوث، ط: الأولى: ١٤٢٥ العبيكان.

(٦) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣/٣١٥).

(٧) انظر: «بدائع السلك في طبائع الملك» لابن الأزرق (٢/٦٤).

عملًا حربيًّا عظيم القيمة، وسع أمل المسلمين في فتح بلاد فارس؛ لمكان هذا البلد الجغرافي والأدبي من العراق حيث تقع جنوب العراق؛ لأن الصديق ﷺ اتَّخذها منطلقًا لقيادته ومركزًا عسكريًّا لهم.

«وفي معركة المذار تمَّ اختيار هذا المكان لموقعه الاستراتيجي، وكذلك منطقة الأبلة بوصفها الطريق المائي بين المدائن والشرق[(١)]، وكتب إلى قائده أيضًا سعد بن أبي وقاص ﷺ قبل القادسية أن ينزل بأدنى حجر من أرضهم؛ لأنهم أعلم بمسالكها من عدوهم، ولأجل سرعة الرجوع عند ظهور بوادر الهزيمة، ولذلك قال له: وإذا انتهيت إلى القادسية -والقادسية باب فارس في الجاهلية، وهي أجمع تلك الأبواب لمادَّتهم ولما يريدونه من تلك الآصل، وهو منزل رغيب خصيب حصين دونه قناطر وأنهار ممتنعة- فتكون مسالحك على أنقابها...[(٢)]، وكتب إلى الصحابي أبي عبيدة بن الجراح ﷺ: ولا تُنزِلهم منزلًا قبل أن تستريده لهم، وتعلم كيف مأتاه...»[(٣)].

هذه الرسالة حدَّدت مكان المعركة وطبيعته، ومكامن القوة والضعف عند العدوِّ، ومكامن القوة والضعف عند المسلمين[(٤)]، وذكر الذهبي رحمه الله أن عمر ﷺ بعث جيشًا، وأمَّر عليهم رجلًا يدعى: سارية، فبينما عمر ﷺ يخطب، فجعل يصيح: «يا سارية، الجبل»، فقدم رسول من ذلك الجيش، فقال: يا أمير المؤمنين، لقينا عدونا فهزمونا، فإذا صائح يصيح: «يا سارية، الجبل»، فأسندنا ظهورنا إلى الجبل، فهزمهم الله، فقلنا لعمر ﷺ: كنت تصيح بذلك[(٥)].

---

(١) انظر: «تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية» لمحمد طقوش (ص١٣٤، ١٣٥).

(٢) انظر: «مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة» (ص٤١٣)، محمد حميد الله الحيدر آبادي الهندي (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، الناشر: دار النفائس – بيروت، الطبعة: السادسة – ١٤٠٧.

(٣) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٤٣٤/٣).

(٤) انظر: «المسيرة الإسلامية لجيل الخلافة الراشدة» لمنير الغضبان (١٨٥/١).

(٥) انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (٣٨٤/١)، وهو إسناد حسن كما قاله ابن حجر. انظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٥/٣)، وقال الألباني رحمه الله: «مما لا شكَّ فيه أن النداء المذكور إنما كان إلهامًا من الله تعالى =

«وفي عهد علي ابن أبي طالب ﷺ ذكر الدينوري في وقعة صفين[١] أنه قال للقادة: وإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم، فليكن معسكركم في أشرف المواضع؛ ليكون ذلك لكم حصنًا حصينًا...»[٢].

«وخَطَب الأحنف بن قيس في عسكره قائلًا لهم: إنكم قليل، وإن عدوكم كثير، فلا يهولنكم، فكَمْ من فئةٍ قليلةٍ غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين، ارتحلوا من مكانكم هذا، فأسندوا إلى هذا الجبل، فاجعلوه في ظهوركم، واجعلوا النهر بينكم وبين عدوكم، وقاتلوهم من وجهٍ واحدٍ، ففعلوا، وقد أعدوا ما يصلحهم...»[٣].



= لعمر، وليس ذلك بغريب عنه، فإنه محدثكما ثبت عن النبي ﷺ، ولكن ليس فيه أن عمر كشف له حال الجيش، وأنه رآهم رأي العين، فاستدلال بعض المتصوفة بذلك على ما يزعمونه من الكشف للأولياء، وعلى إمكان اطلاعهم على ما في القلوب من أبطل الباطل». انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها» (١٠٢/٣)، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عدد الأجزاء: ٦، عام النشر: جـ ١ - ٤: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، جـ ٦: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، جـ ٧: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(١) وقعة صفين يوم الأربعاء لسبعٍ خلون من صفر سنة سبع وثلاثين. «تاريخ خليفة بن خياط» (ص١٩١).

(٢) انظر: «الأخبار الطوال» للدينوري (ص١٦٦).

(٣) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (١٦٩/٤).

إستراتيجية الإمداد والتموين

لقد كان للقائد دوره في اختيار مواقع نبع الماء وكثرة الكلإ(١) حوله، ومهمته العسكرية أن يبحث للقبيلة عن الماء والكلإ للنزول عليه، وهذه مهمَّة خطيرة؛ لأن عليها تتوقف حياة الماشية، عماد حياة القبيلة(٢)، وهذا يدلُّ على خبرته في الأرض، ورحمته بمعسكره مما يرجع إلى فوائد منها: عدم عطش الجيش، ومن ثَمَّ الهزيمة التي حصلت لأغلب الحروب بسببه، ومنها هلاك الجيش، ومنها هوان الخيل وضعفه وغيرها، ولذلك كان على القائد أن يختار المكان الذي يرتوي منه الجيش، وتعلف فيه دوابهم.

«ولقد اهتمَّ الرسول الأعظم ﷺ بطبيعة الأرض التي يقاتل عليها، حيث نزل على أدنى ماءٍ في بدرٍ، وبنى عليه حوضًا، وغور ما سواه من القُلُب...»(٣).

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما: «أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ألفًا وأربع مائة أو أكثر، فنزلوا على بئر.. وفيه: فأرووا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا»(٤).

«وفي عهد الصديق رضي الله عنه اختار عمرو بن العاص رضي الله عنه عندما أراد غزو الشام عدي بن عامر، وكان من خيار المسلمين، وكان كثيرًا ما يتوجه إلى بلاد الشام، وداس أرضهم، وعرف مساكنها ومسالكها...»(٥).

وحينما سار خالد بن الوليد رضي الله عنه للعراق لفتح الحيرة سنة ١٢هـ، وتوجَّه بجيشه إلى

---

(١) النبات والعشب سواء رطبه ويابسه. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (١٩٤/٤).

(٢) انظر: «الإدارة في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم» (ص٣٣)، أحمد عجاج كرمى، الناشر: دار السلام – القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٧هـ.

(٣) المصدر نفسه (ص٢١٢).

(٤) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية (١٢٢/٥ ح ٤١٥١).

(٥) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١٦/١).

كاظمة[١]، وجد هرمز قد سبقه إليها، فقدم خالد رضي الله عنه فنزل على غير ماءٍ مما جعل أصحابه يتعجبون من صنيعه، وهو الصحابي الخبير بالحروب ومواقع الماء، ولكن هنا الصحابي أراد تحريض جيشه للوصول للماء مما يدلُّ على أهميَّته، ومع ذلك أرسل الله من ورائهم سحابة، فأمطرت، فقويت قلوبهم للحرب[٢].

«وذكر الواقدي رحمه الله أن الصحابي خالد بن الوليد رضي الله عنه لما وصل إلى أرض السماوة، قال: أيها الناس، إن هذه الأرض لا تدخلونها إلا بالماء الكثير؛ لأنها قليلة الماء، ونحن في جيش عظيم، والماء معكم قليل، ثم وردوا الماء، وَسَقوا خيلهم وإبلهم، ثم جدُّوا في طلب مَن انقطع من المسلمين ومعهم القِرب بالماء قال: فسقوهم، فارتجعت قوتهم ثم لحقوا بالجيش...»[٣]. وتم اختيار رافع بن عميرة لخبرته الواسعة في معرفة الأرض وخاصَّة أنها أرض قاحلة ولا ماء فيها إلا شجرة عوسج، يذكر رافع أن أسفلها ماء تتغذى منه ولذلك لما وجدها الجيش كبروا جميعًا وفرحوا بها وأمرهم أن يحفروا في وسطها فحفروا واستخرجو عينًا فشربوا حتى روي الناس فقال رافع: والله ما وردت هذا الماء إلا مرة مع أبي يوم كنت غلامًا[٤].

«وكان من وصاياهم في الأسفار: فإذا نزلت أرضًا مكلئةً، فأعطها حظَّها من الكلإ، وابدأ بعلفها وسقيها قبل نفسك»[٥].



(١) اسم ماء في البصرة. انظر: «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» لأبي عبيد البكري (١١٠٩/٤).

(٢) انظر: «أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين» لمحمد رضا (ص٦٣).

(٣) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١/ ٢٣، ٢٤).

(٤)انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٢٥٣/٢).

(٥) انظر: «عيون الأخبار» (٢١٩/١)، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٨هـ.

المبحث الثالث
اختيار المجاهدين والقادة

إن اختيار القائد المحنَّك أو الجندي المدرب في عهد الراشدين لَهُوَ كفيلٌ برحمة غشيت رعاياهم، ومَنْ هم تحتهم، ولكن ثمَّة مظاهر لهذه الرحمة لها أسباب خفية من خلال اختيار المجاهدين الذين سطر ذكرهم التاريخ ذاكرًا عنهم أنه في عهدهم لم تئم فيه امرأة، ولم ييتم فيه صبي، مع ذلك بلغ خيله مشارق الأرض ومغاربها.

وفيه:

١- مظهر الرحمة في اختيار القادة الأكفاء.

٢- مظهر اختيار الأمناء والثقات على الجيش.

٣- مظهر الرحمة في اختيار الشجعان والمؤثرين في الجيش.

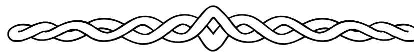
٤- مظهر الرحمة في اختيار القادة أهل العدل.

٥- مظهر الرحمة في اختيار الحفاظ للقرآن.

٦- مظهر الرحمة في اختيار الصحابة دون غيرهم.

٧- مظهر الرحمة في اختيار القائد نائبًا عنه في المعركة.

٨- مظهر الرحمة في اختيار الجند وتوزيع المهام القتالية.



١- مظهر الرحمة في اختيار القادة الأكفاء

وهذه صفةٌ هامةٌ جدًّا، بل من أهم الصفات التي يجب أن تتوفر في القائد لما لها من انعكاسٍ على تصرفات الجند، فالقائد الذي جعل تقوى الله دائمًا نصب عينيه، فإن الله سينصره على أعدائه، ولذلك كان ﷺ (إذا أمَّر أميرًا على جيش، أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومَنْ معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «**اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا مَنْ كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين...**»)[(١)].

ولقد سار خلفاؤه من بعده على هذا المنهج القويم، فكان الصديق رضي الله عنه يعقد الألوية، ويكتب للبعوث معهم: «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله بن عثمان خليفة رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلم– إلى جميع مَنْ قرئ عليه كتابي هذا، من خاصٍّ وعامٍّ، أقام على إسلامه، أو رجع عنه، سلام على مَن اتَّبع الهدى، ورجع من الضلالة والردى.. ألا إني أوصيكم بتقوى الله»[(٢)].

وذكر الطبري في «تاريخه»: «أن أبا بكرٍ كتب إلى عمرو، وإلى الوليد بن عقبة –وكان على النصف من صدقات قضاعة– وقد شيعهما مبعثهما على الصدقة، وأوصى كلَّ واحدٍ منهما بوصية واحدة: اتَّقِ الله في السِّرِّ والعلانية، فإنه مَنْ يتقِ الله، يجعل له مخرجًا، ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتقِ الله يكفرْ عنه سيئاته ويعظِمْ له أجرًا، فإن تقوى الله خير ما تواصى به عباد الله، إنك في سبيل من سبل الله...»[(٣)].

وكان من قادته عمرو بن العاص رضي الله عنه، فعقد له، وأوصاه بها فقال: «اتقِ الله في سرِّك وعلانيتك، واستحيه في خلواتك، فإنه يراك في عملك...»[(٤)].

---

(١) انظر: «صحيح مسلم»، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام على البعوث (١٣٥٧/٣ ح١٧٣١).

(٢) انظر: كتاب «الردة» للواقدي (ص٧١).

(٣) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣٩٠/٣).

(٤) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١٤/١).

«ولم يغب على القائد الأعلى ما يحتاجه الجند حتى داخل معسكرهم من كون قائدهم يُشْرف عليهم، ويطلع على أحوالهم، ويقيل عثراتهم، ويجلس معهم يستمع إليهم، ويأكل معهم مما له أثرٌ عظيمٌ في انعكاس تصرفاتهم وأخلاقهم، فكان يقول له: وأطل الجلوس بالليل على أصحابك، وأقم بينهم واجلس معهم، ولا تكشف أستار الناس، واتَّقِ الله إذا لاقيت العدو، وإذا وعظت أصحابك، فأوجز وأصلح نفسك تصلح لك رعيتك، فالإمام ينفرد إلى الله تعالى فيما يعلمه وما يفعله في رعيته...»(١).

«وكان أبو بكرٍ ﷺ يوصي عمرو بن العاص وأبا عبيدة حاضر -رضي الله عنهما-، ثم قال: سيروا على بركة الله تعالى، وقاتلوا أعداء الله، وأوصيكم بتقوى الله، فإن الله ناصرٌ مَنْ ينصره...»(٢).

قال أبو سعيد الهرثمي(٣): «فينبغي لصاحب الحرب أن يجعل رأس سلاحه في حربه تقوى الله وحده، وكثرة ذكره، والاستعانة به، والتوكل عليه، والفزع إليه، ومسألته التأييد، والنصر والسلامة والظفر، وأن يترك البغي، والحقد، وينوي العفو، ويترك الانتقام عند الظفر إلا بما كان فيه لله رضا، وأن يستعمل العدل، وحسن السيرة، والتفقد للصغير والكبير بما فيه مصلحة رعيته»(٤).

«وسار الفاروق ﷺ على منهج مَنْ قبله، فكتب إلى أبي عبيدة ﷺ حينما ولَّاه على جند خالد بن الوليد ﷺ: أوصيك بتقوى الله الذي يبقى ويَفْنى ما سواه، الذي هَدَانا من الضلالة، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، وقد استعملتك على جند خالد بن الوليد، فقم بأمرهم الذي يحق عليك...»(٥).

(١) المصدر نفسه (١/١٤).

(٢) المصدر نفسه (١/١٤).

(٣) **أبو سعيد الشعراني الهرثمي**، قد يكون منسوبًا بالولاء إلى هرثمة بن أعين الجيلي أحد قادة الرشيد العباسي. انظر: ترجمته في (ص٨، ٩) من كتابه: «المختصر في سياسة الحروب».

(٤)انظر: «المختصر في سياسة الحروب»، أبو سعيد الهرثمي، ق/ عبد الرؤوف عون، مصطفى زيادة، الناشر المؤسسة المصرية العامة، (ص١٥).

(٥) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣/٤٣٤).

وأرسل عمر ﷺ إلى سعد بن أبي وقاص ﷺ ومَنْ معه من الأجناد ﷺ رسالةً جامعةً نافعةً، فيها كثير من أحكام الجهاد ولوازم الاستعداد، ونصها: «أما بعد: فإني آمرك ومَنْ معك بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومَنْ معك أن تكونوا أشد احتراسًا من المعاصي من احتراسكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما يُنْصَر المسلمون على عدوهم بمعصية عدوهم الله، ولولا ذاك لم يكن لنا بهم قوة؛ لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا والقوة، وإن لم ننصر عليهم بفضلنا، لم نغلبهم بقوتنا، واعلموا أن عليكم في سيركم حَفَظة من الله تعالى يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا: إن عدونا شرٌّ منا، فلن يسلطوا علينا، وإن أسأنا فرُبَّ قومٍ سلط عليهم شرّ منهم كما سلط على بني إسرائيل لما عملوا بمعاصي الله كَفَرة المجوس: ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ۝٥﴾[1]، فاسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه على عدوكم، أسأل الله ذلك لنا ولكم...»[2].

وخطب يوم فتح دمشق يوم الجابية[3] خطبةً، وقال: «أما بعد، فإني أوصيكم بتقوى الله الذي يبقى ويفنى ما سواه، الذي بطاعته يكرم أولياؤه، وبمعصيته يضل أعداؤه، فإنه ليس لهالكٍ هلك معذرة في تعمّد ضلالة حسبها هدًى، ولا في ترك حق حسبه ضلالة، وإن أحق ما تعاهد الراعي من رعيته أن يتعاهدهم بالذي لله عليهم من وظائف دينهم الذي هداهم الله له، وإنما

---

(١) سورة الإسراء: آية (٥).

(٢) انظر: «بدائع السلك في طبائع الملك» لابن الأزرق (٦١/٢، ٦٢).

(٣) هو الباب الذي دخل معه أبو عبيدة الجراح، وصالح أهلها سنة ١٤هـ، وهناك باب الشرقي دخله خالد بن الوليد عنوةً، والتقوا في أواسط البلد، فأجاز أبو عبيدة صلحها بعد رجوعه لعمر بن الخطاب جميعًا، فكان الفتح لأبي عبيدة؛ لأنه كان أمير الجماعة. انظر: «البلدان» لليعقوبي (ص١٦٣)، «تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام» (ص٢٠٥)، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (المتوفى: ٧٣٣هـ)، المحقق: قدم له: الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود، تحقيق ودراسة وتعليق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: دار الثقافة بتفويض من رئاسة المحاكم الشرعية بقطر – قطر/ الدوحة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

علينا أن نأمركم بما أمركم الله به من طاعته، وننهاكم عما نهاكم الله عنه من معصيته...»[١].

وكان عليّ ابن أبي طالب ﵁ يعمل بها، ويوصي الجيش بقوله: «إني أوصيكم بتقوى الله، وحظكم ونصيبكم من الله، وما جاءكم به نبيكم ﷺ، وأن تهتدوا بهداه...»[٢].





(١) انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي (٤/٢٢٥).

(٢) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (٩/٤٤٨).

٢- مظهر اختيار الأمناء والثقات على الجيش

إن وجود صفة الأمانة -بل صفة الثقة أيضًا- لتبعث في أوساط الجيش الراحة والاطمئنان، فيسير الجيش تحت راية الأمناء والثقات، وهو يَعْلم أن هذا القائد لن يضيعه، ولن يهضمه حقَّه، ولذلك ذكر الماوردي: «أنه من حقوق الله تعالى أن يؤدي الأمانة فيما حَازَه من الغنائم، ولا يغل[١] أحد منهم شيئًا حتى يقسم بين جميع الغانمين ممن شهد الواقعة، وكان على العدوّ يدًا؛ لأن لكلِّ واحدٍ منهم فيها حقًّا؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ﴾[٢]»[٣].

وعَنْ أَبِي هُرَيرة ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يوم خيبر، فلم نغنم ذهبًا ولا فضَّةً إلا الأموال والثياب والمتاع، فأهدى رجل من بني الضبيب، يقال له: رفاعة بن زيد[٤]، لرسول الله ﷺ غلامًا، اسمه مدعم[٥]، فوجه رسول الله ﷺ إلى وادي القرى، حتى إذا كان بوادي القرى، بينما مدعم يحط رحلًا لرسول الله ﷺ إذا سهمٌ غائرٌ فقتله، فقال الناس: هنيئًا له الجنة، فقال

---

(١) وهو الخيانة في المغنم، والسرقة من الغنيمة قبل القسمة. يقال: غلَّ في المغنم يغل غلولًا، فهو غالٌّ، وكل مَنْ خان في شيءٍ خفيةً فقد غل. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٣/٣٨٠).

وهو الخيانة في المغنم، والسرقة من الغنيمة قبل القسمة. يقال: غل في المغنم يغل غلولًا فهو غالٌّ. وكل من خان في شيء خفية فقد غلَّ.

(٢) سورة آل عمران آية: (١٦١).

(٣) انظر: «الأحكام السلطانية» للماوردي (ص٨٤).

(٤) **رفاعة بن زيد الجذامي من بني الضبيين من جذام،** قدم وافدًا فأسلم، وأجازه النبي ﷺ، وأقام بالمدينة أيامًا يتعلم القرآن، ثم سأل النبي ﷺ أن يكتب معه كتابًا. انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٧/٣٠٢)، «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢/١٠٨٠)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للقرطبي (٢/٥٠٠).

(٥) مولى رسول الله ﷺ، كان عبدًا لرفاعة بن زيد بن وهب الجذامي الضبي، فأهداه إلى رسول الله ﷺ، واختلف: هل أعتقه رسول الله ﷺ أو مات عبدًا، وخبره مشهور بخيبر، وهو الذي غلَّ الشملة يوم خيبر. انظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للقرطبي (٤/١٤٦٨)، «أسد الغابة» لابن الأثير (٥/١٢٦)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٦/٤٩).

رسول الله ﷺ: «**كلَّا، والذي نفسي بيده، إن الشملة**[١] **التي أخذها يوم خيبر من المغانم، لم تصبْها المقاسم، لتَشْتعل عليه نارًا**»، فلمَّا سمع ذلك الناس، جاء رجلٌ بشراك – أو شراكين– إلى النبي ﷺ، فقال: «**شراك**[٢] **من نار**» أو: «**شراكان من نار**»[٣].

وعن عدي بن عميرة الكندي ﷺ[٤]، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَن استعملناه منكم على عملٍ، فكتمنا مخيطًا**[٥]، **فما فوقه كان غلولًا يأتي به يوم القيامة**»، قال: فقام إليه رجل أسود من الأنصار –كأني أنظر إليه–، فقال: يا رسول الله، اقبَلْ عني عملك، قال: «**وما لك؟**». قال: سمعتك تقول كذا وكذا، قال: «**وأنا أقوله الآن، مَن استعملناه منكم على عملٍ، فليجئ بقليله وكثيره، فما أُوتِيَ منه أخذ، وما نهي عنه انتهى**»[٦].

ومن مهمَّات القائد: اختيار الأمناء للجيش وغيره[٧]، وانتهج هذا الطريق خلفاؤه من بعده، فكان الصِّدِّيق ﷺ يكتب كتابًا لأهل السواد في العراق: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتابٌ من أبي بكرٍ ﷺ أمين رسول الله ﷺ الذي استخلف في الأرض بعده...»[٨].

«وقال الصحابة لأبي بكرٍ ﷺ عندما خرج إلى ذي القصة وهم بالمسير بنفسه، فقال له

---

(١) هي كساء يؤتزر به ويشتمل. «مقاييس اللغة» لابن فارس (٢١٥/٣).

(٢) «**الشراك**»، هو سير النعل على ظهر القدم. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» لأحمد مختار (١١٩٥/٢).

(٣) انظر: «صحيح البخاري» كتاب الأيمان والنذور، باب هل يدخل في الأرض الغنم والزروع والأمتعة (١٤٣/٨ ح٦٧٠٧).

(٤) **هو عدي بن عميرة بن فروة بن زرارة**، من بني الأرقم، بطن لهم مسجد بالكوفة، روى عشرة أحاديث، مات بالكوفة سنة ٤٠هـ. انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (١٤/٤)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للقرطبي (١٠٦٠/٣)، «الأعلام» للزركلي (٢٢١/٤).

(٥) خطت الثوب أخيطه.. والخياط: الإبرة. انظر: «تهذيب اللغة» للهروي (٢٠٨/٧).

(٦) انظر: «صحيح مسلم»، كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال (١٤٦٥/٣ ح١٨٣٣).

(٧) انظر: «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص٢٧٢)، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٨) انظر: «الخراج» (ص٢٣٥)، لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري (المتوفى: ١٨٢هـ)، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، سعد حسن محمد.

المسلمون: إنك لا تصنع بالمسير بنفسك شيئًا، ولا ندري ما تقصد، فَأْمُرْ رجلًا تأمنه، وتثق به وارجع إلى المدينة»(١).

ومن ضمن الرسائل والبعوث: كَانُوا يكتبون: ويولي عليهم رجلًا يأمنه، ويثق بناحيته(٢).

وفي عهد الفاروق ﷺ: أقبل عمرو بن العاص ﷺ عليه، وقال له: يا أبا حفص، أنت تعلم شدتي على العدوّ، وصبري على الحرب، فلو كلَّمت الخليفة أن يجعلني أميرًا على أبي عبيدة، وقد رأيت منزلتي عند رسول الله ﷺ، وإني أرجو أن يفتح الله على يدي البلاد، ويهلك الأعداء. قال عمر ﷺ: ما كنت بالذي أكذبك، وما كنت بالذي أُكلِّمه في ذلك، فإنه ليس على أبي عبيدة ﷺ أمير، ولأبي عبيدة ﷺ عندنا أفضل منزلةً منك، وأقدم سابقةً منك، والنبي ﷺ قال فيه: «**أبو عبيدة أمين الأمة**»(٣).

«في تلك المواقف تظهر الأخلاق الجميلة من أمير المؤمنين ﷺ تطييبًا لخاطر عمرو بن العاص ﷺ بقوله له: «ما كنت بالذي أكذبك»، كما أنه حفظ ما عهد لهم رسول الله في أمانة أبي عبيدة ﷺ؛ لأن صفة الأمانة ستنبعث من مراقبةٍ مستمرةٍ، ورحمةٍ بمَنْ قد كلف برعايتهم، وصار أميرًا عليهم، وتظهر هذه الصفة الجميلة عندما جمع الصحابة ﷺ في أهل المدائن، فأقبل رجلٌ لا يعرفه الجيش بحقٍّ إلى صاحب الأقباض، فقال هو والذين معه: ما رأينا مثل هذا، ما يعدله ما عندنا، ولا يقاربه. فقالوا: هل أخذت منه شيئًا؟ فقال: والله، لولا الله ما أتيتكم به. فقالوا: مَن أنت؟ فقال: والله، لا أخبركم فتحمدوني، ولكني أحمد الله، وأرضى بثوابه، فأتبعوه رجلًا، فسأل عنه، فإذا هو عامر بن عبد قيس(٤) مما جعل سعد بن أبي وقاص يقول: والله، إن الجيش لذو أمانةٍ، ولولا ما سبق لأهل بدرٍ لقلت: إنهم على فضل أهل بدرٍ،

(١) انظر: «تاريخ خليفة بن خياط» (ص١٠٢).

(٢) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣/٣٢٢).

(٣) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١/١٣).

(٤) **هو عامر بن عبد قيس، التميمي العنبري البصري الزاهد**، أبو عبد الله، ويقال: أبو عمرو، كان ثقةً من كبار عباد التابعين، وكان يقرئ الناس، توفي زمن معاوية سنة٧٠هـ مع خلاف في وفاته. انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (٢/٦٥٢)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٤/٥١٧)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٣/٤٧٩).

لقد تتبعت منهم هنات ما أحسبها من هؤلاء»[١].

«وحينما أراد عمر معرفة الأخبار عن الروم، راسل أبا عبيدة الجراح ﷺ، ثم ردَّ عليه مجيبًا في كتابٍ، وقال فيه:.. أما بعد، فإنَّ عيوني قدمت عليَّ من أرض عدوِّنا، من القرية التي فيها ملك الروم، فحدَّثوني بأنَّ الروم قد توجَّهوا إلينا، وجمعوا لنا من الجموع ما لم يجمعوه لأمَّةٍ قط كانت قبلنا، وقد دعوت المسلمين فأخبرتهم الخبر، واستشرتهم في الرأي، فاجتمع رأيهم على أن يتنحَّوا عنهم حتى يأتينا رأيك، وقد بعثت إليك رجل سفيان بن عوف بن معقل[٢] عنده علم ما قلنا، فسَلْه عمَّا بدا لك، فإنه بذلك عليم، وهو عندنا أمين»[٣].

وذكر ابن قتيبة[٤] في الأخبار «أن عمر ﷺ أُتِي بتاج كسرى وسواريه، جعل يقلِّبه بعودٍ في يده، ويقول: والله، إن الذي أدَّى إلينا هذا لأمينٌ، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أنت أمين الله، يؤدُّون إليك ما أدَّيت إلى الله، فإذا رتعتَ رتعوا، قال: صدقت»[٥].

«وقد طبق هذا القادة من بعده، فعندما دخل السائب بن الأقرع[٦] على المدائن، ووجد

(١) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٢/٣٤٣).

(٢) قلت: وجدته بالمغفل، وهو سفيان بن عوف بن المغفل الغامدي، صحب النبي ﷺ، وكان له بأس ونجدة وسخاء، استعمله معاوية على الصوائف، وكان مع أبي عبيدة بن الجراح بالشام حين افتتحت، مات مرابطًا سنة ٥٢هـ. انظر: «مختصر تاريخ دمشق» (١٠/٢٢)، لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري لرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، المحقق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار النشر: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٤م. «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٣/١٠٦)، «تاريخ الإسلام» للذهبي (٢/٥٠٢).

(٣) انظر: «مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة» للحيدر آبادي (ص٤٧٠).

(٤) **أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري**، كبير المحل في اللغة، عالم، جامع، سمع الحديث، وكان يعرف له كتاب القبلة، وكتاب النبات. انظر: «الإرشاد في معرفة علماء الحديث» (٢/٦٢٥)، لأبي يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني (المتوفى: ٤٤٦هـ)، المحقق: د. محمد سعيد عمر إدريس، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض. «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥/٤١١).

(٥) انظر: «عيون الأخبار» لابن قتيبة (١/١١٥).

(٦) **هو السائب بن الأقرع بن عوف الثقفي**، ابن عم عثمان بن أبي العاص، وكان ولَّاه عمر قسمة غنائم نهاوند. انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٤/١٥١)، «أسد الغابة» لابن الأثير (٢/٣٨٨)، «تاريخ الإسلام» للذهبي (٢/٦٤٣).

خاتمًا لكسرى، ولم يكن ضمن فيء المسلمين، فلمَّا قدم بهذا المتاع على عمر رضي الله عنه وعليه الخاتم، فكتب إلى السائب أن يقدم عليه، فلما قدم قال له: أتعرف مَنْ صاحب الخاتم؟ قلت: نعم. قال: اذهب فاجعله في بيت مال المسلمين حتى أقسمه بينهم(١).

وكانوا إذا أرادوا أن يندبوا للجهاد، كان من شروطهم الأمانة، ولذلك كَاتَبَ عمر رضي الله عنه إلى عامل مكَّة وقتها عتَّاب بن أسيد رضي الله عنه(٢): أن اضرب على أهل مكَّة وعملها خمسمائة مقو، وابعث عليهم رجلًا تأمنه»(٣).

وفي عهد عثمان رضي الله عنه عندما انطلق جيشا عبد الله بن عامر وسعيد بن العاص نحو خراسان، فقال لهما: أيكم سبق فهو أمين، فوصفهما جميعًا بالأمانة على خراسان(٤)، وكانوا يختارون للصدقات والغنائم رجلًا أمينًا ثقةً ناصحًا عفيفًا وذا صلاحٍ(٥).

وكَتَب أبو الأسود الدؤلي(٦) إلى عليٍّ ابن أبي طالبٍ رضي الله عنه: «أما بعد، فإن الله جعلك واليًا مؤتمنًا، وراعيًا مسؤولًا، وقد بلوناك رحمك الله، فوجدناك عظيم الأمانة، ناصحًا للأُمَّة؛ توفر لهم فيئهم، وتكف نفسك عن دنياهم...»(٧).

---

(١) انظر: «سراج الملوك» (ص١٣١)، محمد بن محمد الطرطوشي، الناشر: من أوائل المطبوعات العربية – مصر، ١٢٨٩هـ.

(٢) **هو عتاب بن أسيد بن قصي**، وُلِد عتاب بن أسيد عبد الرحمن وعتابًا، وأمهما جويرية بنت أبي جهل بن هشام، أسلم يوم فتح مكة، واستعمله رسول الله ﷺ على مكة يصلي بهم، وكان أمير مكة سنة ثمان من الهجرة. انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (ص١٥٦، ١٥٧، ١٥٨)، «التاريخ الكبير» للبخاري (٥٤/٧)، «أسد الغابة» لابن الأثير (٤٥٢/٣).

(٣) انظر: «مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة» للحيدر آبادي (ص٣٤٤).

(٤) انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي (١٦/٥).

(٥) انظر: «الخراج» لأبي يوسف (ص٩٣).

(٦) **واسمه: ظالم بن عمرو بن سفيان من كنانة**، وكان شاعرًا، وكان ثقةً في حديثه، وشهد مع عليٍّ رضي الله عنه وقعة صفين، وهو بصري، وكان من أكمل الرجال رأيًا، وأسدهم عقلًا، وهو أول من وضع النحو، وكان عبد الله بن عباس لما خرج من البصرة استخلف عليها أبا الأسود الدؤلي، فأقره عليٌّ ابن أبي طالب. انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٦٩/٧)، «وفيات الأعيان» (٥٣٥/٢)، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت. «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٨١/٤).

(٧) انظر: «العقد الفريد» (١٠٢/٥)، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.

٣- مظاهر الرحمة في اختيار الشجعان والمؤثرين في الجيش

واستحبوا في القائد أن يكون: شريفًا، متواضعًا، ناصحًا، خبيرًا بالحرب، ممارسًا لها، عارفًا بمواضع الفرص من غير تغريرٍ، لين الأكناف للجند، مقوِّمًا لهم على صالح الأدب، مانعًا لهم من العداء على الرعية، شاغلًا لهم بما يُرَاد بهم(١).

وعندما يهتم القائد باختيار قادته أصحاب الكفاءات العليا، فإنه يعلم أن لهم تأثيرًا على مَنْ تحتهم من الجنود، بل هم قدوات في أعينهم، فإذا أقدم القائد مخترقًا صفوف الأعداء لا يهاب، ولا يخاف، أصبح هذا من دوافع إقدام الجيش، وكما أن السلطان له تأثيرٌ على رعيته، فكذلك للقائد أثرٌ يلتمس من تصرفات جنده، فصلاحُهُ يسري لصلاحهم، وشجاعته تدفعهم، وسابقته تحسن ظنهم به، ولذا حرص الرسول ﷺ قبل بداية المعارك على اختيار القادة الأَكْفَاء، وأصحاب القدرات الفنية الحربية العالية، فكان يختار قادته على صفاتٍ تتوفَّر بهم، مثل القدرة والقوة والشجاعة، وأهمها عدم المخالفة للأوامر العليا من الرسول عليه السلام(٢).

«ولقد كان ﷺ كما يقول عنه أنس بن مالك رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس»، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلةٍ، فانطلق ناسٌ قِبَلَ الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعًا، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرسٍ لأبي طلحة رضي الله عنه عُري(٣)،

---

(١) انظر: «بدائع السلك في طبائع الملك» لابن الأزرق (١/٢٠٤).

(٢) انظر: «الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية» (١/٣٠١)، سليمان بن صالح كمال، جامعة أم القرى، إشراف الدكتور إبراهيم نجيب عوض ١٤١٣هـ، ١٤١٩.

(٣) بضم مهملة، وسكون راء، وقيل: بكسر الراء وتشديدها، أي: لا سرج عليه، ولا غيره. انظر: «حاشية السندي على سنن ابن ماجه» (٢/١٧٦)، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: ١١٣٨هـ)، الناشر: دار الجيل – بيروت، بدون طبعة.

في عنقه السيف، وهو يقول: «**لم تراعوا، لم تراعوا**»[١] قال: «**وجدناه بحرًا**»[٢]، أو «**إنه لبحر**»، قال: وكان فرسًا يبطأ»[٣].

قال النووي[٤]: «**وفيه فوائدُ، منها:** شجاعته ﷺ من شدَّة عجلته في الخروج إلى العدو قبل الناس كلهم بحيث كشف الحال، ورجع قبل وصول الناس. وفيه بيان عظيم بركته ومعجزته في انقلاب الفرس سريعًا بعد أن كان يبطأ، وهو معنى قوله ﷺ: «**وجدناه بحرًا**»، أي: واسع الجري. وفيه جواز سبق الإنسان وَحْده في كشف أخبار العدو ما لم يتحقق الهلاك. وفيه جواز العارية وجواز الغزو على الفرس المستعار لذلك. وفيه استحباب تقلد السيف في العنق، واستحباب تبشير الناس بعدم الخوف إذا ذهب...»[٥].

وهذا يدلُّ على أن القائد يتحلى بهاتين الصفتين: صفة الشجاعة، وصفة القوة، فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب، وإلى الخبرة بالحروب والمخادعة فيها، فإن الحرب خدعة، وإلى القدرة على أنواع القتال؛ من رمي، وطعنٍ، وضربٍ، وركوبٍ، وكرٍّ، وفرٍّ[٦].

ولذلك، لما اختار الرسول ﷺ عبد الله بن جحش رضي الله عنه، وعَيَّنه قائدًا لسرية، وأعطاه كتابًا

---

(١) أي: لم يكن شيء يفزعكم، ولا حدث ما يروعكم. انظر: «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٢٧١/٧)، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

و«**الروع**»: الفزع. كذا قال في الرواية الأخرى: «ما رأينا من فزع».

(٢) واسع الجري. انظر: «شرح النووي على مسلم» (٦٨/١٥).

(٣) انظر: «صحيح مسلم»، كتاب الفضائل، باب شجاعة النبي ﷺ وتقدمه للحرب (١٨٠٢/٤ح٢٣٠٧).

(٤) **هو يحيى بن شرف النووي، الشافعي**، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث، مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية) وإليها تعلم في دمشق، وأقام بها زمنًا طويلًا. من كتبه: «تهذيب الأسماء واللغات»، و«منهاج الطالبين»، و«المنهاج في شرح صحيح مسلم»، مات سنة ٦٧٦ هـ. انظر: «الأعلام» للزركلي (١٤٩/٨).

(٥) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٦٨/١٥).

(٦) انظر: «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية» (ص١٣)، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

وأمره ألَّا يفتح هذا الكتاب إلا بعد مسيرة يومين، ولما فعل.. فإذا فيه: إذا نظرتَ في كتابي هذا، فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها قريشًا، وتَعْلم لنا من أخبارهم، فلمَّا نظر عبد الله بن جحش في الكتاب، قال: سمعًا وطاعةً، ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة، أرصد بها قريشًا حتى آتيه منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحدًا منكم(١).

وإنما وقع اختيار النبي ﷺ على هذا المكان البعيد؛ لأن أهل مكَّة كانوا قد بدؤوا يحتاطون لتجارتهم.. وكانت حكمة بالغة أنه لم يخبر السرية بمقصده من إرسالهم ووجهتهم قبل مغادرتهم المدينة؛ حذرًا من أن يُشَاع الخبر، فينقله أحد المنافقين أو اليهود إلى قريش، فتترصدهم في هذا المكان النائي عن المدينة، وهم قلة فتقتلهم(٢)، وهو بذلك يكون أول مَن ابتكر أسلوب «الرسائل المكتومة»(٣).

ولما بعث ؑ عمرو بن العاص ؓ في سرية فيهم أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما-، فلمَّا انتهوا إلى مكان الحرب، أمرهم عمرو ؓ ألَّا ينوروا نارًا، فغضب عمر ؓ، فهَمَّ أن يأتيه، فنهاه أبو بكر ؓ، وأخبره أنه لم يستعمله رسول الله ﷺ إلا لعلمِهِ بالحرب، فهدأ عنه، وقال فيه: «إني لأُؤمِّر الرجل على القوم فيهم مَنْ هو خيرٌ منه؛ لأنه أيقظ عينًا، وأبصر بالحرب»(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية(٥) رحمه الله: «وأمَّر النبي ﷺ مرة عمرو بن العاص ؓ في

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» (٦٠٢/١)، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، المحقق: طه عبد الرءوف سعد، الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة.

(٢) انظر: «السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة» (١١٩/٢)، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الناشر: دار القلم – دمشق، الطبعة: الثامنة – ١٤٢٧هـ.

(٣) انظر: «الإدارة في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم» لأحمد عجاج (ص٢١٤).

(٤) انظر: «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص٨٧)، «الإدارة في عصر الرسول» لأحمد عجاج (ص١٩٩).

(٥) **هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي الحنبلي**، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية الإمام، شيخ الإسلام. ولد في حران، وتحول به أبوه إلى دمشق، فنبغ واشتهر، وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها، فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية، ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢هـ، واعتقل بها سنة ٧٢٠، =

غزوة «ذات السلاسل» -استعطافًا لأقاربه الذين بعثه إليهم- على مَنْ هم أفضل منه، وأمَّر أسامة بن زيد رضي الله عنه لأجل طلب ثأر أبيه، وكذلك كان يستعمل الرجل لمصلحة راجحة مع أنه قد كان يكون مع الأمير مَنْ هو أفضل منه في العلم والإيمان»[(١)].

وفي عهد الراشدين رضي الله عنهم كان لها نصيب في اختيار الأَكْفَاء والقادة المتمرسين في الحروب؛ لأن لكل إنسان بابًا من المعارف، وفنًّا من الصناعات قد سمحت له به طباعه، وأفادته إياه غريزته، فصار لديه كالسجية التي لا حيلةَ في تركها، والضريبة التي لا سبيل إلى مفارقتها[(٢)].

وعند التأمل العميق في كيفية إدارة الصديق رضي الله عنه العسكرية للجند، لتجد أن هذا القائد العظيم قام باختيار القادة المؤثرين على جيوشهم، كأمثال خالد بن الوليد رضي الله عنه عندما أرسله لطليحة الأسدي.. وأخذ ينظم عقد الأَلْوِيَة، فعقد أحد عشر لواءً، وكان ممن عقد له عمرو بن العاص رضي الله عنه، وكانت وجهتُهُ إلى فلسطين، فكان مما أوصاه الصديق رضي الله عنه به: «يا عمرو، إنك ذو رأي وتجربة بالأمور، وبصر بالحرب.. ولا تَدَّخر عنهم صالح مشورة، فرُبَّ رأيٍ لك محمود في الحرب مبارك في عواقب الأمور...»[(٣)].

ودعا رجلًا من بني عامر بن لؤي، وكان فارسًا مشهورًا في الحجاز، فعقد له راية، وأمَّره على ألف فارس[(٤)]، وقال لهاشم بن عتبة بن أبي وقاص[(٥)]: «... إنما كنا ننتفع من الشيخ الكبير برأيه ومشورته وحسن تدبيره، وكنا ننتفع من الشباب بصبره وبأسه ونجدته، وإن الله عز وجل

= وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلًا بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته، كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين. آية في «التفسير والأصول»: فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان، وفي «الدرر الكامنة» أنه ناظر العلماء، واستدلَّ وبرع في العلم والتفسير، مات ٧٢٨هـ. انظر: «الأعلام» للزركلي (١٤٤/١).

(١) انظر: «السياسة الشرعية» (ص١٦).

(٢) انظر: «السياسة» لابن سينا (ص١٠٩).

(٣) انظر: «تاريخ فتوح الشام» للأزدي (٤٠، ٤١).

(٤) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٧/١).

(٥) **هو هاشم بن عتبة بن أبي وقاص**، ابن أخي سعد بن أبي وقاص، أسلم يوم الفتح، وشهد القادسية، كان عمر يستعين به على أمور المسلمين، وعلى البعوث. قتل في يوم الجمل سنة ٣٦هـ. انظر: «مشاهير علماء الأمصار» لمحمد بن حبان (٣٤/١)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للقرطبي (١٥٤٦/٤)، «أسد الغابة» لابن الأثير (٣٥٣/٥).

قد جمع لك الخصال كلها، وأنت حديث السن، مستقبل الخير، فإذا لقيت عدوك فاصبر وصابر، واعلم أنك لا تخطو خطوةً ولا تنفق نفقةً، ولا يصيبك ظمأٌ ولا نصبٌ ولا مخمصةٌ[١] في سبيل الله إلا كتب الله به عملًا صالحًا، إن الله لا يضيع أجر المحسنين، فقال هاشم: إن يرد الله بي خيرًا، يجعلني كذلك...»، وهنا نجد أن الصِّدِّيق ﷺ اختار الصحابي هاشم ﷺ؛ لأنه جمع بين خصال عظيمة؛ منها: الشجاعة والصبر في البأس وغيرها، وجاء بعده الفاروق ﷺ؛ ليكمل مسيرته، فمن سمات عمر ﷺ الفذَّة: أنه كان لديه معرفة كاملة بجميع أحوال القادة، متفرسًا في كل فردٍ من أفراد الرعية ومؤهلاته، فاختار النعمان بن مقرن المزني ﷺ لقيادة الجيش الإسلامي إلى نهاوند، فكتب إليه بإمارة جند المسلمين[٢]، ثم قال: لأولينَّ الحرب رجلًا يكون غدًا لأسنَّة القوم جزرًا[٣]، فولاه الأمر، وكان من خيار أصحاب رسول الله ﷺ[٤].

ولم يَفُتْ عمر ﷺ تعيينه للقادة لرؤيته العميقة لخطر المعركة وضراوتها، ولذلك كان من صفات القائد أن يختار أهل الرأي والعقل، ويترك أهل العجلة، أو مَنْ يتخذون القرارات الفردية دون الرجوع إلى القائد الأعلى، فمثلًا: لما بعث أبا عبيد ﷺ إلى العراق، بعث معه سليط بن عمرو الأنصاري ﷺ، وقال له: لولا عجلة فيك لوليتك، ولكن الحرب زبون[٥] لا يصلح لها إلا الرجل المكيث[٦][٧].

وعندما علم خالد ﷺ بزحف الروم واجتماعهم حينما أيقنوا بتعب المسلمين وإرهاقهم، وتعب خيولهم، شَجَّعهم خالد ﷺ، وقال لهم: فاركبوا بارك الله فيكم، واحملوا على بركة الله تعالى، قال: فركب المسلمون، وأخذوا أهبتهم للحرب، فَجَعل من الميمنة رافع بن عميرة الطائي ﷺ، وَجَعل في الميسرة ضرار بن الأزور ﷺ، وكان غلامًا فاتكًا في الحرب[٨].

---

(١) «مجاعة شديدة». انظر: «مختار الصحاح» (ص٩٧).

(٢) انظر: «تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية» لمحمد طقوش (ص٢٢٠).

(٣) الجزر القطع، يقال: صاروا جزرًا لعدوهم، أي: قطعًا. انظر: «العين» للفراهيدي (٦/٦٣).

(٤) انظر: «الأخبار الطوال» للدينوري (ص١٣٥).

(٥) «**تزبن الناس**»، أي: تصدمهم وتدفعهم، انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٣/١٩٤).

(٦) و«**رجل مكيث**» أي: رزين. انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٢/١٩١).

(٧) انظر: «دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية ﷺ» لعبد السلام آل عيسى (٢/١٠٩٧).

(٨) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١/٢٦).

وفي عهد عثمان ﵁ قام بإحباط تحركات الروم عندما انتهى الوليد بن عقبة ﵁ من مهمته في أذربيجان، وعاد إلى الموصل، جاءه أمر من الخليفة عثمان ﵁ نصه: «أما بعد، فإن معاوية بن أبي سفيان ﵁ كتب إليّ يخبرني أن الروم قد أجلبت على المسلمين بجموع عظيمة، وقد رأيت أن يمدهم إخوانهم من أهل الكوفة، فإذا أتاك كتابي هذا فابعث رجلًا ممن ترضى نجدته وبأسه وشجاعته وإسلامه...»(١).

وكان يتم اختيار المؤثرين في الجيش كما تمَّ اختيار خطيب الجيش عاصم بن عمر ﵁، وَكَان له أثرٌ في تشجيع الجيش، وحثهم على الصبر والقتال، ومما قاله: «يا معاشر العرب، إنكم أعيان العرب، وقد صمدتم الأعيان من العجم، وإنما تخاطرون بالجنة، ويخاطرون بالدنيا، فلا يكونن على دنياهم أحوط منكم على آخرتكم، لا تحدثوا اليوم أمرًا تكونون به شيئًا على العرب غدًا...»(٢).





(١) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٤/ ٢٤٧)

(٢) المصدر نفسه (٣/٥٣٤).

٤- مظاهر الرحمة في اختيار القادة أهل العدل

لا ريبَ أن العدلَ فيما تولاهم، والإحسان إلى مَن استرعاهم، والسهر لنومهم، والتعب لحراستهم[١] تجعل الجند تطيب نُفُوسُهم، كما قال ﷻ: ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾[٢].

قال السعدي[٣] رحمه الله في «تفسيره»: «كلَّما حرصتم على العدل، واجتهدتم في العمل به، كان ذلك أقرب لتقوى قلوبكم، فإن تمَّ العدل كملت التقوى»[٤].

«والعدل من أعظم مظاهر الرحمة بين الجند، فيبعث فيهم روح التنافس للقتال، مع راحةٍ وطمأنينةٍ أثناء المعركة، فيجدها الجندي في قلبه، ومن ثم أيضًا كون هناك عدل بعد المعركة في توزيع الغنائم وغيرها مما تشرئب إليه النفس البشرية، وتتوق إليها الطبيعة الجبلِّيَّة، فإن من سنن العدل التي يؤثر أمير المؤمنين أن يحييها، وآداب الله التي يرى أن يأخذ بها ويقتفيها: إثابة المحسن بإحسانه، والإيفاء به على أقرانه، والمجازاة له عن راشد مساعيه، وصائب مراميه[٥]، ولأنه يَبْعث على الطاعة، ويدعو إلى الألفة، وبه تَصْلح الأعمال، وتنمو الأموال»[٦].

---

(١) انظر: «السياسة» للوزير المغربي (ص٤٥).

(٢) سورة المائدة: آية (٨).

(٣) **هو عبد الرحمن بن ناصر السعدي التميمي**، عالم حنبلي، مفسر، مولده ووفاته في عنيزة - بالقصيم، بالمملكة العربية السعودية. من كتبه: «تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن»، و«القواعد الحسان في تفسير القرآن»، و«تيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن»، مات سنة ١٣٧٦هـ، «معجم المفسرين» (٢٧٩/١)، عادل نويهض، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

(٤) انظر: «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (ص٢٢٤) لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، ق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة. ط: الأولى ١٤٢٠هـ.

(٥) انظر: «رسوم دار الخلافة» (ص١١٤)، هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابئ الحراني، أبو الحسين، أو أبو الحسن (المتوفى: ٤٤٨هـ)، المحقق: ميخائيل عواد، الناشر: دار الرائد العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٦م.

(٦) انظر: «المنهج المسلوك في سياسة الملوك» (ص٢٤٢)، لعبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، أبو النجيب، جلال الدين =

وكان ﷺ يعدل بين أصحابه فيما يراه مصلحةً ومناسبًا، بل غضب في غزوة حنين[١] حين اتُّهم في عدله، فقد حدَّث أبو سعيد الخدري ﷺ، قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسمًا، أتاه ذو الخويصرة[٢]، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله، اعدل، فقال: «**وَيْلك! ومَنْ يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل**»[٣].

قال ابن بطال في شرحه «صحيح البخاري»: «وحكى الطبري هذه المقالة عن بعض أهل العلم قالوا: حكم المغانم كلها لرسول الله ﷺ فى مغازيه كلها، وله أن يصرفها إلى مَنْ شاء، ويحرمها على مَنْ حضر القتال، ومَنْ لم يحضر، واعتلُّوا بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[٤]، وبفعله ﷺ فى هوازن ولم يسم القائلين بذلك»[٥].

وسار على هذا خلفاؤه ﷺ من بعده، فكان الصِّديق ﷺ يوصي يزيد بن أبي سفيان: «... ولا تغضب على قومك، ولا على أصحابك، وشاورهم في الأمر، واستعمل العدل، وباعد عنك الظلم والجور...»[٦].

وفي عهد الفاروق ﷺ لما خرج الناس من المدينة قاصدين القادسية، شيعهم وقام فيهم خطيبًا، فقال: «إن الله تعالى إنما ضرب لكم الأمثال، وصرف لكم القول، ليحيي به القلوب، فإن القلوب

= العدوي الشيزري الشافعي (المتوفى: نحو ٥٩٠هـ)، المحقق: علي عبد الله الموسى، الناشر: مكتبة المنار – الزرقاء.

(١) هو وادٍ قريب من الطائف، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلًا، وقد تقدم ذكره في رسم أوطاس؛ والأغلب عليه التذكير؛ لأنه اسم ماء. انظر: «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» لأبي عبيد البكري (٤٧١/٢).

(٢) مصغر الخاصرة بالخاء المعجمة والصاد المهملة، وهي خاصرة الإنسان: جنبه ما بين عظم الحوض وأسفل الأضلاع، وكل جانب من الجسم ابتداء من أسفل الأضلاع إلى الورك مع خلافٍ في اسمه لا فائدة من ذكره. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» لأحمد مختار (٦٤٩/١)، «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٢١/٢٥)، محمود بن أحمد بدر الدين العيني، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت. «فتح الباري» لابن حجر (٢٩٤/١).

(٣) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٢٠٠/٤ ح٣٦١٠).

(٤) سورة الأنفال: آية (١).

(٥) انظر: «صحيح البخارى» لابن بطال (٣٠٢/٥)، قلت: هناك خلاف طويل في سبب إشكال عدم العدل أمام هذا الأعرابي، وأقرب الأقوال هو ما ذكرته أعلاه، والله أعلم.

(٦) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٨/١).

ميتة في صدورها حتى يحييها الله، مَنْ علم شيئًا فلينتفع به، وإنَّ للعدل أمارات وتباشير، فأما الأمارات، فالحياء، والسخاء، والهين، واللين، وأما التباشير فالرحمة، وقَدْ جَعَل الله لكلِّ أمرٍ بابًا، ويسَّر لكل بابٍ مفتاحًا، فباب العدل الاعتبار، ومفتاحه الزهد»(١)، وهذا ما يلزم أن يتصف به القائد: وهو لين الجانب للجند، والتواضع، والمشاورة لهم، والقرب منهم، والسعي عليهم؛ لقَضَاء حاجاتهم، وتفقُّد أحوالهم، وتطييب خواطرهم، والنظر في أمورهم، والإصلاح فيما بينهم لأجل أن يلتفوا حوله، ولا ينفضوا من حوله، وحينما جاءت التباشير بالفتح قام عمر بن الخطاب ﵁ في الناس، فقرأ عليهم الفتح، وقال: «إني حريصٌ على ألَّا أدع حاجةً إلا سددتها ما اتَّسع بعضنا لبعض، فإذا عجز ذلك عنات، تآسَينا في عيشنا حتى نستوي في الكفاف»(٢).

وكتب عمر إلى أبي موسى: «إنه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائجهم، فأكرم من قبلك من وجوه الناس، وبحسب المسلم الضعيف من العدل أن ينصفَ فِي الحكم وفي القسم»(٣).

«وحينما فتح المسلمون الإسكندرية، وَكَانَ أميرهم على الجيش خالد بن الوليد ﵁، وقال له القبطي لما دلوه عليه: هل أنت أميرهم؟ يزعمون أني أميرهم ما دمت على الحقِّ، واتباع العدل، والإنصاف، والخوف من الله محسنًا للمحسنين منهم، شدادًا على المسيئين منهم، فمَتى حِدْتُ عن هذه الأشياء، فلا إمارة لي عليهم، فقال البطرك: أنتم والله القوم الذين بشَّر بكم عيسى ابن البتول، وإن الحقَّ معكم لا يفارقكم...»(٤).

ولما رحل عياض بن غنم من رأس العين، وارتحل عن دارا، وقصد بيرحا، فصالح أهلها على ربع ما صالح عليه أهل دارا، ورحل عنها، ودار بين ملكهم والصحابي عياض بن غنم ﵁ حديث، ومما جاء فيه أنه قال: «لا مانع من الدخول في دينكم، فقال له عياض ﵁: ما اسمك؟ قال: اسمي طرياطس. فقال: يا طرياطس، إنا نحكمكم على العدل، فما فتح الله علينا

(١) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٤٨٥/٣).
(٢) المصدر نفسه (٥٨٤/٣).
(٣) المصدر نفسه (٢٠٣/٤).
(٤) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٧٤/٢).

إلا باتباع الحق، وسلوك طريق الصدق والعدل في الرعية، وإنا نتجنب البغي والظلم»(١).

وفي عهد عثمان ﷺ، قدم الصحابي سعيد بن العاص ﷺ الكوفة أميرًا عليهم من قِبَلِ الصحابي الجليل عثمان بن عفان ﷺ، كتب إلى عثمان ﷺ يصف له حال أهل الكوفة، وما وصلوا إليه من انفتاحٍ من دخول الأعراب واختلاطهم بالعجم... فكتب إليه عثمان ﷺ، أما بعد: «ففضل أهل السابقة والقدمة(٢) ممن فتح الله عليه تلك البلاد.. واحفظ لكلٍّ منزلته، وأعطهم جميعًا بقسطهم من الحق، فإن المعرفة بالناس بها يصاب العدل...»(٣).

وكان أول كتاب كَتَبه إلى عمال الخراج: «أما بعد: فإن الله خلق الخلق بالحق، فلا يقبل إلا الحق، خذوا الحقَّ وأعطوا الحقَّ به، والأمانة الأمانة، قوموا عليها، ولا تكونوا أول مَنْ يسلبها، فتكونوا شركاء من بَعْدكم إلى ما اكتسبتم، والوفاء الوفاء، لا تظلموا اليتيم، ولا المعاهد، فإن الله خصم لمن ظلمهم... وإن أعدل السيرة أن تَنْظروا في أمور المسلمين فيما عليهم، فتُعْطوهم ما لهم، وتَأْخُذُوهم بما عليهم، ثم تثنوا بالذمة، فتُعْطوهم الذي لهم، وتأخذوهم بالذي عليهم»(٤).

وكان عليٌّ ﷺ يمشي في الأسواق وحده وهو خليفة، يرشد الضال، ويعين الضعيف، ويمر بالبياع والبقال، فيفتح عليه القرآن، ويقرأ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾(٥)، ثم يقول: «نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة من سائر الناس»(٦).

---

(١) المصدر نفسه (١٤٢/٢).

(٢) «**القدمة**»، من الإقدام، وهو الرجل كثير السبق. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» لأحمد مختار (٣/ ١٧٨٦)، قلت: هم الشجعان، وأهل الإقدام، ومما يدلُّ على ذلك رواية عند الطبري.. ثم دعا (عمر بن الخطاب) أبا عبيد، وسليطًا وسعدًا، فقال: أما إنكما لو سبقتماه لوليتكما، ولأدركتما بها إلى ما لكما من القدمة، فأمَّر أبا عبيد على الجيش. انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣/ ٤٤٥).

(٣) المصدر نفسه (٢٧٩/٤).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٢٤٥/٤).

(٥) سورة القصص: آية (٨٣).

(٦) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٠٩/١١).

٥- مظهر الرحمة في اختيار الحفاظ للقرآن

لقد كان لهذا القرآن العظيم أثرٌ على صاحبه، وهدايته في الدنيا والآخرة، كما قال ﷻ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦﴾[١].

وأخبر عنه المصطفى ﷺ بقوله: «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن، مثل الأترجة، ريحها طيب، وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة، لا ريح لها، وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن، مثل الريحانة[٢]، ريحها طيب وطعمها مُرّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة[٣]، ليس لها ريحٌ، وطعمها مُرّ**»[٤].

وفي هذا المظهر الجليل نلتمس كيف أثَّر هذا القرآن حتى في مواطن القتال، وكيف كان يستحضر أهلُ القرآن هذه الآيات، ويتغنون بها بين ضربات السيوف، وصهيل الخيول وحمحمتها، ومع شجاعةٍ في قلوبهم حين يحمي الوطيس، ولك أن تتخيل قراءته وفي يد أحدهم سيف أو درع أو رمح، وفي الأخرى ممسكًا زمام فرسه، ومع ذلك يتلو الآيات؛ كقول أحدهم حينما قتل كبير النصارى، فقالوا: إنا نخاف عليك، هتف بقوله ﷻ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾[٥][٦].

ولما أخبروا خالدًا رضي الله عنه بقدوم العساكر، فقال لهم: هل حزرتم الجيوش؟ فقالوا: نعم، نحو

---

(١) سورة المائدة: آية (١٥، ١٦).

(٢) جنس نبات طيب الرائحة. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» لأحمد مختار، مادة (روح) (٩٥٧/٢).

(٣) «**الحنظل**»، هو الشجر المر الشري. انظر: «لسان العرب» لابن منظور، مادة حاء مهملة (١٨٣/١١).

(٤) انظر: «صحيح مسلم»، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة حافظ القرآن (٥٤٩/١ح ٧٩٧).

(٥) سورة التوبة: آية (٥١).

(٦) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١٠/١).

مائتي ألف فارس، وخمسين ألف راجل.. هم في أهبة عظيمة، ومعهم ألف وثلاثمائة فيل، وعلى ظهورها الرجال كما وقع في يوم حرب العراق، فلما سمع الأمراء ذلك، اضطربوا، وثبتوا جنانهم، وقالوا: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾(١)، وقال خالدٌ ﷺ: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم قرأ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾(٢)، ثم قرأ: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾(٣)، ثم إن خالدًا ﷺ قال لأصحابه:... ولا تهتموا لذلك واصبروا: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾(٤)، فليست جُمُوعُهم بأكثر من جموع اليرموك، ولا من جموع أجنادين، ومع ذلك فقد ملكتم مصرهم التي هي تاج عزهم، وملكتم الوجه البحري، وقتلتم مائةً من ملوكهم وبطارقتهم، وقد صارت الشام واليمن والعراق والحجاز بأيديكم، وقد دانت لكم البلاد، وقد كنتم قليلًا فكثركم الله، وكنتم على شفا حفرةٍ من النار فأنقذكم منها...(٥).

وآخر يقرأ للجيش: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾(٦)، وتمثل هذا المظهر أيضًا حين «كانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة، فقالوا له: انظر كيف تكون؟ إيَّاك أن تفرَّ. قال: بئس حامل القرآن أنا إذًا، فقاتل حتى قتل.

وقال أبو حذيفة: يا أهل القرآن، زينوا القرآن بالأفعال، وحمل فأنفذهم حينئذٍ وقتل(٧).

كما تمَّ اختيار المقداد بن الأسود، وكان يدور على الناس ويقرأ سورة الأنفال وآيات

(١) سورة التوبة: آية (٥١).

(٢) سورة آل عمران: آية (١٧٣).

(٣) سورة البقرة: آية (٢٤٩).

(٤) سورة محمد: آية (٣٥).

(٥) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (ص؟؟؟).

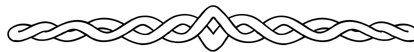
(٦) سورة الأنفال: آية (١٥).

(٧) انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي (٤/٨١).

الجهاد لرفع المعنويات، وخطيب الجيش أبو سفيان بن حرب وهو يطوف على الصفوف يحثُّ الجند على القتال[(١)].

كما كانوا أيضًا يختارون الحُفَّاظ رسلًا فيما بينهم وبين أعدائهم لمعرفتهم بفضلهم، وَتَبرُّكًا بما حَمَلوه بين أَكْنَافهم، ولما يعلمون مما أعطاهم الله فيه من قوةٍ في حُجَّتهم، فهذا حبيب بن مسلمة[(٢)] يقول في كتابه لأهل تفليس[(٣)]:... وقد بعثت إليكم عبد الرحمن بن جزء السلمي[(٤)]، وهو من أعلمنا من أهل العلم بالله، وأهل القرآن، وبعثت معه بكتابي بأمانكم[(٥)]. وهذا ما جعل حتى أعدائهم عندما يرونهم يشهدون لهم بتلك الصفات، ومنها ملازمة القرآن، ولذلك نقل القبطي صورةً للملك في فتح الإسكندرية، قائلًا له: رأيت أقوامًا قَدْ هجروا الدنيا، فمنهم القارئ، ومنهم الذاكر، لباسهم الصوف، صغيرهم يوقر كبيرهم، وكبيرهم يرحم صغيرهم، وصوت أحدهم لا يعلو على الآخر، الذكرُ كلامُهُم، والقرآن شعارهم، والتقوى لباسهم، والخوف من الله أنيسهم...[(٦)].

إنَّ القائد حينما يختار المؤثرين في الجيش لعلمه يقينًا بأن هذا سيؤثر على الجند بالإقدام، وعدم الإحجام، ولذلك حرص الخلفاء على اختيار القرَّاء للجيش، والخطباء والأمناء كما سبق ذكرُهُ.



---

(١) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١/١٠-١٤).

(٢) **هو حبيب بن مسلمة بن مالك القرشي الفهري**، يكنى أبا عبد الرحمن، يقال له: حبيب الروم؛ لكثرة دخوله إليهم، ونيله منهم، وولاه عمر بن الخطاب أعمال الجزيرة؛ إذ عزل عنها عياض بن غنم، وضم إلى حبيب بن مسلمة أرمينية وأذربيجان، ثم عزله وولى عمير بن سعد، مات في أرمينية سنة ٤٢هـ. انظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للقرطبي (١/٣٢٠)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٣/١٨٩)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٢/٢٢).

(٣) «**تفليس**»: هي مدينة بأرمينية بينها وبين قاليقلا تسعون ميلًا. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٢/٣٥).

(٤) لم أَجِدْ له ترجمةً.

(٥) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٤/١٦٢).

(٦) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٢/٧٣).

٦- مظاهر الرحمة في اختيار الصحابة دون غيرهم

حرص الخلفاء الراشدون ﷺ على اختيار مَنْ فازوا بصحبة النبي ﷺ؛ لما يعلمون من خَبَر رسولهم الخاتم، ومعلمهم الأول ﷺ في قوله: «**يأتي زمان يغزو فئامٌ من الناس، فيقال: فيكم مَنْ صحب النبي ﷺ؟ فيقال: نعم، فيفتح عليه، ثم يأتي زمان، فيقال: فيكم مَنْ صحب أصحاب النبي ﷺ؟ فيقال: نعم، فيفتح، ثم يأتي زمان فيقال: فيكم مَنْ صحب صاحب أصحاب النبي ﷺ؟ فيقال: نعم، فيفتح**»[١].

وقوله ﷺ: «**خَيْركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[٢]؛ لأنَّ صحبتهم حليف لنصرهم، وهذا ما أدركه الصدِّيق ﷺ حينما خطب في الناس قائلًا: «وإني بعثت إليكم في جيشي من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وأمرته ألا يُقْبل من أحدٍ إلا الإيمان بالله، ولا يقتله حتى يدعوه إلى الله ﷻ، فَإِنْ أجاب وأقرّ وعمل صالحًا، قُبِلَ منه، وأعانه عليه، وَإِنْ أَبَى، حاربه عليه حتى يفيء إلى أمر الله...»[٣].

وخالد بن الوليد ﷺ في بدايات غزو الشام لما تهيَّأ للسير إلى الشام، وقسم الجند نصفين: نصفًا يسير به إلى الشام، ونصفًا للمثنى، ولكنه جعل الصحابة جميعًا من نصيبه، فقال له المثنى: والله، لا أقيم إلا على إنفاذ أمر أبي بكرٍ ﷺ كله في استصحاب نصف الصحابة، وإبقاء النصف، فوالله ما أرجو النصر إلا بهم، فأنت تعريني منهم، وكان خطاب الصديق ﷺ قد وصل إلى خالد ﷺ قبل سفره يأمره فيه بمَنْ يأخذ من الجند ومَنْ يدعهم للمثنى، قال: يا خالد، لا تأخذ نجدًا إلا خلفت له نجدًا، فإذا فتح الله عليكم، فارددهم إلى العراق وأنت معهم، ثم أنت على عملك، فما زال خالد ﷺ يسترضي المثنى ويعوضه عن الصحابة ﷺ بمقاتلين من سادة أقوامهم من أهل البأس، وممن عرفوا بالشجاعة والصبر وشدة المراس، فرضي المثنى آخر الأمر...[٤].

---

(١) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب الجهاد والسير، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب (٣٧/٤ح٢٨٩٧).

(٢) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد (١٧١/٣ح٢٦٥١).

(٣) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٢٥١/٣).

(٤) المصدر نفسه (٤١١/٣).

٧- مظاهر الرحمة في اختيار القائد نائباً عنه في المعركة

انطلاقًا من قوله ﷻ: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾(١)، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾(٢)، والوزير؛ لأنه يحمل عن السلطان وِزْره، أي: ثقله(٣)، ويختار له مَنْ يرى منهم كامل العقل، طويل التجربة، بصيرًا بتدبير الحروب، ومكايد الأعداء، وأحسنهم تعبئةً لأصحابه، وتَسْيِيرهم وقت المسير، وإنزالهم أوان النزول، وإدخال الأمن عليهم، والخوف على عَدوِّهم، مع طلب السلامة لنفسِهِ وأصحابه من العدو(٤).

لقد ربَّى الرسول ﷺ صحابته الكرام على النيابة في المعارك؛ لأن النائب يقوم بأخذ الراية عن المنيب، ومن خلال هذا الحديث يقف الباحث على هذا المظهر العظيم والذي يدلُّ على الرحمة بالجيش كلهم، فلقد ورد أمره ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة ﵁، قائلًا: «**إن قُتِلَ زيد فجعفر، وإنْ قتل جعفر فعبد الله بن رواحة**»، ثمَّ أخَذها خالد ﵁ عن غير إمرة، ففتح عليهم...(٥).

قال المهلب: «في قوله: (ثم أخذها خالد بن الوليد ﵁ من غير إمرة ففتح له)، وفيه من الفقه أن مَنْ رأى للمسلمين عورةً قد بدت أن يتناول سدَّ خللها إذا كان مستطيعًا لذلك، وعلم من نفسه منة وجزالة...»(٦).

وفيه جواز تولية عدة أمراء بالترتيب. وفيه: جواز التأمير بغير مؤمر.. وهذا أصل يؤخذ منه أن على المسلمين أن يقدموا رجلًا إذا غاب الإمام يقوم مقامه إلى أن يحضر...(٧).

---

(١) سورة طه: آية (٢٩).

(٢) سورة الفرقان: آية (٣٥).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (١١/١٩٣).

(٤) انظر: «المختصر في سياسة الحروب» للهرثمي (ص١٧).

(٥) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام (٥/١٤٣ح٤٢٦١).

(٦) انظر: «شرح صحيح البخارى» لابن بطال (٥/٢٢٣).

(٧) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» للعيني (١٧/٢٦٩).

وليس هناك أعظم للمتبصر حينما لا إمارةَ لهم يرجعون إليها، فإنه سيتفرق الجيش، وتتشتت راياته، وتتزعزع صفوفه، ويوهن عزمه، وقد يؤدي إلى هلاكه، والقائد عندما ينيب مَنْ يقوم مقامه، فإنَّه بذلك أمن عليهم مَنْ يدير شؤونهم بعده، ووَحَّد صفَّهم، ولمَّ شتاتهم، وجمع كلمتهم، وقوّى عزمهم، وهي من مهمات النقابة[1] في المعركة؛ لأنَّ المعركة تحتاج إلى حسمٍ في الرأي، وسرعةٍ في حلِّ الأزمات الطارئة، وقتها يأتي التكتيك[2] المعركي اللحظي المنطلق من تفكيرٍ سريعٍ وخبرةٍ واسعةٍ اكتسبت من الحروب، ومعالجة الخطوب، فيحل مشكلةً طارئةً قد تسبب خسارة المعركة، والانهزامية التي يترقبها العدو، فإذا وكلت إلى رجلٍ صاحب حنكةٍ ومعرفةٍ في أمور القتال، ومن أهل الصولات والجولات، تكون سببًا بالفوز والظفر.

ولقَدْ نهج هذا المنهج الخلفاء الراشدون ﷺ، ففي عهد الصدِّيق ﷺ لما خرج إلى ذي القصة.. لعشرٍ خلون من جمادى الأولى، واستخلف على المدينة سنان الضمري وابن مسعود -رضي الله عنهما-[3] على أنقاب المدينة.. «وما كان للخليفة أن يخرج باعتبار أنَّه الإمام والملك ويترك رعيته بلا نائب ينوبه ويكون بمنزلته، ولذلك وضع نائبًا ينوبه.

وفي روايةٍ: «فأمر رجلًا تأمنه وتثق به، وارجع إلى المدينة، فإنك تركتها تغلي بالنفاق»[4].

وهنا تجلت الرحمة في توليته رجلًا توفرت فيه صفتا الأمانة والثقة؛ لأن بهما الراحة النفسية، وحفظ الأعراض والأموال والأسرار وغيرها.. ولأنك قد تولي رجلًا أمينًا ولكن ليس ثقةً، وقد يكون ثقةً، ولكن ليس أمينًا؛ لما يَعْتري الأمانة من نوازعَ بشرية أو شيطانية، فلابد من تَوفُّر الصفتين، فبالأمانة راحة حسية، وبالثقة راحة معنوية.

---

(١) «**نقيب**»: هو مَنْ صار نقيبًا مقدمًا عليهم، يمثلهم ويرعى شئونهم. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» لأحمد مختار (٢٢٦٣/٣).

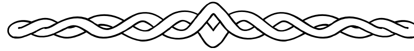
(٢) «**التكتيك**»: وضع الخطط الحربية، وتحريك الجيوش في الميدان بحسب تطورات المعركة. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» لأحمد مختار (٢٩٦/١).

(٣) **هو عبدالله بن مسعود بن غافل الهذلي**، يكنى بأبي عبدالرحمن، أسلم قديمًا، وهاجر الهجرتين، وصاحب نعل الرسول، شهد بدرًا والحديبية، مات سنة ٣٢هـ في المدينة، ودفن بالبقيع. انظر: «الأعلام» للزركلي (٩٩٤/٣).

(٤) انظر: «تاريخ خليفة بن خياط» (ص١٠٢).

وفي عهد الفاروق ﵁ في معركة نهاوند قدر عمر ﵁ أن القتال سيكون ضاريًا، وربما أدَّى إلى استشهاد القائد، فاقتدى برسول الله ﷺ في معركة مؤتة، فعيَّن سبعةً من الرجال خلفًا للنعمان ﵁ في حال لو قُتِلَ، وقال للسائب بن الأقرع: «إنْ قُتِلَ النعمان فولِّ الأمر حذيفة بن اليمان ﵁، وإن قُتِلَ حذيفة فولِّ الأمر جرير بن عبد الله البجلي، وإن قُتِلَ جرير فالأمير المغيرة بن شعبة، وإن قُتِلَ المغيرة، فالأمير الأشعث بن قيس ﵁»(١)، ولولا فِعْلُ عمر ﵁ واقتداؤه بقدوته ﷺ؛ لاختلف الناس في أميرهم، لا يعرفون مَنْ يُؤمِّرون، وتربَّص بهم العدو، فوجدوها فرصةً سانحةً، فأجهزوا عليهم تشريدًا وقتلًا وسبيًا ونهبًا.

لقد تعلَّم المسلمون من الجهاد، أهمية القيادة، وضرورة طاعة القائد فيما يأمر به؛ لأنه يوجه الجماعة وَفق مرئيات لا يدركها جميع المجاهدين، ولأن المواقف الصعبة والمصيرية تحتاج إلى الحسم والتنفيذ، ويضيعها التردد؛ ولذلك كانت طاعة الحاكم قضية واجبة في ميدان الحرب، منعًا للهزيمة والفشل"(٢).



(١) انظر: «الأخبار الطوال» للدينوري (ص١٣٥).

(٢) انظر: «السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني» لأحمد غلوش (ص: ٦٤٦).

٩- مظاهر الرحمة في اختيار الجند وتوزيع المهام القتالية

لابدَّ للقائد من معرفة قدرات جنوده؛ لأن القدرات العقلية، والنفسية، والبدنية، والفروق الفردية موجودة في كلِّ شخص، كما قال ﷻ: ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾[١].

قال القرطبي في «تفسيره»: «والمعنى: أن كلَّ أحدٍ يعمل على ما يشاكل أصله وأخلاقه التي ألفها»[٢].

فلذلك، أصبح من فِرَاسَة القائد وحنكته في الحرب اختيار الرجل المناسب في المكان المناسب، قال الهرثمي: «كان أهل المعرفة بالحرب يحبون أن يعرف الرئيس من استطاع معرفته من أصحابه وجنده رجلًا رجلًا بخاصَّته في الشجاعة والجبن مع سائر أحواله ليضع كلَّ رجلٍ منهم موضعه...»[٣].

ومما ذكروه عن القائد في تفرس جنده، ومعرفتهم مداخيلهم، وقياس قدراتهم قولهم: أعرف الرجل الشجاع، أعرف الرجل الجبان، أعرف الرجل الذي يقاتل عند الغضب، والرجل الذي يقاتل إذا رأى صاحبه أو قائده، وأعرف الرجل المقاتل فارسًا، وأعرف الرجل المقاتل راجلًا، وأعرف الرجل المقاتل راجلًا وفارسًا...[٤]، وهذا منهج عسكري ربَّى عليه رسول ﷺ صحابته الكرام، ففي غزوة الأحزاب يذكر ابن هشام لنا قصة اختيار الرسول ﷺ لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه بعد ما دار بينه وبين رجلٍ من أهل الكوفة حوار.. فقال حذيفة رضي الله عنه: «يابن أخي، والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق، وصلى رسول الله ﷺ هويًّا[٥] من الليل، ثم التفت إلينا، فقال: «**من رجل يقوم فينظر**

---

(١) سورة الإسراء: آية (٨٤).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٣٢٢/١٠).

(٣) انظر: «مختصر سياسة الحروب» للهرثمي(ص٥٣).

(٤) المصدر نفسه (ص٥٤).

(٥) انظر: «جمهرة اللغة» (٩٩٨/٢)، محمد بن الحسن الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط الأولى، ١٩٨٧م.: القطعة من الليل، مر هوي من الليل، وتهواء من الليل.

لنا ما فعل القوم ثم يرجع -يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة- **أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة؟**»، فما قام رجلٌ من القوم من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد، فلما لم يقم أحدٌ، دعاني رسول الله ﷺ، فلم يكن لي بدٌّ من القيام حين دعاني، فقال: «**يا حُذَيفة، اذهب فادخل في القوم، فانظر ماذا يصنعون، ولا تُحْدثن شيئًا حتى تأتينا**». قال: فذهبتُ فدخلتُ في القوم، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تَفْعل، لا تقر لهم قِدْرًا، ولا نارًا، ولا بناءً، فقام أبو سفيان، فقال: يا معشر قريش: لينظر امرؤٌ مَنْ جليسه؟ قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي، فقلتُ: مَنْ أنت؟ قال: فلان بن فلان»(١).

هنا في هذه القصة حيث الرسول ﷺ وقع اختياره على حذيفة بن اليمان؛ لعلمِهِ بحفظ سرّ الرسول، ولفطنته التي تمثَّلت في مبادرته سؤال مَنْ بجانبه لأجل ألا ينفضح أمره، وحتى أنه هَمَّ بأمرٍ خارج الخطة المرسومة له، فتذكر وصية الرسول ﷺ له، وما تحتاجه الخطة العسكرية المحمدية؛ لئلا تقع معركةٌ قد يحصل فيها خسائر الأرواح، وهذا من رحمة القائد بالجند.

وعندما تتأمل حياة أصحابه من بعده -وخاصَّة الخلفاء الراشدين المهديين ﵃ لتجد أن هذا الاختيار كان من نصيبهم، وله حظ وافر في فتوحاتهم، وفي حروب الرِّدَّة عندما أظهر الصدِّيق ﵁ أنه خارجٌ جهة خيبر ليلاقي خالدًا ببلاد طيئ دليلٌ على تخطيطه الحربي البارع، وذلك لإرهاب تلك القبيلة والقبائل المجاورة، وتظهر براعته أيضًا في اختيار الرجال أنِ اختار لهذه المهمة التي لها ما بعدها خالد بن الوليد ﵁، واختيار عمرو بن العاص ﵁ للسير إلى أرض فلسطين(٢)، وهذا دليلٌ على حنكته وحكمته، ولأن أبا بكرٍ ﵁ يعرف قائده أبا عبيدة ﵁ بلين عريكته، وعدم صلحه في هذا الموضع لقتال الروم لشدتهم وقوة بأسهم، وعلمهم بمظانِّ الحروب، ولذلك اعتمد تولية خالد ﵁ على جيوش المسلمين هناك(٣)؛ لأن خالدًا ﵁

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/٢٣١، ٢٣٢).

(٢) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١/١٤).

(٣) المصدر نفسه (١/١٤).

علم بالحرب ومكايدها، ومن خبرته قبل المعركة أنه لما رأى طبيعة تلك الأرض، أمرهم ألَّا يدخلوها إلا بالماء الكثير، وشاور أصحابه فتمَّ اختيار الجندي رافع بن عميرة؛ لأنه دليلها، ويعرف سهلها، وصعبها، وصلبها، ولينها، وشجرها، وحجرها، ومواضع الماء فيها(١)، وفعل قادته من بعده، فكان خالد بن الوليد ﷺ يختار جرير البجلي على بانقيا، ولذلك لما خرج ابن صلوبا اعتذر إليه من القتال وعرض عليه الصلح، وهذا من رحمة أهل الإسلام بأعدائهم ولم يجبروهم عليه أو يقتلهم، بل عرض عليهم الصلح وبقي نفوسهم تحت الذمة والعهد(٢)، وكذلك اختار ضرار بن الأزور وضرار بن الخطاب(٣)، والمثنى بن حارثة وغيرهم ليقفوا على الثغور في حمايتها والسعي لها فيما يصلح فيجبى أو ما يفسد فينحى(٤).

قال القاضي أبو يوسف(٥): «وما رأى أنه أصلح لأهل الخراج، وأوفر على بيت المال، عمل عليه... وليكن فقيهًا عالمًا مشاورًا لأهل الرأي عفيفًا، لا يطلع الناس منه على عورةٍ، ولا يخاف في الله لومة لائمٍ، ما حفظ من حقٍّ، وأدَّى من أمانةٍ احتسب به الجنة، وما عمل به من غير ذلك خاف عقوبة الله فيما بعد الموت، تجوز شهادته إنْ شهد، ولا يخاف منه جور في حكمٍ إن حكمَ؛ فإنك إنما توليه جباية الأموال وأخذها من حلها، وتجنب ما حرم منها، يرفع

(١) المصدر نفسه (٢٢/١).

(٢) انظر: «فتوح البلدان» للبلاذُري (ص٢٤٢).

(٣) **هو ضرار بن الخطاب بن مرداس** القرشي الفهري: فارس شاعر، صحابي. من القادة. من سكان الشراة، فوق الطائف. قاتل المسلمين يوم أحد والخندق أشد قتال، وأسلم يوم فتح مكة. ولم يكن في قريش أشعر منه. له أخبار في فتح الشام، واستشهد في وقعة اجنادين. انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٧/ ٢٨٥)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للقرطبي (٢/ ٧٤٨)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ٢١٥).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣٦٩/٣).

(٥) **هو يعقوب بن إبراهيم البغدادي، أبو يوسف**، صاحب الإمام أبي حنيفة، وتلميذه، وأول مَن نشر مذهبه، كان فقيهًا علامةً، من حفاظ الحديث، وُلد بالكوفة، وتفقه بالحديث والرواية، ثم لزم أبا حنيفة، فغلب عليه الرأي، وولي القضاء ببغداد أيام المهدي والهادي والرشيد، له كتاب: «الخراج» وغيره، وهو على القضاء حتى مات في خلافة الرشيد سنة١٨٢هـ. انظر: «الأعلام» للزركلي (١٩٣/٨).

من ذلك ما يشاء، ويحتجب منه ما يشاء، فإذا لم يكن عدلًا ثقةً أمينًا، فلا يؤتمن على الأموال، إني قد أراهم لا يحتاطون فيمن يولون الخراج»(١).

وكان عمر بن الخطاب ﷺ حافلٌ عهده العسكري بهذا الاختيار، فلقد كان ذا معرفةٍ تامَّةٍ بجنده، وفراسة حاذقة بهم، وعارفًا بأحوالهم، فيختار مَنْ يصلح للحرب، ويعزل آخرين؛ لعدم معرفتهم، وقلة خبرتهم، فعندما أمَّر أبا عبيد على العراق بعث معه سليط بن عمرو الأنصارى، وقال له: لولا عجلة فيك لوليتك، ولكن الحرب زبون، لا يصلح لها إلا الرجل المكيث، فأقبل أبو عبيدٍ لا يمرُّ بقومٍ من العرب إلا رغَّبهم في الجهاد، والغنيمة، فصحبه خلقٌ...»(٢).

وكذلك كانوا يختارون مَنْ يصلح للبريد، ويأمر القائد باختيار الثقات العدول من أهل كل بلدٍ ومِصرٍ، فيوليهم البريد والأخبار.. ومتى لم يكن أصحاب البرد والأخبار في النواحي ثقات عدولًا؛ فلا ينبغي أن يُقْبل لهم خبرٌ في قاضٍ ولا والٍ؛ إنما يحتاط بصاحب البريد على القاضي والوالي وغيرهما، فإذا لم يكن عدلًا، فلا يحلّ، ولا يَسَع استعمال خبره ولا قبوله، وتقدم إليهم ألا يحملوا على دواب البريد إلا مَنْ يأمر بحمله في أمور المسلمين فإنها للمسلمين(٣).

قال بعض الحكماء: «اختر رسولك في الحرب والمسالمة، فإن الرسول ﷺ يلين القلوب ويخشنها، ويبعد الأمور ويقربها، ويصلح الود ويفسده»(٤). وعندما بَعَث عثمان بن عفان ﷺ كتابًا إلى الوليد بن عقبة –عامله على الكوفة– يأمره به أن يرسل نجدةً من أهل الكوفة إلى أهل الشام بقيادة رجلٍ ممن تُرْضى نجدته وبأسه وشجاعته وإسلامه، وقع اختيار الوليد على سلمان بن ربيعة من بين عدد هائل من قادة الفتوح والمعارك؛ وذلك لأن سلمان كان حقًّا رائعًا ومثالًا يُحتذى في الإقدام وسرعة الإنجاز والتخطيط المحنك وخبرة في فنون الحرب، ولذلك ذكر

---

(١) انظر: «الخراج» لأبي يوسف (ص١٢٠).

(٢) انظر: «فتوح البلدان» للبلاذُري (ص٢٤٧).

(٣) انظر: «الخراج» لأبي يوسف (ص٢٠٢، ٢٠٣).

(٤) انظر: «بدائع السلك في طبائع الملك» لابن الأزرق (٢/ ٨٠).

الطبري أنه أبصر بالمضارب من بمفاصل الجزور(١)، مع ورعه الذي كان يحمله في قلبه وتقواه لله وخشية منه وزهده في الدنيا، وكذلك إذا نظرت لأهل الكوفة تجد أن فيهم قادة كبار وخبراء في الحرب وأيام الفتوح، ولكن سلمان كان أوسع في هذه الأمور وله قبول عند الناس ومحبة، ولذلك وقع الاختيار عليه.

وفي عهد عليٍّ ابن أبي طالب ﷺ في قضية التحكيم كتب هذا «ما قاضى عليه عليّ بن أبي طالب ﷺ ومعاوية بن أبي سفيان ﷺ؛ قاضى عليّ ﷺ على أهل العراق ومن معهم من شيعتهم والمسلمين، وقاضى معاوية ﷺ على أهل الشام ومَن كان معه من المؤمنين والمسلمين، إنا ننزل عند حكم الله وكتابه، ونحيي ما أحيا الله ﷻ، ونميت ما أمات الله، فما وجد الحكمان في كتاب الله – وهما أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص –رضي الله عنهما- عملًا به وما لم يجدا في كتاب الله، فالسنة العادلة الجامعة غير المتفرقة»(٢). وهنا تم اختيار أبي موسى ﷺ حكمًا عن أهل العراق.

وحينما تتأمل في كيفية اختيار الخلفاء للقادة أو الأجناد أو الولاة وغيرهم، لتجد شدَّة حرصهم على الأرواح المسلمة في مواطن الجهاد، وحرصهم على العدل بين الرعية في مواطن اختيار الأقاليم، وَحرصهم على جباية الزكاة وتَوْزيعها على المستحقين، وَهَذا من أعظم الرحمة بمَنْ هم تحتهم.



(١) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٤/ ٣٠٥).

(٢) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٠/ ٥٥٦).

المبحث الرابع
إعداد المجاهدين وتأهيلهم

لا شكَّ أن إعداد المجاهدين وتأهيليهم أخذ حظًّا وافرًا في عهد الراشدين، وبرز هذا المظهر في عهد الصِّديق ﷺ من خلال وصاياه ورسائله في حقوق الجند؛ كتفقُّد أحوالهم، والرفق بهم واستعراضهم كاستعراضهم، وأن يقيمَ عليهم العُرَفاء والنُّقباء، والتعرف على أخبار الأعداء عن طريق بَعْث العيون عليهم الثقات، واختيار مواضع نزولهم لمحاربة العدو، وإعداد ما يحتاج إليه الجند من زادٍ وعلوفةٍ، وتحريضهم على الجهاد، وتذكيرهم بثواب الله وفضل الشهادة، ومشاورة ذوي الرأي منهم، وأن يلزمهم بما أوجبه الله من حقوقٍ، وأن ينهاهم عن الاشتغال عن الجهاد بتجارةٍ وزراعةٍ ونحوهما(١)، وينقسم هذا المبحث إلى قسمين:

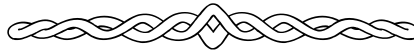


(١) انظر: «الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية» لسليمان بن صالح (ص؟؟؟).

أ- مظاهر الرحمة في إعداد الجند بالوصايا العامة للجيش

وهذه الوصايا تكون أمام الملإ، وبصوت جهوري، ويكون الموصي قد عَلَا مرتفعًا، كما أوصى أبو بكر ﵁ الجيش قبل أن ينطلقوا للقتال بقوله: «لا تغلوا، ولا تغدروا...»[(١)]، مما سنُعرِّج عليه في مظاهر الرحمة مع الأعداء، وكيف طبَّق الخلفاء الراشدون ﵃ هذه الوصايا العظيمة اقتداءً برسولهم ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيشٍ، أو سريةً، أوصاه في خاصَّته بتقوى الله، ومَنْ معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا مَنْ كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تُمثِّلوا، ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال...»[(٢)].

فهذه الوصيا الجليلة تكون عامَّةً للجيش أجمع؛ لأن الجيش سيتفرق عند الْتحَام الصفوف، فبَعْضهم يواجه الولدان، وآخرين يواجهون النساء والأطفال، وهناك مَنْ يواجه الشيوخ، وقَدْ يكون هناك حظوظٌ للنفس، فنَهَى الشرع الحكيم على التمثيل أو التجديع أو الفساد بعَدَم التخريب للزروع والثمار.. وغيرها مما سَتَقع عين الجندي عليه، فحثَّه الشارع الحكيم على استذكار مثل هذه الوصايا قبل القتال، ووقت فوران الغضب؛ ليتهيَّأ الجندي للقاء، ولئلا يقع في محذورٍ.



(١) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣/٢٢٦).

(٢) انظر: «صحيح مسلم»، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء (٣/١٣٥٧ح ١٧٣١).

مظاهر الرحمة في الوصايا الحربية للقادة والجند

وهذه الوصايا حيث يَسْتدعي القائد الأعلى للجيش مَن اختاره أميرًا عليهم، ويهمس في أُذُنه هذه الوصايا... وتتضمن اثنتي عشرة وصيةً:

١- مظاهر الرحمة في تصفح القائد الجيش قبل الانطلاق.

٢- مظاهر الرحمة في تفقد أحوال المقاتلة.

٣- مظاهر الرحمة في تفقد القائد العتاد الحربي.

٤- مظاهر الرحمة في الرفق بمسيرة الجيش.

٥- مظاهر الرحمة في حراسة الجند.

٦- مظاهر الرحمة في اتخاذ شعارات للجند، ورايات ليُعْرفوا بها.

٧- مظاهر الرحمة في أخذهم للزاد والعلوفة.

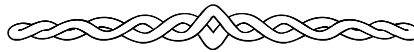
٨- مظاهر الرحمة في مُرَاعاة القائد لأصحاب الديوان والمتطوعة من المقاتلة.

٩- مظاهر الرحمة في الإعداد والتعبئة العسكرية للجيش.

١٠- مظاهر الرحمة في وَضْع العيون الثقات لسلامة الجيش.

١١- مظاهر الرحمة في تحريضهم وتعبئتهم الإيمانية.

١٢- مظاهر الرحمة في استشارة أهل الرأي منهم.



١- مظاهر الرحمة في تصفح[١] القائد الجيش قبل الانطلاق

يَلْزم على القائد أن يتأمَّل التأمل الشديد في صفوف الجيش؛ ليُخرجِ منهم مَنْ كان فيه تخذيلٌ للمجاهدين، وإرجافٌ للمسلمين، أو عينًا عليهم للمشركين، وانتهجَ هَذَا الخلفاء الراشدون ﭫ، فمن ضمن وصايا أبي بكر الصديق ﭬ لقُوَّاده حين بعث بهم في حروب الردة: بسم الله الرحمن الرحيم هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الإسلام، وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله سره وعلانيته، وأمره بالجد في أمر الله، ومجاهدة من تولى عنه، ورجع عن الإسلام إلى أماني الشيطان بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بداعية الإسلام، فإن أجابوه أمسك عنهم، وإن لم يجيبوه شنَّ غارته عليهم، حتى يقروا له، ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم، فيأخذ ما عليهم، ويعطيهم الذي لهم، لا ينظرهم، ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم، فمن أجاب إلى أمر الله ﻷ وأقرَّ له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف، وإنما يقاتل مَن كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله، فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل، وكان الله حسيبه بعد فيما استسر به، ومن لم يجب داعية الله قُتِل وقوتل حيث كان، وحيث بلغ مراغمة، لا يقبل من أحد شيئًا أعطاه إلا الإسلام، فمن أجابه وأقر قُبِل منه وعلمه، ومن أبى قاتله، فإن أظهره الله عليه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران، ثم قسم ما أفاء الله عليه، إلا الخمس فإنه يبلغناه، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد، وألا يدخل فيهم حشوًا حتى يعرفهم ويعلم ما هم، لا يكونوا عيونًا، ولئلا يؤتى المسلمون من قِبَلهم، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدهم، ولا يعجل بعضهم عن بعض، ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول»[٢]. وهنا بيَّن الصديق ﭬ أن على القائد ألَّا يُدخِل فيهم حشوًا لا يعرفهم حتى يعلم من هم؟ وما هي صفاتهم؟ وهذا لا يحصل إلا حينما يتم تصفح الجيش وإخراج المخذلين والمثبطين ومن يقف في طريق الجهاد في سبيل الله.

---

(١) «**التصفح**»: هو النظر فيهم، وتأملهم ليتعرف أمورهم فيقال: تصفح وجوه الناس. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» لأحمد مختار (٢/ ١٢٩٩).

(٢) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣/٢٥٢،٢٥٣).

كَمَا أمرَ قَادته بعدم الاستعانة بالمرتدين في جهاد العدو؛ وذلك احتراسًا وحرصًا على سلامة جند المسلمين[١]، وأَوْصَى قادة فتوح الشام بالحذر والحيطة والتيقُّظ من رسل العدو حتى لا يتعرَّفوا على ما بجَيْشهم من ثغراتٍ ومكامن ضعف، وأمرهم بألَّا يخالطوا العسكر، ولا يحدثوهم، فمن ذلك قوله ليزيد بن أبي سفيان: «وإذا وَعَظتهم فأوجز؛ فإن كثيرَ الكلام يُنْسي بعضه بعضًا، وأصلح نفسك يصلح لك الناس، وصلِّ الصلوات لأوقاتها بإتمام رُكُوعها وسجودها، والتَّخشُّع فيها...»[٢].

وَفِي عَهْد الفاروق ﷺ أمر قائده سعد بن أبي وقاص ﷺ بقوله: «وإيَّاكم والضحك، والوفاءَ الوفاءَ! فإن الخطأ بالوفاء بقية، وإن الخطأ بالغدر الهلكة، وفيها وهنك وقوة عدوكم، وذهاب ريحكم[٣]، وإقبال ريحهم، واعلموا أني أحذركم أن تكونوا شينًا على المسلمين، وسببًا لتوهينهم»[٤].





(١) انظر: «الإدارة العسكرية» لسليمان بن صالح (١٤٢/١).

(٢) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٢٤٩/٢).

(٣) من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾، سورة الأنفال آية (٤٦)، ومعناها: وتذهب قوتكم وبأسكم، فتضعفوا، ويدخلكم الوهن والخلل. انظر: «تفسير الطبري» للطبري (٥٧٦/١٣).

(٤) المصدر نفسه (٤٩٢/٣، ٤٩٣).

٢- مظاهر الرحمة في تفقد أحوال المقاتلة

لما أراد أبو بكر الصديق ﷺ جمع الجيش لأجل قتال أهل الرِّدة، قام على مكانٍ مرتفعٍ على دابَّته حتى أشرف على الجيش، فنظر إليهم قد ملئوا الأرض، فتهلل وجهه وقال: «اللهم أنزل عليهم الصبر، وأيدهم، ولا تُسْلمهم إلى عدوهم»[(١)]، وهذا من حرص القائد على الجيش، وتفقده أحوالهم.

وعندما طرق المرتدون المدينة المنورة، أخذ أهلها بحضور المسجد، وجعل أبو بكر ﷺ بعدما أخرج الوفد على أنقاب المدينة نفرًا، وقال لهم: «إن الأرض كافرة، وقد رأى وفدهم منكم قلة، وإنكم لا تدرون أليلًا تؤتون أم نهارًا! وأدناهم منكم على بريد»[(٢)]، وفعل هذا من الصِّديق ﷺ ومَنْ بعده من الخلفاء ﷺ اقتداءً برسول الله ﷺ عندما يريد القتال، فإنه يعرض المقاتلة من الجند ليجيزَ منهم مَنْ رآه أهلًا له، ويستبعد مَنْ رآه ليس بأهلٍ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما: «أنَّ رسول الله ﷺ عرضه يوم أُحُد، وهو ابن أربع عشرة سنة، فلم يُجِزْني، ثم عرضني يوم الخندق، وأنا ابن خمس عشرة سنة، فأجازني»[(٣)].

قال ابن بطال: «وإنما فيه ذكر الإجازة فى القتال، وهذا المعنى يتعلق بالقوة والجلد، ومن أصل الجميع أن الحكم متى نقل سببه، تعلق به، فإنما أجازه للقتال خاصَّةً بهذا السن، ومن أجلها عرض»[(٤)].

---

(١) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٧/١).

(٢) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٢٤٥/٣).

(٣) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب الشهادات، باب بلوغ الصبيان وشهاداتهم (١٧٧/٣ ح ٢٦٦٤).

(٤) انظر: «شرح صحيح البخارى» لابن بطال (٥١/٨). قلت: هناك خلاف في سبب إجازة الرسول لابن عمر، هل بسبب بلوغه أو قوته؟ وكلا القولين ذكرهما في كتابه، ورجح الثاني، واستدل بحديث سمرة بن جندب: عُرضت على النبى ﷺ في بعض غزواته فلم يجزني، وعرض عليه غلام غيري فأجازه، فقلت: يا رسول الله، قبلته ورددتني، فلو صارعني لصرعته، فقال: «**صارعه**»، فصرعته، ففرض له النبي ﷺ. انظر: «المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٦٩/٢)، قال الحاكم: "هذا حديث =

وفي الحديث أن الإمام يستعرض مَنْ يخرج معه للقتال قبل أن تقع الحرب، فمَنْ وجده أهلًا، استصحبه وإلا ردَّه، وقد وقع ذلك للنبي ﷺ في بدرٍ وأُحُدٍ وغيرهما[١]، وَكَان عمر رضي الله عنه يكتب للجند يتعلموا الرماية بالسهام وإصابة الأهداف، فقد كان يكتب: «ائتزروا وارتدوا، وانتعلوا واحتفوا، وارموا الأغراض[٢]، والْقَوا الرَّكب، وانزوا[٣] على الخيل نزوًا، وعليكم بالمعدِّيَّة -أو قال: بالعربية- ودعوا التنعُّم وزيَّ العجم[٤]»[٥].

وكان عليٌّ رضي الله عنه يعرض الجند، ويحرضهم على القتال[٦].



= صحيح الإسناد، ولم يخرجاه". قلت: والصواب هو البلوغ لقوة أدلته، ولما ذكره ابن حجر في «الفتح» عن ابن جريج بزيادة لفظ: «ولم يرني بلغت»، وهي زيادة صحيحة لا مطعنَ فيها؛ لجلالة ابن جريج، وتقدمه على غيره في حديث نافع، وقد صرح فيها بالتحديث؛ فانتفى ما يخشى من تدليسه، وقد نصَّ فيها لفظ ابن عمر بقوله: «ولم يرني بلغت»، وابن عمر أعلم بما روى من غيره، ولا سيما في قصةٍ تتعلق به. انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٥/٢٧٩).

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٥/٢٧٩).

(٢) «**الغرض**»: الهدف ينصب فيرمى إليه. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» لأحمد مختار (٢/١٦٠٩).

(٣) «**النزو**»: الوثبان، ومنه نزو التيس. انظر: «لسان العرب» لابن منظور (١٥/٣١٩).

(٤) «**العجم**»: هم الذين ليسوا من العرب. انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٤/٢٤٠).

(٥) انظر: «العقد الفريد» لابن عبد ربه (١/١٦٠).

(٦) انظر: «الإدارة العسكرية» لسليمان بن صالح (١/١٠٤).

٣- مظاهر الرحمة في تفقد القائد خيولهم ودوابهم وآلات قتالهم

ينبغي على القائد أن يتفقد آلات القتال، مثل أن يتفقد خيلهم التي يجاهدون عليها، وظهورهم التي يمتطونها، فلا يُدْخل في خيل الجهاد ضخمًا كبيرًا، ولا ضرعًا[١] صغيرًا، ولا حطمًا[٢] كسيرًا، ولا أعجف[٣] هزيلًا، ويتفقد ظهور الامتطاء والركوب، فيخرج منها ما لا يقدر على السير، ويمنع من حمل زيادة على طاقتها[٤]، قال الله جَلَّ في عُلَاه: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾[٥].

قال الطاهر ابن عاشور[٦] رحمه الله: «فقوة الجيش شدة وَقْعه على العدوِّ، وقوته أيضًا سلاحه وعتاده، وهو المراد هنا.. فاتخاذ السيوف والرماح والأقواس والنبال من القوة في جيوش العصور الماضية، واتخاذ الدبابات والمدافع والطيارات والصواريخ من القوة في جيوش عصرنا»[٧].

«وهكذا اهتمَّ الصِّدِّيق، فكان يشتري الإبل والخيل والسلاح، فيحمل في سبيل الله، واشترى عامًا قطائفَ أتى بها من البادية، ففرقها في أرامل أهل المدينة في الشتاء»[٨].

---

(١) «**الضرع**»: الضعيف، وقيل: الدقيق. انظر: «العين» للفراهيدي (١/٢٦٩).

(٢) «**الحطم**»: كسرك الشيء اليابس كالعظام ونحوها. المصدر نفسه (٣/١٧٥).

(٣) ذهاب السمن. المصدر نفسه (١/٢٣٤).

(٤) انظر: «الأحكام السلطانية» للماوردي (٦٩، ٧٠).

(٥) سورة الأنفال: آية (٦٠).

(٦) **هو محمد الطاهر ابن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس،** مولده ووفاته ودراسته بها، عين (عام ١٩٣٢) شيخًا للإسلام مالكيًّا، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، له مصنفات مطبوعة، أشهرها «مقاصد الشريعة الإسلامية»، و«أصول النظام الاجتماعي في الإسلام»، و«التحرير والتنوير» في تفسير القرآن. انظر: «الأعلام» للزركلي (٦/١٧٤)، «معجم المفسرين» لعادل نويهض (٢/٥٤١).

(٧) انظر: «التحرير والتنوير» (١٠/٥٥). محمد الطاهر ابن عاشور. الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس. ط: ١٩٨٤هـ.

(٨) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/١٦٠).

كما ينبغي للقائد اختيار الخيول المناسبة للجهاد، وأن يستظهر بكشف عددهم، وانتخاب خيلهم، واستجادة أسلحتهم[١].

كما كان على المقاتل ابتداءً أن يعدَّ نفسه للجهاد، فيشتري جمله أو حصانه، ويشتري سلاحه، ويحمل معه إذا خرج للقتال زاده ومتاعه[٢]، «وكما كان لرسول الله أسلحة للقتال، وهي: ثلاثة أرماح، وثلاث أقواس، وستة أسياف، منها ذو الفقار[٣]، وإذا خرج للجهاد يعتد لذلك بجمع أصحابه، واتخاذ الخيل والسلاح، وما يحتاج إليه من آلات الجهاد والسفر»[٤]، كذلك في عصرنا يتفقد الأسلحة بجميع أنواعها من طائرات أو دبابات أو صواريخ أو قنابل وغيرها مما يحتاجه المقاتلون، فيستبعد ما تلف منها، ويُبْقي ما صلح.



(١) انظر: «مآثر الإنافة في معالم الخلافة» للقلقشندي (٢١/٣).

(٢) انظر: «الإدارة في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم» لأحمد عجاج (ص١٨٥).

(٣) انظر: «الفصول في السيرة» (ص٢٦٠). إسماعيل بن عمر بن كثير، ق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو. الناشر: مؤسسة علوم القرآن، ط: الثالثة، ١٤٠٣هـ.

(٤) انظر: «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» (٤٠٨/١)، أحمد بن محمد القسطلاني القتيبي المصري، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر، ط: بدون.

٤- مظاهر الرحمة في الرفق بمسيرة الجيش

لما أراد أبو بكرٍ الصديق ﷺ إرسال البعوث، عَقَد من ضمن الألوية لواء ليزيد بن معاوية ﷺ قائلًا له: «إذا سرتَ فلا تضيق على نفسك، ولا على أصحابك في مسيرك، ولا تغضب على قومك، ولا على أصحابك، وَشَاورهم في الأمر، واستعمل العدل، وَبَاعد عنك الظلم والجور، فإنه لا أفلح قومٌ ظلموا، ولا نُصِروا على عدوهم...»(١)، وهذه الوصية انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾(٢).

قال ابن كثير(٣) في «تفسيره»: «لا يُكلِّف أحدًا فوق طاقته، وهذا من لطفه تعالى بخلقه، ورأفته بهم، وإحسانه إليهم»(٤).

«وهنا للقائد عدم تكليفه الجند ما لا يطيقون، فيرفق بهم بأخذهم قسطًا من الراحة، ويرفق بسيرهم فيسلك بهم ما سهل على دوابِّهم أن تطأه، ويرفق بأمرهم ونهيهم وغيره مما يحتاجه الجيش، والرفق بهم في السير الذي يقدر عليه أضعفهم، وتحفظ به قوة أقواهم، ولا يجد السير فيهلك الضعيف، ويستفرغ جلد القوي»(٥).

وكان قادة الصديق ﷺ لهم نصيب من ذلك فعندما جدَّ الجند في السير، ذكَّر أحدهم يزيد بوصية

---

(١) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٨/١).

(٢) سورة البقرة: آية (٢٨٦).

(٣) **هو عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الشافعي**، له عناية بالرجال، والمتون، والتفقه، خرج وألف وناظر وصنف، حافظ مؤرخ فقيه، وُلِدَ في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخٍ له إلى دمشق سنة ٧٠٦هـ، ورحل في طلب العلم، وتوفي بدمشق، تناقل الناس تصانيفه في حياته، من كتبه: «البداية والنهاية» لابن كثير، و«شرح صحيح البخاري»، لم يكمله، و«طبقات الفقهاء الشافعيين»، و«تفسير القرآن الكريم»، توفي سنة ٧٧٧هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٧/١)، «الأعلام» للزركلي (٣٢٠/١)، «معجم المفسرين» لعادل نويهض (٩٢/١).

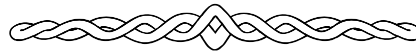
(٤) انظر: «تفسير ابن كثير» لابن كثير (٧٣٧/١).

(٥) انظر: «الأحكام السلطانية» للماوردي (ص٦٩).

أبي بكرٍ ﷺ له بالرفق بهم في السير، وأن يلتزم بها، كما أوصى الصديق ﷺ عمرو بن العاص ﷺ عندما وجَّهه إلى فلسطين بقوله له: وكُن والدًا لمنْ معك، وارفق بهم في السير، فإن فيهم أهل ضعف[١].

ويَسْتعين القادة بأدلَّاء ليقدموا لهم المعلومات عن الطرق الموصلة إلى المواضع التي يريدون مقاتلة أصحابها بها، أو للسير في مقدِّمة قافلة الجيش للوُصُول إلى المكان المطلوب، وللدليل أهمية كبيرة في القتال، ولذلك استعان بهم المحاربون.. وكان لا بدَّ لكلِّ قائدٍ من الاستعانة بدليل إذا ما أراد التفويز، فقد يهلك الجيش من العطش والجوع، ويخطئ هدفه، أو يصير فريسةً في مخالب مَنْ يقصده إن لم يستعن بدليلٍ خرِّيتٍ مجربٍ، له علم بالبادية علمه ببيته.

وكان للقبائل أدلَّاء عركوا المفاوز وخَبَروها، وعرفوا معالمها ومواضع الماء فيها، وكان لهؤلاء فضلٌ على قبائلهم، لا يقل عن فضل الفرسان عليها؛ لأنهم من أسباب النصر[٢]، فمثلًا خالد بن الوليد ﷺ حينما كلَّفه الصديق ﷺ بالتوجه من العراق إلى الشام دعا خالد ﷺ الأدلَّاء، وتشاور معهم حول سيرهم في طريق المفازة إلى الشام؛ لأنه أسرع الطرق وأسرعها لنجدة إخوانه، ثم رافقه رافع بن عميرة الطائي ﷺ[٣] دليلًا، وكان أيضًا خالد بن الوليد ﷺ يقول لأبي عبيدة ﷺ: أيها الأمير أرسل معهم أدلاء يعرفوهم الطريق، ويكونوا لهم عيونًا على أعدائهم[٤]، ويجلس بالجند ليرتاحوا ويأكلوا من زادهم وطعامهم؛ ليستقووا به على السير كما فَعَل خالد بن الوليد ﷺ عندما التقى بشرحبيل بن حسنة في قتال الروم الحرب، ولا يعلم بمواقعها، ثم أمر الناس بالراحة، فَنَزلوا وارتاحوا من أتعابهم[٥].



---

(١) المصدر نفسه (ص٣٨٣).

(٢) انظر: «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» (١١٠/١٠)، جواد علي. الناشر: دار الساقي، ط: الرابعة ١٤٢٢هـ.

(٣) **هو رافع بن عمرو، ويقال: ابن عميرة بن جابر**، من طيِّئ، وكان يقال له: رافع الخير، غزا مع عمرو بن العاص غزوة ذات السلاسل حين بعثه إليها رسول الله ﷺ، فغزا مع عمرو هذه الغزاة، وفيها صحب أبا بكر الصديق، وروى عنه، ورجع إلى بلاد قومه، ولم يرَ النبي ﷺ، وهو كان دليل خالد بن الوليد حين توجه من العراق إلى الشأم. انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (١٣٢/٦)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٣٦٧/٢).

(٤) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٤/٢).

(٥) المصدر نفسه (٢٦/١).

٥- مظاهر الرحمة في حراسة الجند

وظهر ذلك عندما وَضَع الصديق رضي الله عنه الحرس على أنقاب المدينة خشية أن تطرقها بعض القبائل المرتدة، فقال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه لخالد بن الوليد رضي الله عنه حين وجَّهه لقتال أهل الرِّدَّة: «سِرْ على بركة الله، واستظهر بالزاد، وسِرْ بالأدلَّاء، واحترس من البيات، فإنَّ في العرب غرَّة(١)، وأقلل من الكلام، فإنما لك ما وعى عنك، واقْبَلْ من الناس علانيتهم، وَكِلْهُمْ إلى الله في سريرتهم؛ وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه»(٢).

قال الماوردي(٣): «وحراستهم من غرَّةٍ يظفر بها العدو منهم، وذلك أن يتتبع المكامن، ويحوط سوادهم بحرسٍ يأمنون به على نفوسهم ورجالهم؛ ليسكنوا في وقت الدَّعَة، ويأمنوا ما وراءهم في وقت المحاربة، ويعرف أخبار عدوه حتى يقف عليها، ويتصفح أحواله حتى يخبرها، فيسلم من مَكْره، ويلتمس الغرة في الهجوم عليه»(٤).

كمَا أوصى أمراء فتوح الشام وقادها بالاحتراس ونشر الحرس على العسكر لحفظهم من الأعداء، وأن يقوموا بالتفتيش المفاجئ على الحرس حتى يتأكَّدوا من قيامهم بمهامهم المعدَّين لها، فمن ذلك ما قاله ليزيد بن أبي سفيان: «واسمر بالليل في أصحابك، تأتِكَ الأخبار

---

(١) يقال: أخذه على حين غرة: على حين غفلة. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» لأحمد مختار (٢/ ١٦٠٦).

(٢) انظر: «نهاية الأرب في فنون الأدب» (١٦٨/٦)، أحمد بن عبد الوهاب النويري، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ط: الأولى، ١٤٢٣هـ.

(٣) **هو علي بن محمد حبيب، أبو الحسن الماوردي**: وُلِدَ في البصرة، وكان يميل إلى مذهب الاعتزال، ولكنه كان يتأول له حتى وجده في بعض الأوقات يختار أقوالهم، وكان لا يتظاهر بالانتساب للمعتزلة، ولكنه لا يوافقهم في خلق القرآن، ويوافقهم في القدر، ونسبته بسبب أنه كان يبيع ماء الورد، من كتبه: «أدب الدنيا والدين»، و«الأحكام السلطانية» وغيرها، مات في بغداد سنة ٤٥٠هـ. انظر: «الوفيات والأحداث» (ص١٠٥)، عضو ملتقى أهل الحديث / الباحث - غفر الله له -، قال المؤلف: هو ملف مختصر للأحداث والوفيات عبر التاريخ....، آخر تحديث بتاريخ: ٢٠ ربيع الأول ١٤٣١هـ. «الأعلام» للزركلي (٣٢٧/٤).

(٤) انظر: «الأحكام السلطانية» للماوردي (ص٧٩).

وتنكشف عندك الأستارُ، وأَكْثِرْ حرسك، وبددهم في عسكرك، وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك، فمَنْ وجدته غفل عن محرسه، فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط، وأعقب بينهم بالليل، واجعل النوبة(١) الأولى أطول من الأخيرة؛ فإنها أيسرهما لقربها من النهار، ولا تخف من عقوبة المستحق، ولا تلجن(٢) فيها، ولا تسرع إليها، ولا تخذلها مدفعًا، ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده، ولا تجسس عليهم فتفضحهم، ولا تكشف الناس عن أسرارهم، واكتفِ بعلانيتهم»(٣).

ومن فوائد هذه الوصية: إكرام رسل العدو إذا قدموا مع الاحتراس منهم، وعدم تمكينهم من معرفة واقع الجيش الإسلامي، فإكرامهم نوعٌ من الدعوة إلى الإسلام فيما إذا عرف العالم ما يتحلى به المسلمون من مكارم الأخلاق، ولكن لا يصل هذا الإكرام إلى حدٍّ إطلاعهم على بطانة أمور المسلمين، بل ينبغي إطلاعهم على قوَّة جيش المسلمين، ليُرهبوا بذلك أقوامهم.

ومن فوائدها: الاحتفاظ بالأسرار، وعدم التهاون بإفشائها، خاصَّةً فيما يتعلَّق بأمور المسلمين العامَّة، فإن الحكيم يستطيع التعرف في الأمور، وإن تغيَّرت وجوهها ما دام سرُّه حبيسًا في ضميره، فإذا أفشاه اختلطت عليه الأمور، ولم يستطِع التحكم فيها(٤).

ومن فوائدها: حراسة الجيش، وهذا من مظاهر الرحمة في إخوانهم وعدم الغفلة عنهم؛ لئلا يسارع الاعداء في قتالهم وكسر بيضتهم.

---

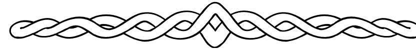
(١) «**النوبة**»: هي استعراض القطعات التي تستعرض بحسب الدور أمام القائد، أو في ساحة القتال؛ وكذلك نوبة الحامية العسكرية؛ لأنها تتبدل وفق توقيت منظم. انظر: «تكملة المعاجم العربية» (٣٢٦/١٠)، رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: ١٣٠٠هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه: جـ ١ - ٨: محمَّد سَليم النعَيمي، جـ ٩، ١٠: جمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠م.

(٢) «**لجن**»: بالفتح في المشي: ثقل المشي. انظر: «تاج العروس» للزَّبيدي (١٠٠/٣٦)، قلت: لا تثقل في العقوبة، ولا تخفف عليهم، فكن وسطًا.

(٣) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٢٥٠/٢).

(٤) انظر: «الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار» (٣٣/١)، علي محمد محمد الصلابي، الناشر: دار المعرفة، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٨ - ١٤٢٩.

وفي عَهْد الفاروق ﷺ لما خرج النعمان من السوس على رأس جيش الكوفة، وكان متوجِّهًا إلى نهاوند، أَخَذ يبث العيون أمامه لاستكشاف المنطقة حتى لا يؤخذَ على غرَّة، وهذا ما يفعله القادة العسكريون الناجحون عادةً، وحتى يحكم الطرق على الحشود الفارسية في نهاوند(١).





(١) انظر: «تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية» لمحمد طقوش (ص٢٢٠).

٦- مظاهر الرحمة في اتخاذ شعارات[١] للجند ورايات[٢] ليعرفوا بها

ينبغي أن يتخذ كلُّ قومٍ شعارًا إذا خرجوا في مغازيهم حتى إن ضلَّ رجل عن أصحابه، نادى بشعارهم، وكذلك ينبغي أن يكون لأهل كلِّ راية شعار معروف، حتى إن ضلَّ رجل عن أهل رايته نادى بشعاره، فيتمكن من الرجوع إليهم[٣]، كما كانت راية رسول الله لما سئل عنها البراء بن عازب: ما هي؟ فقال: «كانت سوداء مربعة»[٤].

وفيه استحباب الألوية في الحروب، وأنه ينبغي أن يكون مع أمير الجيش[٥]؛ لأنهم يقاتلون تحتها.

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله: «كان النبي ﷺ في مغازيه يدفع إلى رأس كلِّ قبيلة لواء يقاتلون تحته، وأخرج أحمد بإسناد قوي من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- أن راية النبي ﷺ كانت تكون مع عليٍّ ﷺ، وراية الأنصار مع سعد بن عبادة ﷺ»[٦].

وفي عهد الصِّدِّيق ﷺ كان شعارهم في بعثه جيش أسامة ﷺ لقتال الروم: يا منصور

---

(١) «**الشعار**»: هو عبارة يتعارف بها القوم في السفر أو الحرب، وهو ما يسمَّى: سرُّ الليل. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» لأحمد مختار (٢/ ١٢٠٦).

(٢) هناك مَنْ فرق بين الراية واللواء، والصحيح التفرقة عرفية في المسميات، والمقصود بهما العَلَم الذي يحمل في الحروب، وهو من العلامة؛ لأنه يعرف به موضع تقدم الجيش، وهذا الذي ذكرته من أن اللواء والراية مترادفان، صرح به أهل اللغة والغريب. انظر: «طرح التثريب في شرح التقريب» (٧/٢٢٠، ٢٢١)، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين، ابن العراقي (المتوفى: ٨٢٦هـ)، الناشر: الطبعة المصرية القديمة – وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي).

(٣) انظر: «شرح السير الكبير» (ص٧٣)، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، الناشر: الشركة الشرقية للإعلانات، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٩٧١م.

(٤) **قال الألبانيُّ عنه:** "صحيح دون كلمة «مربعة»"، انظر: «سنن أبي داود» (٣٢/٣).

(٥) انظر: «طرح التثريب في شرح التقريب» لأبي الفضل العراقي (٢٢١/٧).

(٦) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٢٧/٦).

أَمِت، وشعارهم في فتوح العراق: يا آل عباد الله، وفي فتوح الشام باليرموك نجد أن لكلِّ قائد وقبيلة شعارًا مميزًا يميزها عن غيرها اتخذته؛ ليستدل به عليها، وكانوا يجهزون به عند القتال، ويتعارفون به، فكان شعار أبي عبيدة: أَمِتْ.. أَمِتْ، وشعار خالد بن الوليد ﵁ ومَنْ معه: يا حزب الله، وشعار قبيلة عبس: يا لعبس، وشعار اليمن من أخلاط الناس: يا أنصار الله، وشعار حمير: الفتح.. فهذه كانت أبرز الشعارات في معركة اليرموك(١)، وكان شعار عليّ ﵁: «حم لا ينصرون»، ويروى أنه كان شعار أصحابه من بعده(٢)، ومعناها: لن ينصروا بفضل السور المفتتحة بـ ﴿حمٓ﴾، ومنزلتها من الله عظيمة. وقوله: «لا ينصرون» جوابًا لسائلٍ، عسى أن يقول: ماذا يكون إذا قيلت هذه الكلمة؟ فقال: «لا ينصرون»(٣). وهذه الشعارات علامة لرجوع الجيش إليها وعدم الخطاء والرجوع إلى العدوِّ، ومن ثَمَّ الظفر به وقتله أو الزامة بكشف سر من أسرار المسلمين مما يسبب في قتلهم أو فشل خطتهم وغيرها.



(١) انظر: «الإدارة العسكرية» لسليمان بن صالح (١٢٨/١، ١٢٩).

(٢) انظر: «الكامل في اللغة والأدب» (٢٣٤/٣)، محمد بن يزيد المبرد، ق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، ط: الثالثة ١٤١٧هـ.

(٣) انظر: «تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة» (٢٢/٣)، ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، ق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ط: ١٤٣٣هـ.

٧- مظاهر الرحمة في أخذهم للزاد والعلوفة

عندما ينطلق الجيش قاطعًا مساحات شاسعة لأجل الجهاد، فهو يحتاج إلى ما يتقوَّت به من الأكل أو الشرب، وإذا لم يتمَّ توفير الزاد والعلوفة للجيش وللخيل والإبل، فإنَّ ذلك سيُوهن مسيرتهم، وفرصة يترصدها عدوهم للقضاء عليهم.

وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا حمى إلا لله ولرسوله**»، وقال: بلغنا «أن النبي ﷺ حمى النقيع[(١)]»، وأن عمر «حمى السرف[(٢)] والربذة[(٣)]»[(٤)]، ولقد كان الغزاة في عهد الرسول ﷺ يعدُّون أنفسهم للجهاد بأخذ الزَّاد والعلوفة، ويشترون الدواب للقتال، هذا إلى ما كانوا يكسبونه من غنائم من الأعداء من زادٍ وعلوفةٍ وسلاحٍ، كما في غزوة السويق عندما هرب الأعداء، وخلفوا وراءهم سويقًا كثيرًا.. وغيرها، مثل ما فعل الرسول ﷺ في غزوة خيبر حيثُ قسَّم أو ساق التمر والقمح والشعير[(٥)]، وقد حذا حذوه قادتُه من بعده، فكانوا يشترطون على الأعداء الزاد وضيافة المسافر ثلاثًا، وخاصَّة العسكر منهم[(٦)]. ففي عهد الصديق ﷺ، كان يشتري الإبل والخيل والسلاح فيجعلها في سبيل الله، وحينما كلَّف خالد بن الوليد ﷺ بمحاربة المرتدين، كان مما أوصاه به إذا دخل على أرض العدوِّ: ألَّا يسير إليهم إلا وهو مستظهر بالزاد.

وكان قادة الصديق ﷺ أثناء عقدهم من الأعداء الصلح يشترطون عليهم تموينهم بالزاد والعلوفة

---

(١) موضع تلقاء المدينة، بينها وبين مكة، على ثلاث مراحل من مكة بقرب قدس. انظر: «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» لأبي عبيد البكري (١٣٢٣/٤).

(٢) بفتح أوله، وكسر ثانيه، بعده فاء: على ستة أميال من مكة، وهناك أعرس رسول الله ﷺ بميمونة مرجعه من مكة حين قضى نسكه، وهناك ماتت ميمونة؛ لأنها اعتلت بمكة. انظر: المصدر نفسه (٧٣٥/٣).

(٣) بفتح أوله وثانيه، وبالذال المعجمة: هي التي جعلها عمر ﷺ حمى لإبل الصدقة، وكان حماه الذي أحماه بريدًا في بريد، ثم تزيدت الولاة في الحمى أضعافًا، ثم أبيحت الأحماء في أيام المهدي، فلم يحمها أحد بعد ذلك. المصدر نفسه (٦٣٣/٢).

(٤) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب المساقاة، باب لا حمى إلا لله ورسوله، (١١٣/٣ ح ٢٣٧٠).

(٥) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٤٥/٢)، «الإدارة العسكرية» لسليمان بن صالح (١٧٥/١).

(٦) انظر: «الإدارة العسكرية» لسليمان بن صالح (٢١٦/١).

بما يبلغون به حاجتهم كما فعل أبي عبيدة ﷺ في فتح حمص ونزولهم عليها كتب "بسم الله الرحمن الرحيم، أمَّا بعدُ: فإني رأيت في قولك صلاحًا لنا ولكم، ولسنا نريد البغي على أحد من عباد الله ﷻ وقد علمت أن عسكرنا كثير، وخيلنا وإبلنا كثير؛ فإن أردتم أن نرتحل عنكم فابعثوا لنا ميرة خمسة أيام، وأنتم تعلمون أن الطريق الذي أمامنا بعيد، وما نلقي بعدكم إلا كل حصن منيع، وأبواب حديد؛ فإذا مونتمونا رحلنا عنكم إلى بعض مدائن الشام، فإذا فتح الله علينا بعض مدائن الشام رجعنا عنكم كما زعمتم، فإن فعلتم ذلك كان صلاحًا لكم وطوى الكتاب وسلمه إلى الرسول.. وأخرج لهم أهل حمص مما كانوا قد ادَّخروه من الزاد والعلوفة شيئًا عظيمًا له ولعسكره ما يكفيهم مدة خمسة أيَّام؛ فأقبل أبو عبيدة ﷺ عليهم وقال: يا أهل حمص قبلنا ما حملتموه لنا من الزاد والعلوفة، فإذا رأيتم الآن أن تبيعوا من الزاد والعلوفة فقالوا: نحن نفعل ذلك، فعندها نادى الأمير أبو عبيدة ﷺ بشراء الزاد والعلوفة ولتكثروا من ذلك فإن قدامكم طريقًا واسعًا قليل الزاد والعلوفة، فقالوا: أيها الأمير بماذا نشتري الزاد وعلى أيِّ شيءٍ نحمله، فقال أبو عبيدة: مَن كان معه شيء من الذي غنمتموه من الروم فليشترِ به الزاد والعلوفة..."[1]. وهنا الصحابي الجليل أبو عبيدة ﷺ قَبِل ما صالحهم عليه من أخذ ما يتقوتون به ويتقوون به على مسيرهم من زاد وعلوفة لهم ولخيولهم ودوابهم، وهذا من رحمة القائد بجيشه؛ فلا يتركهم بلا زاد، ولا يهلك الدواب بلا علوفة.

وفي معركة القادسية حيثُ واجه سعدٌ في بداية الأمر مشكلة تأمين المواد التموينية لقواته الضخمة، وبخاصَّة أنه متمركز على تخوم الصحراء، وبعد مشاورات مع المدينة تقرر أن يمدهم الخليفة بالزاد والعلوفة[2].

قال الماوردي: «وإعداد ما يحتاج الجيش إليه من زاد وعلوفة تفرق عليهم في وقت الحاجة حتى تسكن نفوسهم إلى مادَّة يستغنون عن طلبها؛ ليكونوا على الحرب أوفر، وعلى منازلة العدوِّ أقدر»[3].

---

(١) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١/ ١٣٦-١٣٧).

(٢) انظر: «تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية» لمحمد طقوش (ص١٩٦).

(٣) انظر: «الأحكام السلطانية» للماوردي (ص٧٩).

وفي عهد عثمان ﵁ لما توسَّعت الفتوحات من بعده، جعل قادته يشترطون في بعض عهودهم للصلح بأن تكون من المواشي والطعام والشراب؛ لإعداد ما يحتاجه الجيش من ميرة وتموين حتى تساعدهم وتقويهم، فلا يتكلفون حملها، ولا طلبها(١).

وقَدْ ذكر الطبري في «**تاريخه**»: «أن عليَّ ابن أبي طالب ﵁ طلب من الجند بعد معركة صفين أن يستريحوا قائلًا لهم: ادخلوا فلنمكث ستة أشهر حتى يجبى المال، ويسمن الكراع»(٢)، وكان يضع سمةً وعلامةً على الأسلحة التي للجند، فعندما بعث ما بقي من العسكر بعد معركة الجمل إلى مسجد البصرة، قال: «إن مَن عرف شيئًا فليأخذه إلا سلاحًا كان في الخزائن عليه سمة السلطان، فإنه لما بقي لم يعرف»(٣).



(١) انظر: «الإدارة العسكرية» لسليمان بن صالح (٢١٧/١).

(٢) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٦٦/٥).

(٣) المصدر نفسه (٥٣٨/٤).

٨- مظاهر الرحمة في مراعاة القائد لأصحاب الديوان(١) والمتطوعة من المقاتلة

«وهو أن يراعي مَنْ معه من المقاتلة، وهم صنفان: مسترزقة، ومتطوعة.

أما المسترزقة، فهم أصحاب الديوان من أهل الفيء(٢)، فيفرض لهم العطاء من بيت المال بحسب الغناء والحاجة.

وأما المتطوعة، فهم الخارجون عن الديوان من البوادي وسكان القرى والأمصار، الذين خرجوا في النفير»(٣)، اتباعًا لقوله جلَّ في عُلَاه: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(٤).

وقد قيل في تأويل قوله تعالى: ﴿**خفافًا وثقالًا**﴾ أربعة أوجه(٥)، **منها:** «إن هؤلاء

---

(١) «**الديوان**»: هي الجريدة من دون الكتب إذا جمعها؛ لأنها قطع من القراطيس مجموعة، (وروي) أن عمر ﷺ أول مَنْ دوَّن الدواوين، أي: رتب الجرائد للولاة والقضاة، ويقال: فلان من أهل الديوان، أي: ممن أثبت اسمه في الجريدة، (وعن) الحسن رحمه الله هجرة الأعراب إذا ضمهم ديوانهم يعني: إذا أسلم وهاجر إلى بلاد الإسلام، فهجرته إنما تصح إذا أثبت اسمه في ديوان الغزاة. انظر: «المغرب في ترتيب المعرب» (ص١٧١)، ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المطَرِّزِىّ (المتوفى: ٦١٠هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي.

(٢) «**الفيء**»: هو ما أفاءه الله على عبده، وهو خراج الأرضين وجزية رؤوس أهل الذمة، وكان الفيء على عهد رسول الله ﷺ ما أفاءه الله من المشركين مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب بصلح صالحوه عليه عن أموالهم وأرضيهم، فلمَّا قبض صار ذلك للمسلمين بمنزلة خراج الأرضين التي افتتحت عنوة. انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (٢٢٨/١)، «جمهرة اللغة» للأزدي (١٠٨٣/٢).

(٣) انظر: «الأحكام السلطانية» (ص٣٩)، القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (المتوفى: ٤٥٨هـ)، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

(٤) سورة التوبة: آية (٤١).

(٥) أربعة أوجه: أحدها: شبانًا وشيوخًا، قاله الحسن وعكرمة. والثاني: أغنياء وفقراء، قاله أبو صالح. والثالث: ركبانًا ومشاةً، قاله أبو عمرو. الرابع: ذا عيال، وغير ذي عيال، قاله الفراء. وقد قيل: إن هؤلاء يعطون من الصدقات، ولا =

يعطون من الصدقات، ولا يعطون من الفيء، من سهم سبيل الله المذكور في آية الصدقات[١]، ولا يعطون من الفيء؛ لأن حقهم في الصدقات، ولا يعطى أهل الفيء من مال الصدقات؛ لأن حقَّهم في الفيء»[٢].

والراجح أنهم يعطون جميعًا للأصل[٣]، وهو العموم، ولا مخصص لها[٤] بلا سرف، ولا تقتير، عادلًا بينهم، جاعلًا رفيعهم ووضيعهم في الحق سواء في العطايا، بلا تقديم، ولا تأخير؛ لئلا يلجئهم للشغب والفوضى وعدم الوصول إلى الهدف المنشود، والمطلب المقصود من الجهاد في سبيل الله[٥].

ولقد قسَّم الماوردي رحمه الله ديوان السلطنة إلى أقسام أربعة، ذكر منها ما يختصُّ بالجيش من إثبات وعطاء، وشرع بتعداد شروط جواز إثبات الجند في ديوان هذه السلطنة من كونه مسلمًا بالغًا حرًّا سالمًا من الآفات المانعة من القتال مقدمًا غير جبان...[٦].

= يعطون من الفيء، من سهم سبيل الله المذكور في آية (الصدقات، ولا يعطون من الفيء؛ لأن حقهم في الصدقات. ورجح الطبري بأن يقال: إن الله -تعالى ذِكْرُهُ- أمرَ المؤمنين بالنفر لجهاد أعدائه في سبيله، خفافًا وثقالًا. وقد يدخل في «الخفاف» كلُّ مَنْ كان سهلًا عليه النفر لقوة بدنه على ذلك، وصحة جسمه وشبابه، ومَن كان ذا يُسر بمال، وفراغ من الأشتغال، وقادرًا على الظهر والركاب، ويدخل في «الثقال» كل مَنْ كان بخلاف ذلك، من ضعيف الجسم وعليله وسقيمه، ومن معسر من المال، ومشتغل بضيعة ومعاش، ومَنْ كان لا ظهر له، ولا ركاب، والشيخ وذو السن والعيال. انظر: «الأحكام السلطانية» لأبي يعلى الفراء (ص٣٩)، انظر: «تفسير الطبري» للطبري (١٤/٢٦٩).

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ...﴾ الآية (٦٠).

(٢) انظر: «الأحكام السلطانية» لأبي يعلى الفراء (ص٣٩، ٤٠).

(٣) وقد بوَّب الشافعي لكل قسمٍ من هذين القسمين، فقال في القسم الأول: «باب بيان ما نزل من الكتاب عامًّا يُراد به العام، ويدخله الخصوص»، ومثل له بقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، فالمراد: كل دابة دون استثناء. انظر: «معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة» (ص٤١٣). محمَّد بنْ حسَيْن بن حَسن الجيزاني. الناشر: دار ابن الجوزي، ط: الخامسة، ١٤٢٧هـ.

(٤) **قال في** «**شرح منتهى الإرادات**»: «السابع: غاز؛ لقوله تعالى: ﴿**وفي سبيل الله**﴾، (بلا ديوان، أو له) في الديوان (ما لا يكفيه) لغزوه (فيعطى) ولو غنيًّا؛ لأنه لحاجة المسلمين (ما يحتاج) إليه (لغزوه) ذهابًا وإيابًا». انظر: «شرح المنتهى» (١/٤٥٨). منصور بن يونس البهوتي الحنبلي، الناشر: عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤١٤هـ.

(٥) انظر: «الأحكام السلطانية» للماوردي (ص٤٠)، «سراج الملوك» للطرطوشي (ص١٩٣).

(٦) انظر: «الأحكام السلطانية» للماوردي (٣٠٢، ٣٠٣).

لَقَدْ اهتمَّ النبيُّ -صلوات ربي وسلامه عليه- في العطاء، وإثبات أسمائهم، فكان يقول: «**اكتبوا لي مَنْ تلفَّظ بالإسلام من الناس**»، فكتبنا له ألفًا وخمس مائة رجل، فقلنا: نخاف ونحن ألف وخمس مائة، فلقد رأيتنا ابتلينا، حتى إن الرجل ليصلي وحده وهو خائف(١).

وفي غزوة حنين أمر الرسول ﷺ بجمع الغنائم، وتمَّ توزيعها(٢)، واقتفى أثره ومنهجه الصِّدِّيق؛ فكان ﷺ يرى التسوية في العطاء، ولما بقيت بقيةٌ من المال، فقسمها بين الناس بالسوية على الصغير والكبير، والحر والمملوك، والذكر والأُنثى... فلمَّا كان العام المقبل جاء مال كثير هو أكثر من ذلك؛ فقسَّمه بين الناس(٣)، ولقد سوَّى بين أهل بدر وباقي الناس، فلمَّا راجعه عمر في ذلك قال: «وإنما أجورهم على الله، وإنما الدنيا دار بلاغ للراكب»(٤).

وفي عهد عمر ﷺ دوَّن الديوان في المحرم سنة عشرين(٥)، وجاءت الفتوح، ففرض لأهل السوابق والقدم من المهاجرين والأنصار ممن شهد بدرًا خمسة آلاف، خمسة آلاف، ولمن لم يشهد بدرًا أربعة آلاف، أربعة آلاف، وفرض لمنْ كان له إسلام كإسلام أهل بدر دون ذلك، وأنزلهم على قدر منازلهم من السوابق.. وقال: إن أبا بكر -رضي الله تعالى عنه- رأى في هذا المال رأيًا، ولي فيه رأي آخر...(٦)، وهذا من جمال التماس الأعذار عن بعضهم رضوان الله عليهم(٧).

---

(١) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب الجهاد والسير، باب كتابة الإمام الناس، (٤/٧٢ ح ٣٠٦٠).

(٢) انظر: «الطبقات» ابن سعد (٢/١١٦).

(٣) انظر: «الخراج» لأبي يوسف (ص٥٣).

(٤) انظر: «الأحكام السلطانية» للماوردي (ص٢٩٩)، و«الأحكام السلطانية» لأبي يعلى الفراء (٢٣٨).

(٥) انظر: «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص١١٥).

(٦) انظر: «الخراج» لأبي يوسف (ص٥٣، ٥٤).

(٧) ورد عن عمر: «لئن عشت إلى هذا العام المقبل لألحقن آخر الناس بأولهم حتى يكونوا بيانًا واحدًا». قال عبد الرحمن: بيانًا واحدًا: شيئًا واحدًا. قال أبو عبيد: وقَدْ كان رأي عمر الأول التفضيل على السوابق، والغناء عن الإسلام، وهذا هو المشهور من رأيه، وكان رأي أبي بكر التسوية، ثم قد جاء عن عمر شيء شبيه بالرجوع إلى رأي أبي بكر، وكذلك يروى عن عليّ التسوية أيضًا، ولكلا الوجهين مذهب. انظر: «الأموال» للقاسم بن سلام (ص٣٣٦).

ولما فتح الله على الفاروق ﷺ فارس والروم، جمع أُناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: ما ترون؟ فإني أرى أن أجعل عطاء الناس في كلِّ سنةٍ، وأجمع المال، فإنه أعظم للبركة. قالوا: اصنعْ ما رأيتَ؛ فإنك -إن شاء الله- موفَّق. قال: ففرض الأعطيات[١]، فكتب للقائد عمرو بن العاص ﷺ: افرض لمنْ بايع تحت الشجرة في مائتين[٢]، فأصبح من مهامهم التي يكلفون بها النواحي المالية في توزيع العطاء للجند، والتحري في تقصِّي أسمائهم وتدوينها وصفاتهم حتى لا تتشابه عليهم[٣].

وقد سار على منهجه الخليفة الراشد بعده عثمان بن عفان ﷺ، فكان التجنيد إلزاميًّا على المرتزقة، وقام بتنظيم الهيكل العسكري، واعتمد أهل السوابق في الإسلام كفعل عمر ﷺ قبله، وكتب لواليه في الكوفة أن يفضل أهل السابقة والقدم ممن فتح الله عليهم، وأَمَره أن يحفظ لكلٍّ منزلته، ويعطيهم جميعًا[٤].

وفي إعداد المجاهدين في عهد عليٍّ ﷺ استمرَّ في التجنيد الإلزامي على أهل الديوان، وتكليفهم بالمهمات العسكرية، ومعاقبة المتخلف منهم أو المخل فيما كتب له[٥]، وقال ﷺ: «لقد هممت أن أقسم مال هذا السواد، فيمرُّ أحدهم بالقرية فيتغدى فيها أو يتعشى، ويقول: قريتي»[٦]، ورجع عليٌّ ﷺ إلى ما كان عليه أبو بكر الصديق ﷺ في التسوية في العطاء، فلم يفضل أحدًا، فأعطى الموالي كما أعطى السادة، وكان الخراج في بعض الأمصار موكولًا إلى الولاة أنفسهم.



(١) المصدر نفسه (ص٥٥).

(٢) انظر: «الأموال» للقاسم بن سلام (ص٢٨٨).

(٣) انظر: «الإدارة العسكرية» لسليمان بن صالح (٢/٦٢٥).

(٤) المصدر نفسه (٢/٦٣٨).

(٥) المصدر نفسه (٢/٦٤٠).

(٦) انظر: «الأموال» للقاسم بن سلام (ص١٠٣).

٩- مظاهر الرحمة في الإعداد والتعبئة العسكرية للجيش

ومعنى التعبئة: التهيئة، وترتيبهم في مواضعهم للقاء الحرب(١)، وهذا المظهر من خلال قوله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾(٢)، والرسول ﷺ يقول: «**مَن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله(٣)**».

وكان الرسول ﷺ يمر بين صفوف جيش بدر يساويهم بقدح كان معه ويعدلهم(٤)، فكان يقول لهذا: تَقدَّم، ويشير للآخر تأخَّر(٥)، وهكذا سار -عليه الصلاة والسلام- في ترتيب الجيش وإعداده(٦)، واستعمل قادة الصديق رضي الله عنه في معاركهم الحربية نظام الصف، فكان أبو عبيدة رضي الله عنه يرتِّب الصفوف، وجعل خالدًا رضي الله عنه يسير بينهم، ويقف عند كلِّ رايةٍ يقول لهم: «يا أهل الإسلام، إن الصبر قد عُزم -إن شاء الله تعالى- على صحبتكم»(٧).

وفي معركة اليرموك أصدر خالد بن الوليد رضي الله عنه نظام الكراديس(٨)، وقال: «ليس من التعبئة تعبئة أكثر في رأي العين من الكراديس»، فجعل القلب كراديس، وأقام فيه أبا عبيدة رضي الله عنه، وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص رضي الله عنه، وفيها شرحبيل بن حسنة(٩)، فكانوا يرتبونهم، ويجعلون بين كلِّ كردوس وآخر مقدار رمية سهم(١٠).

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (١٦٨/٣).

(٢) سورة الصف: آية (٤).

(٣) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا (٢٠/٤ ح ٢٨١٠).

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٦٢٦/١).

(٥) انظر: «إنارة الدجى في مغازي خير الورى صلى الله عليه وآله وسلم» (ص١٣١)، حسن بن محمد المشاط المكي، الناشر: دار المنهاج – جدة، ط: الثانية – ١٤٢٦هـ.

(٦) انظر: «الإدارة العسكرية» لسليمان بن صالح (٢٣٠/١).

(٧) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١٨١/١).

(٨) «**الكراديس**»: هي الخيل العظيمة، وكردس القائد خيله كراديس: جعلها كتيبة كتيبة. انظر: «العين» للفراهيدي (٤٢٦/٥).

(٩) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣٩٦/٣).

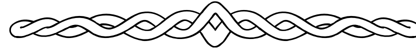
(١٠) المصدر نفسه (٣٣/٩).

وفي عهد عثمان ﷺ حينما تمرَّد أهل أذربيجان أكثر من مرَّة، فخاف الأشعث أن يعيدوا الكَرَّة؛ فوضع حامية من العرب وجعل لهم عطايا، وسجلهم في الديوان(١).

وذكر الطبري في «تاريخه»: أن عليَّ ابن أبي طالب ﷺ كان يوصي بقوله للجيش: «ثم أخبركم أنه يحِبُّ الذين يقاتلون في سبيله صفًّا كأنهم بنيان مرصوص، فسووا صفوفكم كالبنيان المرصوص»(٢).

فكانوا يقدمون أهل الدروع، ويؤخِّرون حاسري الرؤوس، ويتعلمون على كيفية رمي السهام، وإصابة الأهداف من إمساك المتعلم القوس بيده اليسرى بقوَّة عضده الأيسر، والنشَّابة(٣) بيده اليمنى، وقوَّة عضده الأيمن، وكفّه إلى صدره، وإلقاؤه ببصره إلى معلم الرمي، وإجادته نصب القوس(٤).

إن إعداد القوة لحماية البلاد والعباد، والدين، وذلك بتنفيذ قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝٦٠﴾(٥)، ومن الواضح في الآية أن إعداد القوة، وتجهيز الجيش سبب لتحقيق السلام، وضمان الحقوق؛ لأن أعداء الحقِّ إذا رأوا يقظة صاحب الحقِّ يخافون منه، ويبتعدون عن مصادمته، ومن مسلَّمات الحضارة الحديثة أن الأُمَم الجادة تجهز جيشها، وتعدُّه لحماية أمنها وسلامتها؛ ولذا لم يكن عجبًا وجود وزارات ومؤسسات في كلِّ دولة..."(٦).



---

(١) انظر: «الفتنة ووقعة الجمل» (ص٤٤)، سيف بن عمر الأسدي التَّمِيمي (المتوفى: ٢٠٠هـ)، المحقق: أحمد راتب عرموش، الناشر: دار النفائس، الطبعة: السابعة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

(٢) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (١٦/٥).

(٣) «**النشاب**»: السهام، الواحدة نشابة. انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للفارابي (٢٢٤/١).

(٤) انظر: «عيون الأخبار» لابن قتيبة (٢١٧/١).

(٥) سورة الأنفال:اية ٦٠.

(٦) انظر: «السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني» لأحمد غلوش (ص٦٤٥).

١٠- مظاهر الرحمة في وضع العيون الثقات لسلامة الجيش

ولسلامة الجيش إذكاء[١] العيون، واستطلاع الأخبار، وإفشاء الغلبة، وإظهار السرور، وأمانة الفرق، والاحتراس من البطانة من غير إقصاء لمنْ يستنصح، ولا استنصاح لمن يستغشُّ، ولا تحويل شيءٍ عن شيءٍ إلا بسدِّ ناحيةٍ من المراتب، وحسن مجاملة الظنون، وإشغال الناس عمَّا هم فيه من الحرب بغيره.. مخاتلة العدوِّ، وإعداد العيون على الرَّصد، وإعطاء المبلِّغين على الصدق، ومعاقبة المتوصِّلين بالكذب[٢]، ويوكل بالأخبار والبحث عن الأسرار فيما قرب منه، وبعد عنه، وجاوره من وليٍّ وعدوٍّ، ومبلغ ما عندهم من عدَّة، وما يتجدد لهم من عزيمة[٣]، وطريقة إرسال الجواسيس في الجيش، وَكَذلك الترصد للأعداء في زي تجار وسياح ومتصوفة وبائعي أدوية ودراويش[٤]؛ لنقل كل ما يسمعون من أخبار حتى لا يظل ثمة شيء خافيًا، وحتى يمكن تلافي أيّ طارئ جديد في حينه[٥].

ولما جهز الرسول ﷺ سرية[٦] جيش عبد الله بن جحش رضي الله عنه[٧]، وأمره ألَّا ينظر فيه حتى يسير

(١) «**ذكا الشخص**»: سريع الفهم، متوقد البديهة. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» لأحمد مختار (١/٨١٧)، قلت: اختيار الأذكياء سرعاء البديهة والعقل.

(٢) المصدر نفسه (١/١٩١).

(٣) انظر: «السياسة» (ص٥٨)، الحسين بن علي أبو القاسم الوزير المغربي، ق: فؤاد عبد المنعم أحمد. الناشر: مؤسسة شباب الجامعة – الإسكندرية، ط: الأولى.

(٤) «**الدرويش**»: الزاهد الجوال. انظر: «المعجم الوسيط»، باب الدال (١/٢٨٠).

(٥) انظر: «سير الملوك» (ص١١١)، الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، ق: يوسف حسين بكار، الناشر: دار الثقافة – قطر، ط: الثانية، ١٤٠٧.

(٦) «**السرية**»: التي تنفذ إلى بلاد العدو، وأصلها من السرى وهو سير الليل، وكانت تخفي خروجها؛ لئلا ينتشر الخبر به، وتكتب به العيون، فتخرج ليلًا، فيقال: سرت سريةً، أي: خرجت، وسارت ليلًا. انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/٢٢٧).

(٧) **هو عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر الأسدي**، صحابي، قديم الإسلام، هاجر إلى بلاد الحبشة، ثم إلى المدينة، وكان من أمراء السرايا، وهو صهر رسول الله ﷺ، أخو زينب أم المؤمنين. قتل يوم أُحُدٍ شهيدًا، فدفن هو وحمزة في قبر واحد سنة ٣هـ. انظر: «معجم الصحابة» لابن قانع (٢/١٠٨)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للقرطبي

يومين ثم ينظر فيه.. فإذا فيه: «**إذا نظرتَ في كتابي، فامضِ حتى تنزل نخلة، بين مكة والطائف، فترصد بها قريشًا، وتعلم لنا من أخبارهم**». فلمَّا نظر في الكتاب قال: سمعًا وطاعةً[١].

وهذا يبين لنا دور الإدارة العسكرية المحمدية منذ نشأتها بالعناية بأمر العيون، والتعرف على أخبار العدوِّ حتى يسلم القائد ومَنْ معه من عسكرٍ من مكرهم، ويتلمس مواضع الضعف لديهم، فيتمكن من استغلالها، ومن ثَمَّ الانتصار عليهم[٢].

وقد سار الخلفاء الراشدون ﭬ على هذا المسار النبوي العظيم، ففي عهد الصِّدِّيق ﭬ عندما أوصى قادة حروب الرِّدة حذَّرهم ألَّا يدخل فيهم حشوٌ[٣] حتى يعرفهم، ويعلم ما هم؛ لئلا يكونوا عيونًا، ولئلَّا يؤتى المسلمون من قبلهم[٤]، وقال لعمرو بن العاص ﭬ حينما وجَّهه إلى فلسطين: «وابعث عيونك يأتوك بأخبار أبي عبيدة ﭬ، فإن كان ظافرًا بعدوه، فكن أنت لقتال مَنْ في فلسطين، وإن كان يريد عسكرًا، فأنفذ إليه جيشًا في أثر جيش»[٥].

كما أمره أن يقدم في سيره الطلائع، «وقدم قبلك طلائعك، فيكونوا أمامك»[٦].

وعمل بهذه الوصايا العظيمة قادته من بعده، فكان الصحابي أبو عبيدة بن الجراح ﭬ في إدارته العسكرية يبث عيونه ضد الروم، ويترصد أخبارهم وتحركاتهم، ويعطي العيون قدرًا من المال مكافأةً لصنيعهم، ويكتب إلى الصِّدِّيق ﭬ مخبرًا إياه بتحركات الروم قائلًا له: «إن عيوني من أنباط الشام أخبروني أن أوائل إمداد ملك الروم قد وقعوا عليه»[٧].

= (٨٧٧/٣)، «الأعلام» للزركلي (٧٦/٤).

(١) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (٣٧/٥).

(٢) انظر: «الإدارة العسكرية» لسليمان بن صالح (٢٢٨/١).

(٣) «**حشو**»: يقال من حشوة بني فلان، أي: أرذالهم، ومن لا يعتد به. انظر: «المخصص» لابن سيده (٣١٩/١)، «مجمل اللغة» لابن فارس (ص٢٣٥).

(٤) انظر: «مآثر الإنافة في معالم الخلافة» للقلقشندي (١٤٠/٣).

(٥) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١٤/١).

(٦) المصدر نفسه (١٤/١).

(٧) انظر: «الإدارة العسكرية» لسليمان بن صالح (٣٩٥/١).

وهكذا لم يخلُ عهد عمر ﵁ من هذه الوصايا، فحينما كتب للصحابي سعد بن أبي وقاص ﵁ قال له: «وإذا وطئت أدنى أرض العدوِّ، فأذكِ العيون بينك وبينهم، ولا يخفى عليك أمره، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض مَنْ تثق به وتطمئن إلى نصحه وصدقه، فإن الكذوب لا ينفعك خبره، وإن صدق في بعضه، والغاش عليك ليس عينًا لك»(١).

وكانوا يتخيَّرون من الطلائع أهل الرأي والعقل وأصحاب الخبرات، وأهل الشجاعة والبأس، ويكثرون من إرسال الطلائع لقطع الإمداد، ويتتبعون عورات الجيش، ويتخيَّرون لهم سوابق الخيول وأسرعها كرًّا وفرًّا؛ لئلا يقعوا فيهم، وينكشف أمرهم، ويفشل مخططهم(٢).

وعمل أبو عبيد بوصية عمر ﵁، فَكَان يأمر خالدًا ﵁ لما أراد فتح حمص، وجَهَّزه بأربعة آلاف مقاتل: أن يرجع على أثره وينفذ عيونه(٣).

وسار على هذا الطريق قادتُه من بعده، فكان الصحابي سعد بن أبي وقاص ﵁ في العراق يبث العيون والطلائع قبل مجيئه إليها، ويأمرهم أن يصيبوا الأخبار عن أهل فارس، وعن أحوالهم، وما هُمْ عليه من التعبئة العسكرية والاستعداد، ولا يقدم في معركةٍ من معاركه إلا وقد جاءته الأخبار مفصلةً، ومن ثَمَّ يكتب إلى القيادة العسكرية العليا من معلومات عنهم ليأخذ رأيها وتوجيهاتها(٤).

وفَعَل هذا الاحتياط في الطلائع أهلُ فتوح الشام، ففي اليرموك لما نزلت الروم منزلهم الذي نزلوا به، دسَّ إليهم المسلمون رجالًا من أهل البلد العرب الذين كانوا نصارى، فأسلموا فحسن إسلامهم، وأمروهم أن يدخلوا في معسكراتهم ليأتوا لهم بأخبارهم، ويُظْهِرون أنهم معهم، وهم يُبْطِنون إسلامهم، وكان الذي أمرهم بذلك الصحابي خالد بن الوليد ﵁، والصحابي أبو عبيدة الجراح ﵁ بعدما ذكروا لهم أن هذا العمل لكم فيه أجر لمصلحة المسلمين، وهو لكم

---

(١) انظر: «بدائع السلك في طبائع الملك» لابن الأزرق (٦٣/٢).

(٢) انظر: «العقد الفريد» لابن عبد ربه (١١٨/١).

(٣) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١٠١/١).

(٤) انظر: «الإدارة العسكرية» لسليمان بن صالح (٣٩٨/١).

جهاد على الكافرين، وأنتم بهذا تكشفون لنا عوراتهم وسوآتهم، فدخلوا معهم في العسكر، ثم جاؤوا إلى معسكر المسلمين بعد مُضي نصف الليل، وأخبروا الصحابي أبا عبيدة ﷺ أنهم قد أجَّجوا نيرانهم، وتهيئوا لقتالكم، وهم مصبحوكم بالغداة، فما كنتم صانعيه فاصنعوه الآن، فأخذ أبو عبيدة ﷺ بعض القادة، وأمرهم بتعبئة الجيوش؛ لئلا يؤخذوا على غِرَّة(١).

وذكر الواقدي: أن عمرو بن العاص ﷺ في فتح قيسارية أنه نزل بموضع، وبلغ الخبر فلسطين بن هرقل، ودعا برجل من المتنصرة، وأمره أن يرى كم عدد الجيش، فدخل معهم وهم جلوس حول نار يستدفئون بها، فلمَّا أراد القيام، عثر في ذيله فقال: باسم الصليب -كلمة أجراها الله على لسانه- فلمَّا سمعوا قوله، علموا أنه متنصر جاسوس للروم، فوثبوا إليه وقتلوه، ووقع الصائح في العسكر، فسمع عمرو ﷺ الضجة، فقال: ما الخبر؟ فقيل: إن قومًا من اليمن وقعوا بجاسوس من الروم، فقتلوه، قال: فغضب عمرو ﷺ، وطلبهم، وقال: ما حملكم على قتل الجاسوس، وهلَّا أتيتموني به لأستخبره، فكَمْ من عين تكون علينا، ثم إنها ترجع فتصير لنا؛ لأن القلوبَ بيد الله يقلبها كيف شاء، ثم إنه نادى في جيشه: مَنْ وقع بغريب أو جاسوس فليأتِ به..

وأرسل فلسطين لما استبطأ الجاسوس بجيش قرابة عشرة آلاف مع بطريق اسمه: بكلاكون، ففرح المسلمون؛ لأن جيشهم خمسة آلاف، وقالوا: يقابل كل واحدٍ منا اثنين منهم، ثم أرسل في إثرهم جيشًا آخر قرابة عشرة آلاف مع بطريق اسمه: دمستق، ودخل الرعب في قلوب أصحابه لكثرتهم، فوعظهم وذكرهم ورغبهم(٢).

وهذا هو القائد المحنك، يحترس من انتشار الخبر عنه، فإنَّ في انتشاره فساد العسكر، وانتقاضة عيونه(٣)، كما أن للقائد رؤية مستقبلية في أمر المعركة ومصيرها، فقد ينتصر بسبب هذا الجاسوس ودخوله في الإسلام، ولذلك لما علم فلسطين بقتله، اشتهر أمره، وأعدَّ العُدَّة؛ ليأخذ بثأره، ولأهمية الجواسيس يتمُّ الحفاظ عليهم في استمالتهم، وأخذ ما وراء عدوهم.

---

(١) انظر: «تاريخ فتوح الشام» للأزدي (١٧٦)، و«الإدارة العسكرية» لسليمان بن صالح (٣٩٩/١).

(٢) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١٤/٢).

(٣) انظر: «الأخبار الطوال» للدينوري (١٩٣/١).

قال عمر ﷺ معاتبًا أصحابه: لو أن الجاسوس الذي قتلتموه لم تعجلوا عليه؛ لأخبرنا بمسير هذا الجيش إلينا، وكثرته، وكنا قد أخذنا حِذْرنا على أنفسنا، واحتطنا، ولكن أمر الله لا يرد[١].

ومن مكائد الجواسيس: أن تسير الطلائع في قرار من الأرض، ويقفوا على الأماكن المرتفعة؛ للكشف عن العدوِّ، ولا يدخلون أرضًا لم يستقصوا خبرها، ويختار لهم القائد مواضع مكامن الأعداء قريبةً من الماء حتى ينالوا منه إن طال مكوثهم حوله، مُرَاعين في ذلك ألَّا يخيفوا سباعًا، ولا طيرًا، ولا وحشًا، وأن يكون مَسيرُهُم دون صوتٍ يفضحهم، وإن نهضوا من مكامنهم يتفرقوا؛ لئلا ينكشف أمرهم، وينفضح خبرهم...[٢].

وفي عهد عثمان ﷺ استنكر محمد بن مسلمة وطلحة بن عبيد الله -رضي الله عنهما- وغيرهما لما سمعوا من الإشاعات التي بثَّها عبد الله بن سبإٍ في الأمصار، فأتوا عثمان ﷺ، فقالوا: يا أمير المؤمنين، أيأتيك عن الناس الذي يأتينا؟ قال: لا والله، ما جاءني إلا السلامة، قالوا: فإنا قد أتانا، وأخبروه بالذي أسقطوا إليهم، قال: فأنتم شركائي وشهود المؤمنين، فأشيروا عليَّ. قالوا: نشير عليك أن تبعث رجالًا ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم[٣]، فقام عثمان ﷺ بإجراءٍ سديدٍ عظيمٍ، وتخير نفرًا من الصحابة ﷺ لا يختلف اثنان في صدقهم وتقواهم وورعهم، ونصحهم، فاختار محمد بن مسلمة، وأسامة بن زيد، وعبد الله بن عمر ﷺ، فأرسل محمد بن مسلمة ﷺ إلى الكوفة، وأسامة ﷺ إلى البصرة، وعمار ﷺ إلى مصر، وابن عمر ﷺ إلى الشام، وكانوا على رأس جماعة، فأرسلهم إلى تلك الأمصار الكبيرة، فمضوا جميعًا، وجاؤوا بالأخبار، وقدموا بين يدي أمير المؤمنين ما شاهدوه وسمعوه، وسألوا الناس عنه[٤].

وفي عهد عليٍّ ﷺ عندما خرج الخريت بن راشد الخارجي وجماعته، وخشي انتشار فساده

---

(١) المصدر نفسه (١٥/٢).

(٢) انظر: «الأخبار الطوال» للدينوري (١٩٢/١، ١٩٣).

(٣) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣٤١/٤).

(٤) المصدر نفسه (ص٣٥٩).

في الأرض، فكتب إلى جميع عمَّاله كتابًا من نسخةٍ واحدةٍ: «أمَّا بعد: فإن رجالًا خرجوا هرابًا، ونظنهم وجهوا نحو بلاد البصرة، فسل عنهم أهل بلادك، واجعل عليهم العيون في كلِّ ناحية من أرضك، واكتب إليَّ بما ينتهي إليك عنهم، والسلام»(١).

وفي معركة صفين دعا زياد بن النضر وشريح بن هانئ، فعقد لكلِّ واحدٍ منهما على ستة آلاف فارس، وقال: «ليسِرْ كلُّ واحدٍ منكما منفردًا عن صاحبه، فإن جمعتكما حرب، فأنت يا زياد الأمير، واعلما أن مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة طلائعهم...»(٢). ونستفيد في هذا العصر الراهن يقوم القائد باختيار مَن يرى فيه مصلحة وثقة وأمانة في نقل الأخبار فيما يخدم الجيش من وضع العيون أو الجواسيس لكشف مخططات كلّ عدوّ أو مفسد يريد الضرر والوقوف ضد الإسلام، وهذا له أجر عظيم، وعلى ثغر من ثغور الجهاد؛ لإنه بفعله يحمي بيضة الإسلام من أن تُكسَر.



(١) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٥/١١٦).

(٢) انظر: «الأخبار الطوال» للدينوري (ص١٦٦).

١١- مظاهر الرحمة في تحريضهم[١] وتعبئتهم الإيمانية

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾[٢].

قال ابن كثير في «تفسيره»: «وهنا يحرِّض تعالى نبيَّه -صلوات الله وسلامه عليه- والمؤمنين على القتال، ومناجزة الأعداء، ومبارزة الأقران، ويخبرهم أنه حسبهم، أي: كافيهم وناصرهم ومؤيدهم على عدوهم، وإن كثرت أعدادهم، وترادفت أمدادهم، ولو قلَّ عدد المؤمنين»[٣].

فَهَذا الخطاب لرسول الله ﷺ، ولكلِّ مَنْ قام مقامه، والتحريض بالتنفيل، فإن الشجعان قلَّ ما يخاطرون بأنفسهم إذا لم يخصوا بشيءٍ من المصاب، فإذا خصهم الإمام بذلك، فذلك يغريهم على المخاطرة بأرواحهم، وإيقاع أنفسهم في حلبة العدو، وصورة هذا التنفيل أن يقول: «مَنْ قتل قتيلًا فله سَلَبه، ومن أخذ أسيرًا فهو له»[٤].

وكان ﷺ يعمل بهذه الآية الكريمة، فكان في غزوة بدر يحرض أصحابه على القتال حين أقبلت قريش بعَدَدِها وعُدَدِها فقال: «**قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض**»[٥]، وفي غزوة الخندق لما رأى أصحابه فيهم من التعب والجوع حرضهم ﷺ فقال: «**اللَّهمَّ إن العيش عيش الآخره، فاغفر للأنصار والمهاجره**».

نحـــن الـــذين بـــايعوا محمـــدًا على الجهـــاد مـــا بقينـــا أبـــدًا[٦]

---

(١) «**حرض**»، هو من التحريض، وهو التحضيض، وهو الحث. انظر: «العين» للفراهيدي (١٠٣/٣)، «تهذيب اللغة» للهروي (١٢٠/٤).

(٢) سورة الأنفال: آية (٦٥).

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» لابن كثير (٨٦/٤).

(٤) انظر: «شرح السير الكبير» للسرخسي (ص٥٩٤).

(٥) انظر: «صحيح مسلم»، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد (١٥١٠/٣ح١٩٠١).

(٦) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على القتال (٢٥/٤ ح٢٨٣٤).

قال ابن بطال: «قال المهلب: فيه دليل أن الحفر فى سبيل الله، والتحصين للديار ولسد العورة منها أجر كأجر القتال، والنفقة فيه محسوبة في نفقات المجاهدين إلى تسعمائة ضعف. وفيه استعمال الرَّجَز والشعر إذا كان فيه إقامة النفوس في الحرب، وإثارة الأنفة والعزة. وفيه المجاوبة بالشعر على الشعر، وليس هذا الشعر من قول النبي ﷺ، هو من قول عبد الله بن رواحة ﷺ»(١).

واقتدى الخلفاء الراشدون ﷺ في هذا المنهج القويم، فكان الصِّدِّيق ﷺ يحرض أصحاب الألوية على الجهاد، ويوصيهم بالصبر عند الوهن أو الكسل، ويذكرهم بما كانوا يفعلونه مع النبي ﷺ، كما فعل مع الصحابي عمرو بن العاص ﷺ(٢)، وقال للصحابي يزيد بن أبي سفيان ﷺ: إنه لا أفلح قوم ظلموا ولا نصروا على عدوهم: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ۝١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝١٦﴾(٣)، وإذا نصرتم على عدوكم، فلا تقتلوا ولدًا ولا شيخًا(٤)، وكان يقول موصيًا ومشجعًا خالد بن الوليد ﷺ: "احرص على الموت تُوهَبْ لك الحياة"(٥).

وعمل قادتُه من بعده، فكان يزيد بن أبي سفيان ﷺ يعظ أصحابه، ويعدهم بالنصر والظفر، ويقول لهم: ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٢٤٩﴾(٦)(٧)، وكان الصحابي عمرو بن العاص ﷺ حينما توجه إلى فلسطين، وجاءه

---

(١) انظر: «شرح صحيح البخارى» لابن بطال (٥/٤٦).

(٢) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١/١٤).

(٣) سورة الأنفال: آية (١٦).

(٤) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١/٨).

(٥) انظر: «الفروسية» (ص٤٩٣)، محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، ق: مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان. الناشر: دار الأندلس – السعودية – حائل، ط: الأولى، ١٤١٤هـ.

(٦) سورة البقرة: آية (٢٤٩).

(٧) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١/٩).

عدي بن عامر، وقد عرف عن أرض الشام ومسالكها ما لم يعرفه أصحابه، فقال: ما وراءك يا عمرو؟ فقال: ورائي المتنصرة كالنمل... عن مائة ألف فارس، وهذا ما عندي من الخبر، قال: فلما سمع عمرو ﷺ ذلك، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم أقبل على مَنْ حضر من كبار المسلمين، وقال: أيها الناس، أنا وإياكم في هذا الأمر بالسواء، فاستعينوا بالله على الأعداء، وقاتلوا عن دينكم وشرعكم، فمن قُتِلَ كان شهيدًا، ومَنْ عاش كان سعيدًا[١].

وهذا أسلوب التشجيع والندب في القتال، وخاصَّةً من القائد الأعلى يبعث في نفوس الجند روح الشجاعة والإقدام، فهم يعلمون أنهم كلهم سواء في هدفهم الوحيد، وهو الجهاد في سبيل الله، كما يجوز للقائد إذا حثَّهم على الجهاد أن يحرضهم على الشهادة في سبيله من الراغبين فيها، فمَنْ يعلم أن مثله في المعركة يؤثر أحد أمرين: إما تحريض المسلمين على الشهادة، وإما تخذيل المشركين[٢]، ففي معركة أجنادين حرض الصحابي خالد بن الوليد ﷺ المجاهدين، فَجَعل يطوف بينهم بفرسه، وينادي برفيع صوته: يا معاشر المسلمين، انصروا الله ينصركم، وقاتلوا في سبيل الله، واحتسبوا نفوسكم في سبيل الله.. ﴿ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠﴾[٣].

وذكر ابن خلدون في «مقدمته» عن عمر ﷺ لما بويع، وقام يحرِّض النَّاس على العراق، فقال: إنَّ الحجاز ليس لكم بدار.. أين القرَّاء المهاجرون عن موعد الله، سيروا في الأرض الَّتي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها[٤]، وكان يهتف بأهل مكَّة فيقول: يا أهل مكَّة، يا أهل البلدة، ألا التمسوا الأضعاف المضاعفة في الجنود المجندة، والجيوش السائرة، ألا وإن لكم العشر ولهم الأضعاف المضاعفة، وهذه خطبة الاستنفار لتحريض الناس على الجهاد[٥].

---

(١) المصدر نفسه (١/١٦).

(٢) انظر: «الأحكام السلطانية» للماوردي (ص٧٦).

(٣) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١/٥٢).

(٤) انظر: «تاريخ ابن خلدون» (١/١٨١).

(٥) انظر: «شرح السير الكبير» للسرخسي (ص١٢).

وكتب إلى الصحابي أبي عبيدة الجراح ﷺ كتابًا، وفيه: وآمرك بتقوى الله ﷻ سرًّا وعلانيةً، وأحذركم عن معصية الله ﷻ، وأحذركم وأنهاكم أن تكونوا ممن قال الله في حقِّهم: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾(١)، وصلى الله على خاتم النبيين، وإمام المرسلين، والحمد لله رب العالمين.. فلمَّا وصل الكتاب إلى أبي عبيدة ﷺ، قرأه على المسلمين، فعلموا أن أمير المؤمنين عمر ﷺ يحرضهم على القتال(٢).

وحرَّض الصحابي عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ المجاهدين في معركة رأس العين(٣)، وقال: إن هذا اليوم له من الأجر ما لا يعدُّ، فاتقوا الله عباد الله، واثبتوا في هذه المواطن، كما ثبتم في المواطن الكبار، وإيَّاكم والفشل فتذهب ريحكم، وقوِّموا شريعة نبيِّكم واعلموا: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٧١﴾(٤)(٥).

وفي عهد عثمان ﷺ لما كفر أهل إيذج(٦) والأكراد، فنادى أبو موسى الأشعري ﷺ في الجند، وحضَّهم وندبهم للجهاد، وبيَّن لهم فضله، وما لهم من الأجر والثواب في محاربتهم رجله(٧).

وكان عليُّ ابن أبي طالب ﷺ: "يحرض الجيش على القتال في يوم صفين ويوم الجمل، ويوم النهر، يقول: عباد الله، اتقوا الله، وغضوا الأبصار، وأخفضوا الأصوات، وأقلوا الكلام، ووطنوا أنفسكم على المنازلة والمجاولة والمبارزة.. فاثبتوا واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون، ولا

(١) سورة التوبة: آية (٢٤).

(٢) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١/١٠٦).

(٣) هي مدينة نزهة، وبها عيون ماء، يقال لها: الخابور، تصب في نهر الفرات. «حدود العالم من المشرق إلى المغرب» (ص١٦٢)، المؤلف: مجهول (توفي: بعد ٣٧٢هـ)، محقق ومترجم الكتاب (عن الفارسية): السيد يوسف الهادي، الناشر: الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة: ١٤٢٣هـ.

(٤) سورة التوبة: آية (١٢٠).

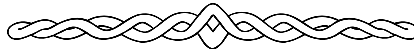
(٥) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٢/١٢٧).

(٦) ذال معجمة مفتوحة، وجيم: كورة وبلد بين خوزستان وأصبهان، وهي أجل مدن هذه الكورة. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (١/٢٨٨).

(٧) انظر: «الإدارة العسكرية» لسليمان بن صالح (١/٢٤٤).

تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، واصبروا إن الله مع الصابرين، اللهم ألهمهم الصبر، وأنزل عليهم النصر، وأعظم لهم الأجر"(١). وقال ﷺ في يوم صفين: " إن الله ﷻ قد دلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تشفى بكم على الخير.. والجهاد في سبيل الله.. ثم أخبركم أنه يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًّا..."(٢).

ومن خلال ما سبق مِن نَدْب الخلفاء الراشدين ﷺ للقادة، وحثّهم على الجهاد في سبيل إعلاء كلمة: «لا إله إلا الله»، وحثهم على الاستشهاد في سبيله ودخول الجنة، وهي من أعظم الرحمات التي يرحم الله بها المؤمن عند دخولها كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٣)، قال الطبري: «فهم في رحمة الله، يعني: في جنَّته ونعيمها»(٤). وضرورة التهيئة النفسية، وتقوية الجانب الروحي في الإنسان، لينشأ المسلم شجاعًا قويًّا، لا يخاف إلا من الله تعالى... وإن الخور والضعف أمام العدو يولِّد الهزيمة، ويورث الوطن والأُمَّة الذُّل والهوان، ولذلك كان واجبًا تربية الأُمَّة على التحمُّل والصبر، والقيام ببعض ما يكرهون في إطار متطلبات الأُمَّة، ونظامها"(٥).



(١) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (١١/٥).

(٢) المصدر نفسه (١٦/٥).

(٣) سورة آل عمران: آية (١٠٧).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» للطبري (٩٦/٧).

(٥) «السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني» لأحمد غلوش (ص٦٤٦).

١٢- مظاهر الرحمة في استشارة أهل الرأي منهم

أن يشاور ذوي الرأي فيما أعضل، ويرجع إلى أهل الحزم فيما أشكل؛ ليأمن الخطأ، ويسلم من الزلل، فيكون من الظفر أقرب؛ قال الله تعالى لنبيِّه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾[١][٢]، من هذا المنطلق كان ﷺ يشاور أصحابه في المعارك، ويستجلب رأيهم، ويأخذ به؛ سواء قبل الإعداد العسكري أو بعده أو في أثنائه، فكان ﷺ مستحضرًا الشورى دائمًا بين يديه[٣]، فقد ذكر ابن هشام أن الرسول ﷺ لما أراد قريشًا في معركة بدر، استشار أصحابه، فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، امضِ لما أراك الله فنحن معك...[٤].

وهاهم خلفاؤه من بعده يقتفون أثره، ويعملون بإدارة عسكرية، فقد كان الصِّدِّيق رضي الله عنه يدعو رؤوس المسلمين وعلماؤهم فيستشيرهم، فإذا اجتمع رأيهم على الأمر قضى به، وذلك إذا لم يجد في الكتاب والسُّنة ما يقضي به، وأحيانًا يخرج إلى المسجد فيسأل المسلمين عامَّة إن كانوا يعرفون ورود السنة في قضية ما"[٥]، وكان يوصي الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضي الله عنه حينما أراد توجيهه لفلسطين، وسلم إليه الراية، وقال: قد وليتك على هذا الجيش يعني أهل

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٥٩).

(٢) هناك خلاف ذَكَره الماوردي، وهو كيف يأمر الله عز وجل نبيه بالمشاورة مع توفيقه له وتأييده؟

١- أنه أمره بمشاورتهم في الحرب؛ ليستقر له الرأي الصحيح فيه؛ فيعمل عليه، وهذا قول الحسن.

٢- أنه أمره بمشاورتهم؛ تأليفًا لهم، وتطييبًا لنفوسهم، وهذا قول قتادة.

٣- أنه أمره بمشاورتهم؛ لما علم فيها من الفضل، وعاد بها من النفع، وهذا قول الضحاك.

٤- أنه أمره بمشاورتهم؛ ليستنَّ به المسلمون، ويتبعه فيها المؤمنون، وإن كان عن مشورتهم غنيًّا، وهذا قول سفيان. قلت: الإعمال بجميع الأقوال إذا أمكن أولى من إهمال أحدها، والراجح -والله أعلم- أنه أمره باستشارتهم لجميع ما ذُكِرَ.

(٣) انظر: «الإدارة العسكرية» لسليمان بن صالح (٢٦٣/١).

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٦١٥/١).

(٥) انظر: «عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين» لأكرم العمري (ص: ١٠٠).

مكَّة والطائف وهوازن وبني كلاب، فانصرف إلى أرض فلسطين، وكاتب أبا عبيدة ﷺ، وأنجده إذا أرادك، ولا تقطع أمرًا إلا بمشورته، امضِ بارك الله فيك(١).

وقال ليزيد بن أبي سفيان ﷺ: إن ربيعة بن عامر من ذوي العلى والفخر، قد علمت صولته، وقد ضممته إليك، وأمَّرتك عليه، فاجعله في مقدمتك، وشاوره في أمرك، ولا تخالفه، فقال يزيد ﷺ: حبًّا وكرامةً(٢)، وقال له: في قيادته العسكرية، وإذا شاورت، فاصْدُقِ الخبر تصدقْك المشورة، ولا تكتم المستشار فتؤتى من قِبَلِ نفسك(٣)، وسار معه يمشي حتى إذا أراد موادعته، أوصاه بها مكررًا إيَّاها قائلًا: إذا سرتَ فلا تضيق على نفسك، ولا على أصحابك في مسيرك، ولا تغضب على قومك، ولا على أصحابك، وشاورهم في الأمر، واستعمل العدل، وباعد عنك الظلم والجور(٤).

وفعل قادته من بعده، فكان خالد بن الوليد ﷺ لما فرغ من حرب بني أسد وغطفان وفزارة، وأمكنه الله منهم، يقول لمن معه من المسلمين: إنكم تعلمون أنَّ خليفة رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم– قد كان أمرني بالبطاح من أرض بني تميم إلى مالك بن نويرة وأصحابه، وأنا سائر، فما الذي عندكم من الرأي(٥).

ومن المشورة ما قاله الصحابي أبو عبيدة الجراح ﷺ للصحابي عمرو بن العاص ﷺ: «يا عمرو، لرُبَّ يوم لك قد شهدته فبُورِكَ فيه للمسلمين برأيك ومحضرك، وإني رجل منكم، وإن كنت الوالي عليكم، ولست بقاطع أمرًا دونكم، فأحضرني رأيك في كلِّ يوم بما ترى، فإنه ليس بي عنك غنى»(٦). وفي حمص لما: "قرأ الأمير أبو عبيدة ﷺ كتاب هربيس صاحب حمص استشار المسلمين

---

(١) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١٣/١).

(٢) المصدر نفسه (٨/١).

(٣) انظر: «سراج الملوك» للطرطوشي (ص٧٩)، «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٢٥٠/٢) بلفظة: «واصدق الحديث».

(٤) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٨/١).

(٥) انظر: كتاب «الردة» للواقدي (ص١٠٣).

(٦) انظر: «الإدارة العسكرية» لسليمان بن صالح (٢٧٢/١).

فيما يصنع، وكان قد حضر عنده رجل كبير من أكابر خثعم وسيد من ساداتهم اسمه عطاء بن عمرو الخثعمي[١]، وكان كبير السن قديم الهجرة سديد الرأي قد قاد الرجال، وولي أمر الجيش، وحزم العساكر فلما سمع كتاب هربيس وثب قائمًا على قدميه، وقال للأمير أبي عبيدة ﷺ: أقسمت عليك أيها الأمير برسول الله ﷺ إلا ما سمعت مقالي؛ فإن فيه صلاحًا للمسلمين، فالله وفقني لمقالة أريد المسلمين بها، قال أبو عبيدة ﷺ: قل: يا أبا عمرو فأنت عندنا ناصح للمسلمين، قال: فدنا من الأمير أبي عبيدة ﷺ وساره وقال له: اصلح الله الأمير، اعلم أن خبرك عند هؤلاء منذ نزلت على هؤلاء اللئام، وهذا البطريق أشدّ منعة وأعظم جولة ممن كان قبله، وقد علم بفتوح بعلبك، وإنك لا بدَّ أن تنزل على حصارها، وقد استدعى بالطعام والعلوفة وآلة الحصار، وقد شحنا بالرجال وما ترك في رساتيقها وقراها طعامًا إلا وقد خزنوه عندهم ما يكفيهم أعوامًا، وإن نحن حاصرناهم يطول الأمر كما طال أمرنا على دمشق، والرأي عندي أن تخدعهم بخديعة وتحتال عليهم بحيلة؛ فإن تمت لنا عليهم الحيلة فتحنا المدينة عن قريب إن شاء الله تعالى، قال أبو عبيدة ﷺ: وما الحيلة عندك يا ابن عمرو، فقال: الرأي عندي أن نكتب إلى هولاء القوم أن يجبرونا بالزاد والعلوفة ونضمن لهم أن نرتحل عنهم إلى أن يفتح الله تعالى عليك غير مدينتهم، ونرجع إليهم وقد قلّ زادهم وانتشروا في سوادهم وتفرقوا في أمصارهم وتجاراتهم ونشنُّ عليهم غارة؛ فنملك ما ظهر منهم، ويهون عليك أمر من بقي في حمص مع قلة الزاد والعلوفة، فقال أبو عبيدة: أصبت بالرأي يا ابن عمرو، إني سوف أفعل ما ذكرته ونرجوا من الله التوفيق والعون"[٢].

وكان الفاروق ﷺ لما مصر البلدان، يسأل مَنْ مرَّ به من الجند مستشيرًا إيَّاه: الشام أحب إليك أم العراق؟ فيقول: الشام أحب إليَّ...[٣]، وفي فتح نهاوند عقد النعمان مجلسًا عسكريًّا مع أركان حربه للتشاور[٤]، وقال: «إنه لا خير في أمرٍ أُبْرِم عن غير شورى من أموري»[٥].

---

(١) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١/ ١٣٥).

(٢) المصدر نفسه (١٣٦/١).

(٣) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٤٨٥/٦).

(٤) انظر: «تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية» لمحمد طقوش (ص٢٢١).

(٥) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٢٦٠/٤).

وكان يحدد من صاحب الرأي من الجند، فكتب إلى النعمان بن مقرن ﷺ: «أنِ استعنْ في حربك بعمرو بن معد يكرب ﷺ، وطليحة الأزدي، ولا توهما من الأمر شيئًا؛ فإن كل صانع أعلم بصناعته»(١)، وهذا في جانب مَنْ يقدم وهو الأصلح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "كذلك كان ﷺ يستعمل الرجل لمصلحة راجحة، مع أنه قد يكون مع الأمير مَنْ هو أفضل منه في العلم والإيمان".

وهكذا أبو بكر ﷺ خليفة رسول الله ﷺ، ما زال يستعمل خالدًا ﷺ في حرب أهل الرِّدة، وفي فتوح العراق والشام، وبدت منه هفوات كان له فيها تأويل، وقَدْ ذكر له عنه أنه كان له فيها هوًى، فلم يعزله من أجلها؛ بل عاتبه عليها لرجحان المصلحة على المفسدة في بقائه، وأن غيره لم يكن يقوم مقامه؛ لأن المتولي الكبير، إذا كان خُلُقه يميل إلى اللين، فينبغي أن يكون خُلُق نائبه يميل إلى الشدَّة؛ وإذا كان خُلُقه يميل إلى الشِّدَّة، فينبغي أن يكون خُلُق نائبه يميل إلى اللين؛ ليعتدل الأمر(٢).

وقام عمر ﷺ لما أراد أن يختار الصحابي سعد بن أبي وقاص ﷺ للعراق، فخطب بالمسلمين وقال لهم في خطبته: يحقُّ على المسلمين أن يكونوا أمرهم شورى بينهم، وبين ذوي الرأي منهم، فالناس تبعٌ لمن قام بهذا الأمر، ما اجتمعوا عليه، ورضوا به، لزم الناس، وكانوا فيه تبعًا لهم، ومَنْ أقام بهذا الأمر، تبع لأولي رأيهم ما رأوا لهم، ورضوا به لهم من مكيدة(٣) في حرب كانوا فيه تبعًا لهم، يا أيها الناس، إنما كنت كرجلٍ منكم حتى صرفني ذوو الرأي منكم عن الخروج، فقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلًا(٤).

وكتب له: وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض مَنْ تطمئن إلى نُصْحه وصِدْقه، فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدق في بعضه، والغاشَّ عين عليك وليس عينًا لك، وليكن

---

(١) انظر: «العقد الفريد» لابن عبد ربه (١/١٠٩).

(٢) انظر: «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية» لابن تيمية (ص١٦).

(٣) هو الاحتيال والاجتهاد، وبه سميت الحرب كيدًا. انظر: «لسان العرب» لابن منظور (٣/٣٨٣).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣/٤٨١).

منك عند دُنوِّك من أرض العدوِّ أن تكثر الطلائع، وتبثَّ السَّرايا بينك وبينهم(١).

ولما بعث بعتبة بن غزوان، قال له: إنِّي قد استعملتك على أرض الهند، وهي حومة من حومات العدوِّ، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها، ويعينك عليها، وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمي أن يمدَّك بعرفجة بن هرثمة، وهو ذو مجاهدة ومكايدة للعدو، فإذا قدم عليك فاستشره وادْعُ إلى الله(٢).

وجاء بعده عثمان ﷺ، فكان يجمع كبار أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار ﷺ، وهم أعضاء مجلس الشورى عنده(٣)، وقد كتب للعمال والقادة قائلًا لهم: «أمَّا بعد: فقوموا على ما فارقتم عليه عمر ﷺ، ولا تبدلوا، ومهما أشكل عليكم، فردوه إلينا، نجمع عليه الأُمَّة، ثم نرده»(٤).

وكان قادة الخليفة عثمان ﷺ في إدارتهم للمعارك الحربية يتشاورون فيما بينهم حيث كتب عبد الله بن سعد بن أبي سرح ﷺ يستأذن عثمان ﷺ في الغزو إلى إفريقية، فأذن له؛ وذلك لقرب جزر الروم من المسلمين(٥).

وعندما انتقلت الخلافة إلى عليِّ ابن أبي طالب، كانت الاستشارةُ في عهدِهِ واضحةً، فحينما وصل كتاب من الصحابي معقل بن قيس الرياحي(٦) ﷺ المكلف بمهمة ملاحقة الخريت بن راشد الخارجي، جمع أصحابه وقرأه عليهم، واستشارهم في الرأي، فاجتمع رأي عامَّتهم على قول واحد، فقالوا له: نرى أن تكتب إلى معقل بن قيس، فيتبع أثر الفاسق، فلا يزال في طلبه حتى يقتله أو ينفيه، فإنا لا نأمن أن يفسد عليك الناس...(٧).

---

(١) انظر: «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري (١٦٩/٦).

(٢) المصدر نفسه (٢٣٤/١٩).

(٣) انظر: «الإدارة العسكرية» لسليمان بن صالح (٢٧٧/٢).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٢٦١/٤).

(٥) انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي (٤/ ٣٤٣).

(٦) **هو معقل بن قيس الرياحي**، من بني يربوع: قائد، من الشجعان الأجواد. أدرك عصر النبوة. وأوفده عمار بن ياسر على عمر، بشيرًا بفتح تستر، ووجهه على بني ناجية حين ارتدوا مات سنة٤٣هـ. انظر: «الأعلام» للزركلي (٧/ ٢٧١)، «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٩/ ٣٦٧). «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٦/ ٢٤١).

(٧) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (١٢٤/٥).

ومما أوصى به عليٌّ رضي الله عنه مالك بن الحارث الأشتر(١) حين بعثه إلى مصر في الشورى قوله: «لا تدخلن في مشورتك بخيلًا فيعدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر، ولا جبانًا فيضعفك عن الأمور..»(٢).

مما سبق يتضح لنا دور الشورى في حياة الراشدين، وكيف كانت نتائج الفتوحات بعد توفيق الله لهم وبسببها.

لقد تعلَّم المجاهدون (ومن هم الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم) وغيرهم من تطبيقات الجهاد مع رسول الله ﷺ النظم العسكرية التي بها يتحقق النصر، من حسن التخطيط، وسَعَة المشاورة، ومعرفة أسرار العدو، ومقابلة الخصم بما يكافئه، مع التوكل على الله، والاستعانة به سبحانه وتعالى، وتعلم المسلمون من الجهاد شروط مهادنة الأعداء، وطرق التعامل معهم قبل القتال، وأثناءه، وبعده وأساسها العزة، والتزام الحق، والقيام بالواجب(٣).





(١) **هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي،** المعروف بالأشتر: أمير، من كبار الشجعان. كان رئيس قومه. أدرك الجاهلية. وأول ما عرف عنه أنه حضر خطبة "عمر" في الجابية. وسكن الكوفة. وكان له نسل فيها. وشهد اليرموك وذهبت عينه فيها. انظر: «تاريخ أصبهان» (٢/ ٢٩١) أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، ق: سيد كسروي حسن الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٠هـ، «الأعلام» للزركلي (٥/ ٢٥٩).

(٢) انظر: «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري (٢١/٦).

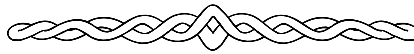
(٣) انظر: «السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني» لأحمد غلوش (ص٦٤٦).

الفصل الثاني
مظاهر الرحمة أثناء القتال

وفيه مبحثان:

١- مظاهر الرحمة مع المجاهدين أثناء القتال.

٢- مظاهر الرحمة مع الأعداء أثناء القتال.



المبحث الأول
مظاهر الرحمة مع المجاهدين أثناء القتال

لم تقتصر رحمة القادة الخلفاء فيمَنْ هم تحت أيديهم قبل بداية المعركة فقط؟ بل استمرت وتجلَّت حتى في أثناء المعركة، فكانوا ﷺ يراعون أحوال المجاهدين ويأخذون بمشورتهم، وكانوا يوصون قادتهم بعدم الخيانة والغلول والغدر وقطع الأشجار والتمثيل وقتل النساء والأطفال والشيوخ والرهبان وغيرها من الوصايا التي طبَّقها وعمل بها قاداتهم من بعدهم.

وهنا في هذا الفصل نذكر مظاهر الرحمة أثناء الجهاد، وقبل أن تضع الحرب أوزارها، وتحته ستة مطالب:

المطلب الأول: أداء الأمانة وعدم الخيانة.

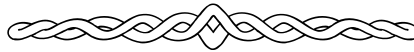
المطلب الثاني: عدم الغلول.

المطلب الثالث: النصح والتحفيز.

المطلب الرابع: كثرة ذكر الله، وقراءة القرآن الكريم.

المطلب الخامس: اللجوء إلى الله بالدعاء.

المطلب السادس: إقامة صلاة الخوف.



المطلب الأول
أداء الأمانة وعدم الخيانة[١]

النهي عن الخيانة؛ لأن الخيانة ليست صفةً للجندي المسلم الحق الذي يجبُ أن يتحلى بها، ولا يتخلى عنها، ويتخلق ولا يتحذلق[٢]، والخيانة في الحرب ضد الأمانة؛ ولذلك لا يحبها الله ﷻ كما أوصى نبيَّه بقوله: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾[٣].

قال البغوي: «﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ﴾، أي: تعلمن يا محمد، ﴿مِن قَوْمٍ﴾، معاهدين، ﴿خيانة﴾، نقض عهد بما يظهر لكم من آثار الغدر كما ظهر من قريظة والنضير، ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ﴾، فاطرح لهم عهدهم، ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾، يقول: أعلمهم قبل حربك إيَّاهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض العهد سواء، فلا يتوهموا أنك نقضت العهد بنصب الحرب معهم، إن الله لا يحب الخائنين»[٤]، حتى ولو في حقِّ الكافرين، لا يحبها أيضًا، فإنه لا ينبغي خيانتهم[٥].

والخيانة في كلِّ شيء؛ سواء في العمل، كأخذ مال الكافر بحجة استحلاله قبل المعركة، فهذا من الخيانة، وكذلك بالقول كإفشاء سرِّ القائد للكفار أو لبعض مَن لا يعرف عنه حفظ الأسرار، وقد تكون الخيانة للجيش بأكمله من إبداء رأي عقيم يودي بهلاكهم وهزيمتهم، وهذا يوهن قوة الجيش، ويفرق بينهم، ويسلط الأعداء عليهم، فإن المسلم إذا دخل دار الحرب

---

(١) «**خان العهد**»: نقضه وأفسده بعد إحكامه. انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» لأحمد مختار (٧٠٩/١).

(٢) «**تحذلق الرجل**»: إذا ادَّعى أكثر مما عنده من الحذق. انظر: «شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم» للحميري (١٣٨٢/٣).

(٣) سورة الأنفال: آية (٥٨).

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٣٠٢/٢)، الحسين بن مسعود البغوي، ق/ عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ.

(٥) انظر: «تفسير ابن كثير» لابن كثير (٧٩/٤).

بأمانٍ، فلا بأس أن يأخذ منهم أموالهم بشرط طيب أنفسهم؛ لأن أموالهم لا تصير معصومةً بدخوله إليهم بأمانٍ، ولكنه ضمن بعقد الأمان ألَّا يخونهم، فعليه التحرز عن الخيانة[١]، فكان من رحمة القائد بجيشه أن يوصيهم بعدم الخيانة التي تكسر شوكتهم وقوتهم، وقد تَسْري بينهم فتفرق جمعهم، وتشتت كلمتهم وصفهم.

ولقد كان الرسول العظيم ﷺ يوصي قادته عندما يريد أن يؤمِّر أميرًا على جيش، أو سرية، بتقوى الله، ومَنْ معه من المسلمين خيرًا، ثم يقول له: «اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا مَنْ كفر بالله، اغزوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا...»[٢].

وكان من كتاباته لملوك اليمن: «لا تخونوا، ولا تخاذلوا، فإنَّ رسول الله هو مولى غنيِّكم وفقيركم»[٣]، وكانوا يقولون: الغالب بالغدر مغلول، والناكث للعهد ممقوت مخذول. وقالوا: من علامات النفاق: نقض العهد والميثاق... وقالوا: لا عذر في الغدر.

والعذر يصلح في كلِّ المواطن، ولا عذر لغادر، ولا خائن[٤]؛ لأن من الأمانة العظيمة أثناء القتال عدم الغدر، ونقض العهد ولو من مجاهدٍ واحدٍ، وكذلك اتباع وصايا القادة من عدم قتل النساء والأطفال والشيوخ، وقطع النخل والأشجار.

ومن هذا المنهج القويم سار خلفاؤه من بعده في غرسها في نفوسهم قبل قادتهم، وسيأتي بعد سطور ذكر شيءٍ مما طبَّقه قادة الخلفاء؛ سواء مع المجاهدين أو الأعداء، ففي بداية عهد الصِّدِّيق رضي الله عنه خطب في الناس قائلًا بعد توليته الخلافة: «أيُّها الناس، إني حملت أمانةً عظيمةً، وإني راعٍ، وكل راعٍ مسؤول عن رعيته، وقد جئت لإصلاحكم والنظر في معايشكم، وما يقربكم إلى ربكم أنتم ومَنْ حضر في هذا البلد...»[٥].

---

(١) انظر: «شرح السير الكبير» للسرخسي (ص١٤١٠).

(٢) انظر: «صحيح مسلم»، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء والبعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها (١٣٥٧/٣ ح١٧٣١).

(٣) انظر: «مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة» للحيدر آبادي (ص٢٢٢).

(٤) انظر: «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري (٣٦٤/٣).

(٥) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٨٧/١).

فكان بداية خلافته بالأمانة العظيمة على عاتقه، وكان يوصي جيشه بعدَّة وصايا، ومما أوصاه لجيش الصحابي أسامة بن زيد ﷺ: «قفوا أوصِكُم بعشرٍ فاحفظوها عني... لا تخونوا، ولا تغلوا[(١)]»[(٢)].

وبعث الصحابي خالد بن الوليد ﷺ إلى الصِّديق ﷺ يوم أليس بالبشارة والفتح، والخمس من الأموال والسبي مع رجلٍ يقال له: جندل من بني عجل، وكان دليلًا صارمًا، فبلَّغ الصديق ﷺ الرسالة، وأدَّى الأمانة، وأثنى عليه[(٣)]، وهنا لم يختره القائد إلا لأجل أمانته وصدقه؛ لأن بصدقه ترتاح النفوس، وبأمانته تكتب المواثيق لما جُبلَت عليه النفوس من الشحِّ في الأموال.

وفي عهد الفاروق كتب عمر بن الخطاب ﷺ للصحابي أبي عبيدة عامر بن الجراح ﷺ كتابًا قال فيه: «... وقد قال فيك رسول الله ﷺ: «**أبو عبيدة أمين هذه الأمة**»، فأعطِ الأمانة حقَّها[(٤)]، وكأنه يلمح له بأحقيتها، وحفظًا لما أوصاهم به رسول ﷺ، وهذا دليل على عظمها وأهميتها.

ولما قدم بسيف كسرى ومنطقته على عمر بن الخطاب ﷺ، قال: «إن أقوامًا أدوا هذا لذوو أمانة»، فقال عليٌّ ﷺ: "إنك عففت فعفت الرعية"[(٥)].

وفي عهد عثمان ﷺ حينما بعث عليًّا ﷺ ليكلِّم الخوارج، فاصطلحوا على خمس خصال، وكان من ضمن ما اتفقوا عليه: استعمال ذي الأمانة والقوة[(٦)]؛ لأن بأمانته حفظًا للعهود، فلا غدر، ولا خيانة، وبقوته هيبة للأعداء في السنان، وقوة في اللسان والبيان.

ولننظرْ إلى قصة عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي ﷺ حينما فتح المسلمون بلاد الصين، وكان

---

(١) «**الغلول**»: هو أن يخفى الشيء، فلا يرد إلى القسم، كأن صاحبه قد غله بين ثيابه، والغلول في المغنم أصله أن الرجل كان إذا اختار من المغنم شيئًا غله، أي: أدخله في أضعاف متاعه وستره، فسمي الخائن غالًّا. انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٣٧٦/٤)، و«غريب الحديث» لابن قتيبة (٢٢٧/١).

(٢) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٢٢٦/٣).

(٣) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (٥٢١/٩).

(٤) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٣٣/٢).

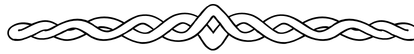
(٥) انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي (٢٠٩/٤).

(٦) انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي (٤٤٣/٣).

قد أرسل ملكهم مع رسوله قبل أن يعلم بفتح بلاده بهديةٍ عبارة عن ياقوتة ثمينة، فلمَّا أقبل الرسول، وجد ملكهم جالسًا في مجلس عبد الرحمن الباهلي ﷺ، فأخذ الملك من رسوله الياقوتة، وأعطاها عبد الرحمن ﷺ، فرفض رفضًا شديدًا مما جعل الملك يقول: وايم الله، لأنتم أحب إليَّ حكامًا من آل كسرى، فلو كنت في سلطانهم ثم بلغهم خبرها لانتزعوها مني، وايم الله، لا يقوم لكم شيء ما وفيتم ووَفَّى ملككم الأكبر(١).

لقد تعجَّب الملك من هذا الصحابي الجليل، وكيف حافظ على هذه الأمانة، وليس حوله أحد يراقبه أو يبصر به من طرف خفي، حيثُ كان هو في مجلس الملك، وعندما أعطاه الياقوته ردَّها فورًا؛ لأن الإيمان حينما يخالط بشاشة القلب تترجمه الجوارح ويظهر عليها، وحينما نلقي نظرة لقيمة هذه الياقوته فهي أغلى وأعلى ثمنًا من المدينة (الباب) التي كانت تحت سلطة الملك الذي عاش على الخيانة مع قومه، وعندما شاهد هذا الموقف عرف أن الصحابة ﷺ لا تهمّهم الدنيا بقدر ما يهمّهم دخول أهلها في الإسلام، وكان من حقِّ ملك المدينة (الباب) وما حولها أن يعجب أشد العجب، ويدهش أشد الدهشة بأمانة القائد المسلم ووفائه؛ لأنه رأى أمانة المسلمين المثالية، ووفاءهم المطلق ﷺ، وبهما فتح الله عليهم مِن نصره.

وفي عهد الصحابي عليّ ابن أبي طالب ﷺكتب إلى الأشعث بن قيس ﷺ: «وإن عملك ليس لك بطعمة، ولكنه في عنقك أمانة، وأنت مسترعًى لمن فوقك»(٢)، وهنا اعتبر أمير المؤمنين في هذا النص أمانة يجب على المسؤول أن يرد هذه الأمانة كما هي، وأن يحافظ عليها، وأنه مسئول أمام الله على أدائها(٣)، وكان ﷺ لا يخصص بالولايات إلا أهل الديانات والأمانات(٤).



---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (١٦٠/٤).

(٢) انظر: «المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية» (ص٧٣)، أبو البقاء هبة الله محمد الحلي، ق: محمد عبد القادر خريسات، صالح موسى درادكة)، الناشر: مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ط: الأولى، ١٩٨٤م.

(٣) انظر: «أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ﷺ» (٤٩٤/١)، علي محمد محمد الصلابي، الناشر: مكتبة الصحابة - الشارقة، سنة النشر: ١٤٢٥ - ٢٠٠٤.

(٤) انظر: «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري (٢١٩/٢٠).

المطلب الثاني
عدم الغلول

لقد حرَّم الله على الأنبياء الغلول فقال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[(١)].

قال الطبري في «تفسيره»: «ما الغلول من صفات الأنبياء، ولا يكون نبيًّا من غلَّ، وإنما اخترنا ذلك؛ لأن الله ﷻ أوعد عقيب قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ أهل الغلول فقال: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾»[(٢)].

وعَنْ عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: "كان على ثقل[(٣)] النبي ﷺ، رجل يقال له: كركرة، فمات، فقال رسول الله ﷺ: «**هو في النار**»، فذهبوا ينظرون إليه، فوجدوا عباءةً قد غلَّها[(٤)].

قال ابن بطال رحمه الله: «في هذا الحديث تحريم قليل الغلول وكثيره»[(٥)].

وسبب النهي عن الغلول: لأن الجندي المسلم يهدُفُ إلى إعلاء كلمة التوحيد، ولا يركض وراء الدنيا، فكانت الغنيمة في القتال من الأطماع البشرية.

قال الماوردي: «إنه لا يُمكن لأحدٍ من جيشه أن يتشاغل بتجارةٍ أو زراعةٍ؛ لصرفه الاهتمام بها عن مصابرة العدو، وصدق الجهاد»[(٦)]، ولذلك حدَّ الله مَنْ جعلها غاية الجندي المسلم، بل هي وسيلة للغاية العظمى، وهي الجنة، وحيث إن النفوس جُبلَت على حبِّ المال

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٦١).

(٢) هناك أقوال كثيرة، وما أثبتناه هو الأقرب. انظر: «تفسير الطبري» للطبري (٧/٣٥٤).

(٣) هو متاع المسافر، انظر: «غريب الحديث» (٢/٧٤٠)، إبراهيم بن إسحاق الحربي، ق/ سليمان إبراهيم محمد العايد، الناشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٤) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب الجهاد والسير، باب القليل من الغلول (٤/٧٤ ح٣٠٧٤).

(٥) انظر: «شرح صحيح البخارى» لابن بطال (٥/٢٣٥).

(٦) انظر: «الأحكام السلطانية» للماوردي (ص٨٠).

والمتاع والانشغال بطريقة قسمته وتوزيعه مما يعوق عن الجهاد، ومن ثَمَّ انتصار الأعداء، تكفل الله بقسمتها وتوزيعها، فقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[١].

ولما اهتمَّ الرُّماة بأمر الغنائم، وخالفوا ما أمرهم به رسوله، عاتبهم الله بقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

قال ابن كثيرٍ رحمه الله عند هذه الآية: «﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾: هُمُ الذين رغبوا في المغنم حين رأوا الهزيمة»[٣]، فالغلول ليس من صفات الجندي المسلم، بل من أسباب الهزيمة، وعدم نزول الرحمة حينما يغلوا، وهو سبب للانتقام ومعصية الرحمن حيث يقول ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٤]، ولذلك كانت الأمم السابقة تغزو وتأخذ أموال أعدائها وتسلبها، لكن لا يتصرفون فيها بل يجمعونها، وعلامة قبول غزوهم ذلك أن تنزل النار من السماء فتأكلها، وعلامة عدم قبوله ألَّا تنزل، ومن أسباب عدم القبول: أن يقع فيهم الغلول، وقد مَنَّ الله على هذه الأُمَّة ورحمها، فأحلَّ لهم الغنيمة، وستر عليهم الغلول، فطوى عنهم فضيحة أمر عدم القبول[٥].

---

(١) سورة الأنفال: آية (٤١).

(٢) سورة آل عمران: آية (١٥٢).

(٣) «تفسير ابن كثير» لابن كثير (١٣٣/٢).

(٤) سورة آل عمران: آية (١٦١).

(٥) انظر: «دروس وعبر من صحيح القصص النبوي» (ص٩)، لشحاتة محمد صقر، الناشر: مكتبة دار العلوم، البحيرة (مصر).

فلمَّا كان الغلُّ مصاحبًا للغضب الذي ضد الرحمة، ونزولها على الجند، ومن ثَمَّ الهزيمة والانكسار، كان الصِّدِّيق رضي الله عنه يوصي جنده بالابتعاد عن أسباب الهزيمة، والتي منها الغلول من الغنائم قبل قسمتها، وغالبًا يكون أثناء القتال، كان للخلفاء مع قادتهم أشدّ الوصايا في عَدَم الغلول، فكان الصحابي أبو بكرٍ الصديق رضي الله عنه يوصي قادته... ومما قاله لأسامة بن زيد رضي الله عنه: «وجالِسْ أهل الصِّدْق والوفاء، واصْدُقِ اللقاء، ولا تجبن فيجبن الناس، واجتنب الغلول، فإنه يقرب الفقر، ويدفع النصر»[١].

كما نهى الصديق رضي الله عنه الصحابي الجليل يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه حين بعثه على الشام عن الغلول[٢].

وقَدْ ورد عن أبي بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه أنهما كانا يعاقبان في الغلول عقوبةً موجعةً[٣]، وظهور الغلول في الغزاة سبب في إلقاء الرعب في قلوبهم[٤]، ووعظ القائد خالد رضي الله عنه الجيش في معارك الشام، ونهاهم عن الغلول[٥].

وفي عهد الصحابي عمر بن الخطاب رضي الله عنه: في فتح توج[٦] يظهر حرص الصحابة رضي الله عنهم على العمل بهذه الوصية، فكان الصحابي مجاشع بن مسعود رضي الله عنه معه رجل قد تخرق قميصه، فأخذ إبرة وسلكًا وجعل يخيط قميصه، ثم نظر إلى رجلٍ في القتلى عليه قميص فنزعه ولبسه، فقام مجاشع رضي الله عنه خطيبًا في الناس فقال: «أيها الناس، لا تغلوا، فإنه من غلَّ، جاء بما غلَّ يوم القيامة ردوا، ولو المخيط. قال الرجل: فلما سمعت ذلك نزعت القميص فألقيته في الأخماس»[٧].

وهذا يدلُّ على سرعة امتثال الصحابة رضي الله عنهم لأمر الله ورسوله ﷺ، ورجوعهم للحقِّ،

---

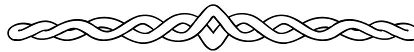
(١) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٢/٢٥٠).
(٢) انظر: «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص٨١).
(٣) انظر: «الخراج» لأبي يوسف (ص١٨٨).
(٤) انظر: «بدائع السلك في طبائع الملك» لابن الأزرق (٢/٥٥).
(٥) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١/٣٨).
(٦) بفتح أوله، وتشديد ثانيه، هي مدينة بفارس قريبة من كازرون شديدة الحر. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٢/٥٦).
(٧) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٤/١٧٥).

وخوفهم من ربهم ﷻ، كما يدلُّ على حُسن الموعظة والتذكير بها بدون تصريح بأسماء العصاة، وقد يكون القائد رأى من جنده ما يسوؤه، ويتم علاج أخطائهم في ميدان الخطبة للجيش بحيث يلمح دون تصريحٍ، ويصلح دون تشهيرٍ، ويُقوِّم دون تعنيفٍ، وهو منهج نبوي كان يستخدمه ﷺ.

وكتب أيضًا الصحابي عمر إلى النعمان بن مقرن -رضي الله عنهما- بنهاوند: «إذا لقيتم العدو، فلا تفروا، وإذا غنمتم فلا تغلوا»(١)، وهذا ما جعل الصحابي جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول: «والله الذي لا إله إلا هو، ما اطَّلعنا على أحدٍ من أهل القادسية أنه يريد الدنيا مع الآخرة، ولقد اتهمنا ثلاثة نفر، فما رأينا كما هجمنا عليه من أمانتهم وزهدهم: طليحة بن خويلد، وعمرو بن معديكرب، وقيس بن المكشوح»(٢).

وكانت مناسبة هذه المقولة ما رأوه من رجلٍ صاحب أمانة جاء بحقٍّ معه لصاحب الأقباض، فأعطاه إيَّاه، فلما سألوه عن اسمه، رفض إخبارهم وقال: «أما والله، لولا الله ما أتيتكم به، فعرفوا أن للرجل شأنًا، فقالوا: مَن أنت؟ فقال: والله، ما أخبركم لتحمدوني، ولا غيركم ليقرظوني، ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه»(٣).

واستعمل عثمان بن عفان سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنهما- على الكوفة، ولقد شهد له بالأمانة عمر رضي الله عنه حين عزله، فقال: إنا لم نعزله لأجل سوءٍ أو خيانةٍ مع إقراره لعماله سنة.. وهذا يدلُّ على حرصهم وأمانتهم على مَنْ تحتهم(٤).



(١) انظر: «الخراج» لأبي يوسف (ص٤٤).

(٢) انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي (٤/٢٠٩).

(٣) المصدر نفسه (٤/٢٠٩).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٤/٢٤٤).

المطلب الثالث
مظاهر النصح والتحفيز

يجب على القائد تحفيز الجند بما يعود عليهم من حماسٍ في القتال، واستبسال في الحرب.

قال الماوردي: «ويجوز لأمير الجيش إذا حضَّ على الجهاد أن يحرِّضَ للشهادة من الراغبين فيها مَنْ يعلم أن مثله في المعركة يُؤْثر أحد أمرين: إما تحريض المسلمين على القتال حميةً له، وإما تخذيل المشركين بجراءة عليهم في نصرة»[١].

كما كان الرسول ﷺ يُشجِّع أصحابه، فيقول لسعد بن أبي وقاص ﷺ: «**ارْمِ فداك أبي وأمي**»[٢].

وعلى القائد التوجيه والنصح أثناء مصافَّاة الصفوف، والصبر في نحر العدو، ولقد سطر الخلفاء ﷺ أعظم مظهرٍ في نصح الجند وتحفيزهم، فكان قادة الصِّدِّيق ﷺ كأمثال الصحابي زيد بن الخطاب ﷺ في معركة اليمامة، يقول: «والله لا أتكلم اليوم حتى نهزمهم، أو أقتل فأكلمه[٣] بحجتي. غضوا أبصاركم، وعضوا على أضراسكم أيها الناس، واضربوا في عدوكم، وامضوا قدما»[٤]، وكان الصحابي أبو حذيفة ﷺ يقول للجيش: «يا أهل القرآن، زينوا القرآن بالفعال»، وكان الصحابي خالد بن الوليد ﷺ ينادي أصحابه ناصحًا ومرشدًا لهم، فيقول: «اعلموا أن الله قد وَعَدكم بالنصر على عدوكم، وفرض عليكم الجهاد، وهذا جيش العدو أمامكم فارغبوا في ثواب الله»[٥]..

---

(١) انظر: «الأحكام السلطانية» للماوردي (ص٧٦).

(٢) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب المغازي، باب إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا، (٥/٩٧ ح ٤٠٥٥).

(٣) يقال: كلمت الرجل أكلمه كلمًا، إذا جرحته فهو كليم ومكلوم، والجراح كلام. انظر: «جمهرة اللغة» للأزدي (٢/ ٩٨١).

(٤) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٢/٢١٧).

(٥) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣/٢٩١).

ولقد كانت لهذه الكلمات الحماسية أثرها في النفوس، فحمل خالد ﷺ في الناس حتى ردَّهم إلى أبعد مما كانوا، وكان الصحابي عمرو بن العاص ﷺ في فلسطين يقول لهم: «اصبروا على قضاء الله، وارغبوا في ثواب الله وجنَّته...»[١].

وكان الصحابي شرحبيل بن حسنة ﷺ ينتهز الفرصة حينما دبَّ الضعف في جيش المسلمين، ورأوا الروم بعددها وعتادها، فقال لهم: «اعلموا -رحمكم الله- أن رسول الله ﷺ قال: «**الجنة تحت ظلال السيوف**»[٢]، وأحب ما قرب إلى الله قطرة دم في سبيل الله، أو دمعة جرت في جوف الليل من خشية الله»، ثم حمل وحمل معه المسلمون[٣].

وتكلم الصحابي رافع بن عميرة الطائي ﷺ في معركة الشام؛ فقال: «يا قوم، وما الخِيفة من هؤلاء العلوج؟! أما نصركم الله في مواطنَ كثيرة، والنصر مقرون مع الصبر، ولم تزل طائفتان تلقى الجموع الكثيرة، والجموع اليسيرة، فاتَّبعوا سبيل المؤمنين، وتضرَّعوا إلى ربِّ العالَمين»[٤].

وفي عَهْد الفاروق ﷺ ذكر الواقدي: أن عمر ﷺ كتب كتابًا للصحابي أبي عبيدة بن الجراح ﷺ حينما أراد أن يعزل خالد بن الوليد ﷺ عن الإمارة، فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح، سلام عليك، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، وأُصلِّي على نبيه محمد ﷺ، وبعد: فقد ولَّيتك أمور المسلمين، فلا تستحي، فإن الله لا يستحي من الحقِّ، وإني أوصيك بتقوى الله الذي يبقي ويفنى ما سواه، والذي استخرجك من الكفر إلى الإيمان ومن الضلال إلى الهدى...»[٥].

وفي هذا الخطاب جمال سطره في النصح والإرشاد، وحفظًا لسابقية خالد بن الوليد ﷺ في

---

(١) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١/١٨).

(٢) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب الجهاد والسير، باب الجنة تحت بارقة السيوف (٤/٢٢ ح٢٨١٨).

(٣) ما بعد القوسين لم أجده من كلام الرسول ﷺ، فيكون من كلام شرحبيل بن حسنة. انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١/٢٥، ٢٦).

(٤) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١/٣٨).

(٥) المصدر نفسه (١/٨٧).

القتال، وخبرته فيها مما جعل خالدًا ﷺ يقول: «السمع والطاعة لعمر بن الخطاب»؛ لأن هدفهم ﷺ كان واحدًا، وهو إعلاء كلمة «لا إله إلا الله»، وهذا مما ينبغي على المتنافسين في مجال الخيرات أن يكون الهدفُ واحدًا، والقلوب واحدة على قلب رجل واحد، ولو اختلفت السُّبل لكي تترقى النفوس، وتتوحد الصفوف، وينجلي الحسد، وتبقى الثمرة العظيمة في الدعوة إلى الله؛ وهذا دليل صفاء النفوس، وتوحد الأهداف، ورد الفضل لأهله.

وكَذَلك كان التابعي عاصم بن عمرو التميمي(١) في معركة القادسية، وبالتحديد يوم أرماث يحرِّض أصحابه وجنده قائلًا: «أنتم الأعلون والله معكم، إنْ صبرتم وصدقتموهم الضرب والطعن، فلكم أموالهم ونساؤهم وأبناؤهم وبلادهم، وإن خرتم وفشلتم، فالله لكم من ذلك جار وحافظ»(٢).

وكَثُر التحريض والنصح، أو ما يسمى بالخطب في هذه المعركة، وأخذ كلُّ قائد ينصح جنوده، فكان أحدهم يقول للجيش: «واذكروا آلاء الله، وارغبوا إليه في عاداته، فإن الجنة أو الغنيمة أمامكم...»(٣).

وقال قيس بن مكشوح ﷺ(٤): «إن الله قد مَنَّ عليكم بالإسلام، وأكرمكم بمحمد ﷺ، فأصبحتم بنعمة الله إخوانًا، دعوتكم واحدة، وأمركم واحد، بعد إذ أنتم يعدو بعضكم على

(١) **هو عاصم بن عمرو التميمي**، أحد الشعراء، وهو أخو القعقاع بن عمرو، أعطاه عمر لواء سجستان، وقد أبلى في القادسية بلاءً حسنًا، مات بعد سنة ١٥هـ. انظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٣/٤٦٥)، «الأعلام» للزركلي (٣/٢٤٨).

(٢) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣/٥٣٢).

(٣) المصدر نفسه (٣/٥٣٣).

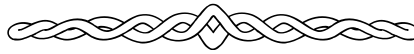
(٤) **قيس بن هبيرة الملقب بمكشوح ابن هلال البجلي**: صحابي، من الشجعان الأبطال الشعراء، كان سيد بجيلة في الجاهلية، وفارسها. كنيته أبو شداد. له مواقف في الفتوحات، في زمن عمر وعثمان، في القادسية وغيرها. سار إلى العراق على مقدمة سعد بن أبي وقاص، وشهد قتال نهاوند، وحضر معارك " صفين " مع عليّ ﷺ، فقتل في إحداها. انظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (٥/ ٤٠٦)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للقرطبي (٣/ ١٣٠٠)، «الأعلام» للزركلي (٥/ ٢٠٩).

بعض عدوَ الأسد، ويختطف بعضكم بعضًا اختطاف الذئاب، فانصروا الله ينصركم، وتنجزوا من الله فتح فارس، فإن إخوانكم من أهل الشام قد أنجز الله لهم فتح الشام...»(١).

وكان الصحابي ميسرة بن مسروق العبسي رضي الله عنه في وقعة مرج القبائل في الشام ينادي في الجيش: «أيها الناس، اذكروا الدار الآخرة، واعلموا أنها أقرب لأحدكم من رجوعه لأهله، فاستقبلوها استقبال الوالدة لولدها، ولا تولوا الأدبار عنها»(٢).

وفي عهد عثمان رضي الله عنه نادى أبو موسى رضي الله عنه في الناس، وحضهم وندبهم، وذكر من فضل الجهاد في الرجلة حتى حمل نفر على دوابهم(٣).

وفي عهد عليِّ ابن أبي طالب رضي الله عنه كان معقل بن قيس حينما قاتل الخريت بن راشد الرافضي يحرض الجيش، ويقول: «عبادَ الله، لا تعدلوا القوم بأبصاركم، غضوا الأبصار، وأقلوا الكلام، ووطنوا أنفسكم على الطعن والضرب، وأبشروا في قتالهم بالأجر العظيم، إنما تقاتلون مارقة(٤) مرقت من الدين»(٥).



(١) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣/٥٥٤).

(٢) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٢/٧).

(٣) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٤/٢٦٥).

(٤) الذين مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية مروقًا، وهو الخروج من الدين ببدعة، وإنكار الإيمان. انظر: «العين» للفراهيدي (٥/١٦٠)، «معجم اللغة العربية المعاصرة» لأحمد مختار (٣/٢٠٨٩).

(٥) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٥/١٢٣).

المطلب الرابع
كثرة ذكر الله وقراءة القرآن

ينبغي للقائد أن يصطحب معه القُرَّاء، ويعلم جنده آيات القتال؛ لأن أهل القرآن حينما يقرأون والجند يستمعون تتنزل عليهم الرحمة، والقرآن كله كذلك مع ما فيه من حثٍّ على القتال وملازمة الصفوف، وعدم التولِّي يوم الزحف، ومعرفة قسمة الغنائم، وعدم الغلول، وهذا كله في القرآن، فحينما يقرأ القارئ وهو يقاتل ويهتف بآيات عظيمات منها حث على الجهاد وتحريم الهروب إلا متحرِّفًا لقتال أو متحيِّزًا لفئة فيشجع المجاهد والسامع على الإقدام وعدم الإحجام، وتجتمع هذه الآداب في سورة الأنفال، ففي عهد الصديق رضي الله عنه كان الصحابي خالد بن الوليد رضي الله عنه حينما نظر إلى كثرة الأعداء، يقول لأصحابه: «اعلموا أن الله قد وعدكم بالنصر على عدوكم، وفرض عليكم الجهاد، وهذا جيش العدو أمامكم، فارغبوا في ثواب الله تعالى، واسمعوا ما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤﴾[(١)]»[(٢)]؛ فكانت هذه الآية في سورة الصف تدفعهم إلى الجهاد وملازمة الصفوف؛ لإنها صفة يحبها الله كما يليق به جلَّ جلاله لأوليائه؛ ولذلك تلاها الصديق رضي الله عنه على جيشه حاثًّا لهم على قتال عدوهم.

وفي فتح المدائن مدينة نهمشير[(٣)]: كان الصحابي زهرة بن جويرية رضي الله عنه ينتظر قدوم جيش كسرى، فلما رآهم، دعا الله عز وجل بكفِّ شرهم، ورد كيدهم في نحرهم، وأخذ يرتب صفوف

---

(١) سورة الصف آية: (٤).

(٢) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٢١/١).

(٣) ذكر ابن كثير اسمًا آخر فقال: "نهر شيبر"، وذكر البلاذري وابن مسكويه اسمًا آخر، فقالوا: "بهر سير"، وهي إحدى المدن السبع التي كانت تتألف منها المدائن، وهي تصحيف (به أردشير) أي: مدينة (أرديشير) ملك الفرس. انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (٦١/٧)، «فتوح البلدان» للبلاذُري (ص٢٥٨)، «تجارب الأمم وتعاقب الهمم» لابن مسكويه (٣٠٠/٢)، «تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية» لابن كثير (٣٤١/١).

جنده، ويتلو عليهم من آل عمران: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾[(١)][(٢)]، ولما رأى الملك كسرى أن المسلمين قد عدلوا إلى الجانب الثاني، أمر شهريار بن ساور أن يبرز للمسلمين، ويقف في مقابلتهم، ففعل، وأخذ كسرى ما قدر على حَمْله من أمواله من الدر والجواهر واليواقيت، وما أشبه ذلك، قال: وإن سعدًا ليخوض الماء خوضًا، وهو يقول: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٩٦﴾[(٣)]. قال: ولم يغرق من الناس أحد[(٤)].

وكذلك لما اجتمعت جيوش كسرى بقيادة فيروز، تقدَّم فيروز، وأخذ ينادي للمبارزة، فخرج له هاشم بن المرقال رضي الله عنه، فقتله، فلمَّا رجع للمسلمين قَبَّلَ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ما بين عينيه، فترجل هاشم رضي الله عنه، وقَبَّل رِجْلَ سعد رضي الله عنه، وقرأ: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ۝٤٤﴾[(٥)][(٦)].

ولما رأى المسلمون جيش الروم وكثرته، قالوا للصحابي ضرار بن الأزور رضي الله عنه: «يا ضرار، إن هذا الجيش عرمرم، والصواب أننا نرجع، فقال ضرار رضي الله عنه: والله، لا زلت أضرب بسيفي في سبيل الله، وأتبع مَنْ أناب إلى الله، ولا يراني الله مهزومًا، ولا أولي الدبر؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۝١٥ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[(٧)]»[(٨)]، ثم عاد إلى الصفوف، فجعل يطوف بينهم بفرسه، ويحرض الناس على القتال، وهو ينادي برفيع صوته: «يا معاشر المسلمين، انصروا الله ينصركم،

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٦٠).

(٢) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٢/١٨١).

(٣) سورة الأنعام: آية (٩٦).

(٤) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٢/١٨٦).

(٥) سورة إبراهيم: آية (٤٤).

(٦) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٢/١٨٣).

(٧) سورة الأنفال: آية (١٥).

(٨) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١/٣٨).

وقاتلوا في سبيل الله، واحتسبوا نفوسكم في سبيل الله، ولا تحملوا حتى آمركم بالحملة، ولتكن السهام إذا خرجت من أكباد القسي كأنها من قوس واحدة، فإذا تلاصقت السهام رشقًا كالجراد لم يخلُ أن يكون منها سهم صائب: ﴿ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠﴾[(١)]»[(٢)].

وفي عهد الفاروق ﷺ: «لما صلَّى الصحابي سعد بن أبي وقاص ﷺ الظهر، أمر الغلام الذي كان عمر ﷺ ألزمه إياه، وكان من القُرَّاء يقرأ سورة الجهاد (سورة الأنفال)، وكان المسلمون يتعلمونها كلهم، فقرأ على الكتيبة الذين يلونه سورة الجهاد، فقرئت في كلِّ كتيبة، فهشت قلوب الناس وعيونهم، وعرفوا السكينة مع قراءتها»[(٣)].

وحينما يقرأ الجيش المسلم هذه الآيات العظيمة؛ يجد في كلِّ آيةٍ منها عبرة، وفي كل آيةٍ آيةٌ على حماية الله لجنده وجيشه المؤمن.. وفيها آيات تبري النفوس من حولها وقوتها، وفيها آيات تبيِّن أن حبَّ الدنيا والتنازع فيها يغضب الله، وفيها طاعة الله ورسوله مما يوحي للجيش بطاعة قائدهم، واستجابة أمره، واجتناب نهيه، وفيها الحث على الصبر، فهذا مما ينبغي لكلِّ جندي إعادة حسابه على ضوء هذه الشروط ليستحق النصر...[(٤)].

وهذا أيضًا مما ينبغي أن يتحلَّى به جنودنا البواسل بحيث يعرفون أن لفضل قراءة القرآن أثرًا على نصرتهم، وعلى عدوهم من ناحيةٍ عامَّةٍ، وأمَّا من ناحية خاصة ملازمة هذه السورة في صلواتهم الجهرية داخل أروقة سرادقهم ومخيماتهم، وعندما يلتحم الصفان، يَكُون هناك مَنْ ينادي بهذه الآيات العظيمة، يسمع بها الجيش، ولو أن الرسول ﷺ ألزم الجيش بملازمتها، واستذكارها، وحفظها عن ظهر قلب، وتنزيلها أرض الواقع؛ لكان سببًا -بإذن الله- للانتصار

---

(١) سورة آل عمران: آية (٢٠٠).

(٢) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٥٢/١).

(٣) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٥٣٦/٣).

(٤) انظر: «المسيرة الإسلامية لجيل الخلافة الراشدة» لمنير الغضبان (٢٨٩/١).

مع مصاحبة الثقة بالله، واليقين بالغلبة عليهم، وقراءةُ القرآن في القتال كله رحمةٌ، وأثره واضح على الجيش.

وفي عهد عليٍّ ابن أبي طالب ﷺ بعث مع التابعي الربيع بن خيثم أربع مائة من القراء نحو ثغر قزوين والري ليرابطوا هناك[1].





(١) انظر: «الأخبار الطوال» للدينوري (ص١٦٥).

المطلب الخامس
اللجوء إلى الله بالدعاء

لقد كان الرسول ﷺ في غزوة بدرٍ يتضرع إلى ربِّه ويدعوه، فيقول: «**اللهُمَّ إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد**»، وأبو بكرٍ يقول: يا نبي الله، بعض مناشدتك ربك، فإن الله منجز لك ما وعدك(١)، وهو القائل: «اطلبوا إجابة الدعاء عند التقاء الجيوش، وإقامة الصلاة، ونزول المطر»(٢)، فكان قادة الخلفاء لهم قصب السبق في ذلك، ففي عهد الصديق ﷺ في معركة اليرموك كان أبو سفيان بن حرب يسير، فيقف على الكراديس، فيقول: «الله الله! إنكم ذادة(٣) العرب، وأنصار الإسلام، وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك! اللهم إن هذا يوم من أيامك، اللهم أنزل نصرك على عبادك...»(٤).

ولما اتَّجه الصحابي أبو الدرداء ﷺ نحو فلسطين لقتال الروم، وقد ثبت الروم، وكان المسلمون بنسبة لعددهم كالشامة البيضاء في جلد الثور الأسود.. قال أبو الدرداء ﷺ واصفًا حالهم مع القتال: فلقد شغلتني الحرب عن مناشدة الأشعار، ولقد كان أحدنا لا يدري أهو يضرب أخاه أم عدوه من كثرة القتام؟(٥)، قال: فثبت المسلمون مع قتلهم، وفوضوا أمرهم إلى الله ﷻ، وما كان أحد من المسلمين يضرب إلا وظهره ناطق بالدعاء، يقول: اللهم انصرنا على مَنْ يتخذ معك شريكًا(٦).

وفي قتال الفرس في فتوح العراق بقيادة خالد بن الوليد ﷺ كان الصحابي شرحبيل بن

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٦٢٧/١).

(٢) صحيح. انظر: «صحيح الجامع الصغير وزيادته» للألباني (٢٣٥/١).

(٣) تحمونهم وتدافعون عنهم. انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للفارابي (٤٧١/٢).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣٩٧/٣).

(٥) سواد وظلمة. انظر: «العين» للفراهيدي (١٣٢/٥).

(٦) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١٩/١).

حسنة ﷺ كما نقل عنه ورآه عبد الله بن عدي أنهم لما توسطت بهم الشمس في قبة الفلك، وقد طمع العدو فيهم، يقول: رأيت شرحبيل بن حسنة قد رفع يده إلى السماء وهو يقول: يا حيٌّ يا قيُّومُ، يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، اللهم انصرنا على القوم الكافرين، قال: فوالله ما استتم شرحبيل كلامه ودعاءه حتى جاء النصر من عند الله العزيز الحكيم...(١).

وفي معركة أليس التقى الصحابي خالد بن الوليد ﷺ مع جابان، واقتتلا قتالًا شديدًا، وصابر المسلمون على هذا القتال، ولما اشتدَّ عليهم، دعا خالد بن الوليد ﷺ ربَّه، فقال: اللهم إن لك عليَّ إن منحتنا أكتافهم ألَّا أستبقي منهم أحدًا قدرنا عليه حتى أجري نهرهم بدمائهم...(٢)! وهنا شدّة عليهم في القتال، ورحمة وشفاء للمسلمين حينما يذهب الله غيظ قلوبهم.

وكان سعد بن أبي وقاص ﷺ في ليلة الهرير، وهو يوم عماس اليوم الثالث من القتال، فاستمرَّ حتى الليل مما جعل سعدًا ﷺ يدعو لكل قبيلة، فيقول: اللهم اغفر لهم وانصرهم(٣).

وفي عهد الفاروق ﷺ في معركة الشام لما سار الصحابي خالد بن الوليد ﷺ بالجيش لمعونة الصحابي ميسرة بن مسروق العبسي ﷺ ومَنْ معه، رفع خالد ﷺ يديه إلى السماء، وقال: "اللهم اجعل لنا إليهم سبيلًا، واطوِ لنا البعيد، ويسِّر لنا كلَّ صعب شديد"(٤).

وفي فتح «تستر» لما هرب إليها الهرمزان، ولحقه الصحابي النعمان بن مقرن ﷺ ومعه من الصحابي البراء بن مالك ﷺ وغيره من الصحابة ﷺ، وقد قاتل المسلمون قتالًا شديدًا، وزاحفهم المشركون في أيام «تستر» ثمانين زحفًا في حصارهم، يكون عليهم مرة، ولهم أخرى، حتى إذا كان في آخر زحف منها، واشتدَّ القتال قال المسلمون: يا براء، أَقْسِم على ربك ليهزمنهم لنا! فقال: اللهم اهزمهم لنا، واستشهدني، قال: فهزموهم حتى أدخلوهم خنادقهم، ثم

(١) المصدر نفسه (٢٦/١).

(٢) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣٥٦/٣).

(٣) المصدر نفسه (٥٦١/٣).

(٤) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٩/٢).

اقتحموها عليهم...[١].

وفي معركة نهاوند كان النعمان بن مقرن رضي الله عنه ينتظر بالقتال ساعات كان رسول الله ﷺ يحبها في مداهمة العدو، وسار في الناس يقف على كلِّ رايةٍ يحثهم ويحفزهم، وكان يدعو فيقول: "اللهم أعز دينك، وانصر عبادك، واجعل النعمان أول شهيد اليوم..."؛ فكان ما حصل له من هذه الأمنية، قُتل شهيدًا رضي الله عنه[٢].

وفي عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه في معركة صفين في اليوم الثاني في وقت المساء خرج علي رضي الله عنه إلى ساحة القتال، فنظر إلى أهل الشام، فدعا ربه قائلًا: "اللهم اغفر لي ولهم"[٣].



(١) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٤/٨٥).

(٢) المصدر نفسه (٤/١٣١).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١/ ٣٤٦).

المطلب السادس
إقامة صلاة الخوف

وهي كيفية صلاة الفرائض في الحرب، والأصل فيها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾(١).

قال بعض العلماء: «المراد بالقصر في قوله: ﴿أَن تَقْصُرُواْ﴾ في هذه الآية قصر كيفيتها لا كميتها، ومعنى قصر كيفيتها أن يجوز فيها من الأمور ما لا يجوز في صلاة الأمن، كأن يصلي بعضهم مع الإمام ركعة واحدة، ويقف الإمام حتى يأتي البعض الآخر فيصلي معهم الركعة الأخرى، وكصلاتهم إيماءً رجالًا وركبانًا، وغير متوجهين إلى القبلة، فكلُّ هذا من قَصْر كيفيتها، ويدلُّ على أن المراد هو هذا القصر من كيفيتها، قوله تعالى بعده يليه مبينًا له: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾»(٢).

قال ابن قيم الجوزية: «كان من هديه ﷺ في صلاة الخوف أن أباح الله سبحانه وتعالى قصر أركان الصلاة وعددها إذا اجتمع الخوف والسفر، وقصر العدد وحده إذا كان سفر لا خوف معه،

---

(١) سورة النساء: آية (١٠٢).

(٢) انظر: «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٢٤٨/١)، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ط: ١٤١٥هـ.

وقصر الأركان وحدها إذا كان خوف لا سفر معه، وهذا كان من هديه ﷺ، وبه تعلم الحكمة في تقييد القصر في الآية بالضرب في الأرض والخوف...»[١].

وفَعَلها رسول الله ﷺ كما ذكر ابن عمر رضي الله عنه فقال: «غزوت مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فوازينا العدو، فصاففنا لهم، فقام رسول الله ﷺ يصلي لنا، فقامت طائفة معه تصلي، وأقبلت طائفة على العدو، وركع رسول الله ﷺ بمن معه، وسجد سجدتين، ثم انصرفوا مكان الطائفة التي لم تصلِّ، فجاؤوا، فركع رسول الله ﷺ بهم ركعةً، وسجد سجدتين، ثم سلَّم، فقام كلُّ واحد منهم، فركع لنفسه ركعةً، وسجد سجدتين»[٢].

ففي عهد الصِّدِّيق رضي الله عنه **ذَكَر الواقدي**: "أن الصحابي أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه في معركة اليرموك صلى بهم الفجر صلاة الخوف، وأنهم بعد الصلاة ركبوا خيولهم، ولبسوا سلاحهم، ووعظ بعضهم بعضًا..."[٣].

وفي عهد الفاروق رضي الله عنه **ذكر الواقدي في الفتوح**: "أنه في يوم وقعة مرج القبائل صلى ميسرة بن مسروق العبسي رضي الله عنه بالمسلمين صلاة الخوف، وهو أول مَنْ صلاها داخل الدروب"[٤].

وذكر ابن كثير أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: صلى ليلة الهرير في القادسية صلاة العشاء إيماءً[٥]، وصلَّى الصحابي عمرو بن العاص رضي الله عنه بالنَّاس صلاة الخوف، بكلِّ طائفةٍ ركعة وسجدتين، وذلك في مسيره لفتح الإسكندرية، ثمَّ فتح الله يَوْمئذٍ على المسلمين، وقتل منهم المسلمون مقتلةً عظيمةً، واتبعوهم حتى بلغوا الإسكندرية، فتحصن بها الروم[٦].

---

(١) انظر: «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٥١٠/١)، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ.

(٢) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب الجمعة، باب أبواب صلاة الخوف (١٤/٢ ح ٩٤٢).

(٣) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٢٠٢/١).

(٤) المصدر نفسه (٨/٢).

(٥) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (٢٧١/٧).

(٦) انظر: «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري (٣٠٢/١٩)، «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» (١١٩/١)، =

وذكر أنس بن مالك ﵁: أنه حضر عند مناهضة حصن تستر عند بزوغ الفجر، واشتدَّ بهم القتال، فلم يقدروا على الصلاة إلا بعد ارتفاع النهار، فصلوها مع الصحابي أبي موسى الأشعري ﵁، ففتح الله لهم، فقال أنس بن مالك ﵁: وما يسرني بتلك الصلاة الدنيا وما فيها...، وهذه القصة أوردها البخاري تحت حديث أبواب صلاة الخوف، وذكر منها باب الصلاة عند مناهضة الحصون، ولقاء العدو(١).

وذكر خليفة ابن خياط في سنة ١٨هـ أن الصحابي أبا موسى ﵁ صلى بدارا(٢) صلاة الخوف، وهي من أرض الجزيرة(٣)، وفي وقعة جلولاء لم يكن للمسلمين فيه إلا الصلاة إيماءً والتكبير(٤).

وفي عهد الصحابي عثمان بن عفان ﵁ لما غزا الصحابي سعيد بن العاص ﵁ جرجان، فصالحوه على مائتي ألف، ثم أتى طميسة(٥) وهي كلُّها من طبرستان، فقاتله أهلها، فصلَّى بهم صلاة الخوف وحاصرهم، فسألوه الأمان فأعطاهم...(٦)، فقال لحذيفة ﵁: كيف صلى رسول الله ﷺ؟ فأخبره، فصلى بها سعيد ﵁(٧).

قال الأوزاعي: إنْ كان تهيأ الفتح، ولم يقدروا على الصلاة صلوا إيماءً(٨)، كلُّ امرئٍ

= عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، الطبعة: الأولى ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

(١) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب أبواب صلاة الخوف، باب الصلاة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو (١٥/٢).

(٢) وهي بلدة في لحف جبل بين نصيبين وماردين. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٤١٨/٢).

(٣) انظر: «تاريخ خليفة بن خياط» (ص١٣٩).

(٤) انظر: «الأخبار الطوال» للدينوري (ص١٢٨).

(٥) فتح أوله، وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت، هي بلدة من سهول طبرستان، هي آخر حدود طبرستان من ناحية خراسان وجرجان. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٤١/٤).

(٦) انظر: «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري (٤١٩/١٩).

(٧) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٤٨٠/٢).

(٨) أشار إشارة: أي: يحركون رؤوسهم للركوع والسجود. انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (١٤٥/٦)، تعليق مصطفى البغا على «صحيح البخاري» (١٥/٢).

لنفسه، فإن لم يقدروا على الإيماء أخَّروا الصلاة حتى ينكشف القتال أو يأمنوا، فيصلوا ركعتين، فإن لم يقدروا، صلوا ركعةً وسجدتين، فإن لم يقدروا لا يجزئهم التكبير، ويؤخروها حتى يأمنوا.. وبه قال مكحول رحمه الله(١).

وهذا كله من رحمة الله بعباده حيث يؤدونها بقدر استطاعتهم، وحسب أحوالهم ومآلهم، لا يكلف الله نفسًا إلا وُسْعها، ولقَدْ أسقط الله عن المسافر شطر الصلاة؛ لأن السفر قطعة من العذاب مع ما فيه من المشقة والتعب، فكيف بالجهاد وحال المجاهد نحو العدو مع ما يعتريه من خوف هلاك، أو ظفر، أو غيرها من أسباب الخوف، ولذلك شُرِعت هذه الصلاة رحمةً بالعباد، وأن يصليها المجاهد بقدر الإمكان، وحسب القدرة والزمان.

وفي عهد الصحابي علي ابن أبي طالب ﷺ ذكر البيهقي في «سننه» أن عليًّا ﷺ صلَّى بجيشه المغرب صلاة الخوف ليلة الهرير(٢)، وهي حرب جرت بينه وبين الخوارج، وكان بعضهم يهر على بعض لا يتحدثون، فسميت بذلك(٣)، وليست هي ليلة الهرير في معركة القادسية، فتلك الليلة وقعت في عهد عمر بن الخطاب ﷺ(٤).



(١) المصدر نفسه.

(٢) انظر: «السنن الكبرى» للبيهقي (٣/٣٥٩)، «التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير» (٢/١٨٧)، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ. ١٩٨٩م.. قال الألبانيُّ: صحيح. انظر: «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل» (٣/٤٢)، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

(٣) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٤/١٨١).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣/٥٥٧).

المبحث الثاني
مظاهر الرحمة مع الأعداء أثناء القتال

ويشتمل على مطالب:

المطلب الأول: النهي عن قتل نسائهم وأطفالهم.

المطلب الثاني: النهي عن قتل شيوخهم وكبارهم.

المطلب الثالث: النهي عن قطع أشجارهم وتخريب عمرانهم.

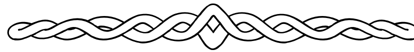
المطلب الرابع: النهي عن الغدر بهم وإمضاء الأمان لهم.

المطلب الخامس: النهي عن قتل أهل الصوامع والرهبان.

المطلب السادس: محاورتهم ودعوتهم.

المطلب السابع: النهي عن قتل رسلهم وسفرائهم.

المطلب الثامن: النهي عن قتل دوابهم.



المطلب الأول
النهي عن قتل نسائهم وأطفالهم

النهي عن قتل النساء والأطفال؛ لأنهم لا مشاركة لهم في القتال، ولا يعرفون النزال، وليس لهم رأي في الأقوال، أو يد في الأفعال، فَرُفِعَ عنهم السيف والقتل ليتفيئوا ظلال البراءة، فهم بريئون، ليس لهم حول ولا قوة، فمن رحمة الإسلام بهم أن رحمهم فكفَّ عنهم القتل، ولأنه دين رحمة لا دين تعطش للدماء وإراقتها كما يفعل الآن أعداؤه، فنُهِيَ الجندي المسلم عن هذا الفعل الشنيع، وعن تجريم مَنْ لا جرم له، وتحميل من لا حمل له، وجاءت الرحمة لتشمل الطفل من جهة مباشرة، وكذلك الأبوان من جهة غير مباشرة؛ رحمة في قلبيهما، وعدم فَجْعهما بصغيريهما، فكانت الرحمة شاملة، وخاصة لهذا الصغير أو الطفل الرضيع، بل نهى عن التفريق بينه وبين أمِّه كما قال ؛: «**مَنْ فرق بين والدة وولدها فرّق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة**»(١).

ولقد كان الرسول ؛ ينهى أصحابه المجاهدين عن قتل النساء والأطفال والذرية، فقد ورد عن ابن عمر -رضي الله عنهما-، قال: وُجِدت امرأةٌ مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ، «فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان»(٢).

قال النووي رحمه الله: «أجمع العلماء على العمل بهذا الحديث، وتحريم قَتْل النساء والصبيان إذا لم يقاتلوا، فإن قاتلوا قال جماهير العلماء: يقتلون»(٣).

وقال ابن حجر العسقلاني -رحمه الله- مبينًا الحكمة من النهي: «وأما النساء فلضعفهن، وأما الولدان فلقصورهم عن فعل الكفر، ولما في استبقائهم جميعًا من الانتفاع بهم إمَّا بالرق، أو بالفداء فيمن يجوز أن يفادى به»(٤).

---

(١) قال الألبانيُّ: "حسن". انظر: «مشكاة المصابيح» (١٠٠٣/٢)، «صحيح الجامع الصغير وزيادته» للألباني (١٠٩٥/٢).

(٢) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب الجهاد والسير، باب قتل النساء في الحرب، (ج٤/٦١ ح ٣٠١٥).

(٣) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٤٨/١٢).

(٤) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٤٨/٦).

واقتدى بهذا المنهج القويم خلفاء من بعده، ففي عهد الصديق ﷺ: أخرج البيهقي وغيره عن أبي عمران الجوني: أن أبا بكرٍ ﷺ بعث جيوشًا إلى الشام، وأمَّر عليهم يزيد بن أبي سفيان ﷺ، فقال: إني موصيك بعشر خلال: لا تقتلوا امرأةً، ولا صبيًّا...[١].

وقال ابن حجر: «إنما نهى أبو بكر ﷺ جيوشه عن ذلك؛ لأنه علم أن تلك البلاد ستفتح، فأراد إبقاءها على المسلمين، والله أعلم»[٢].

قال الماوردي: «ولا يجوز قتل النساء والولدان في حرب، ولا في غيرها ما لم يقاتلوا؛ لنهي رسول الله ﷺ عن قتلهم... وأمَّا السبي فهم النساء والأطفال، فلا يجوز أن يقتلوا إذا كانوا أهل كتابٍ؛ لنهي رسول الله ﷺ عن قتل النساء والولدان، ويكون سبيًا مسترقًّا يقسمون مع الغنائم»[٣].

وَذَكر الواقدي في معركة الرستن "أنه كان من أمر الصحابة إنه لما تركهم نقيطاس في دار إمارته، ركب إلى البيعة مع بطارقته وأهل مدينته؛ ليصلوا صلاة الشكر لأجل رحيل المسلمين عنهم، وارتفعت أصواتهم بقراءة الإنجيل، وسمع أصواتهم أصحاب رسول الله ﷺ، فَخَرجوا من الصناديق، وشدُّوا على أنفسهم، وشهروا سلاحهم، وقبضوا على امرأة نقيطاس وحريمه وقالوا: نريد مفاتيح الأبواب، فسلمتها إليهم، فلمَّا حصلت المفاتيح في أيديهم، رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير"[٤]، ولم يقتلوها، بل أخذوا مفاتيح الخزائن منها مع قدرتهم على قتلها، والنَّيل منها.

كذلك في معركة الحصيد وجد الصحابي عدي بن حاتم ﷺ رجلًا يقال له: حرقوص بن النعمان النمري، وحوله بنوه وبناته وامرأته، فقتلوا الرجل، ولم يقتلوا النساء، بل أخذوهم سبايا[٥].

---

(١) انظر: «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص٨١).

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٥٥/٦).

(٣) انظر: «الأحكام السلطانية» للماوردي (ص٧٧، ٢١١).

(٤) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١٣٨/١).

(٥) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (٥٣٣/٩).

وكتب عمر بن الخطاب ﷺ في جزية الكفار: «ولا تأخذوا من امرأةٍ ولا صبي...»[(١)]؛ لأنهم ليسوا من أهل القتال، وكان يوصي سلمة بن قيس، بقوله: «... فلا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا»[(٢)].

وفي عهد علي ابن أبي طالب ﷺ كان يقول في معركة الجمل للقادة: «ولا تهيجن امرأة بأذى، وإن شتمْنَ أعراضكم، وسفهن أمراءكم وصلحاءكم، فإنهن ضعاف، ولقد كنَّا نؤمر بالكف عنهن، وإنهن لمشركات، وإن الرجل ليكافئ المرأة، ويتناولها بالضرب، فيُعَير بها عقبه من بعده، فلا يبلغني عن أحد عرض لامرأة، فأنكل به شرار الناس»[(٣)].

وفي روايةٍ له ذكرها الطبري: قوله: «ولا تهيجوا امرأة بأذى، وإن شتمن أعراضكم، وسببن أمراءكم وصلحاءكم، فإنهن ضعاف القوى والأنفس»[(٤)].

وهذا مما ينبغي للإمام أن يوصي جيوشه، قال الحليميُّ: «ويوصي الإمام أمير السريَّة والجند بتقوى الله وطاعته، والاحتياط والتيقُّظ، ويحذِّرهم الشَّتات والفرقة والإهمال والغفلة، ويأخذ على الجند أن يسمعوا ويطيعوا أميرهم، ولا يختلفوا عليه، وينصحوا له... ولا يقتلوا امرأةً لا تقاتلهم، ولا وليدًا»[(٥)].

وفي عهده كان للخوارج قصة مع زوجة عبد الله بن خباب ﷺ حينما أقبلوا عليها، فقالت لهم: إنما أنا امرأة... تُذكِّرهم بنهي النبي ﷺ عن قتلها، وكانت تقول: ألا تتقون الله، فَبَقروا بطنها، وقتلوا ثلاث نسوة من طيئ، وقتلوا أمَّ سنان الصيداوية، فبلغ ذلك عليًّا ﷺ ومَنْ معه من المسلمين من قتلهم، فقتلهم جميعًا[(٦)].

---

(١) انظر: «الخراج» لأبي يوسف (ص١٤١).

(٢) المصدر نفسه (ص٢١٢).

(٣) انظر: «الفتنة ووقعة الجمل» (ص١٨٠).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٥/١١).

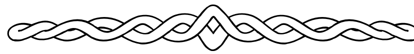
(٥) انظر: «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري (٦/١٦٧).

(٦) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٥/٨٢).

ولا شكَّ أن الخوارج مما اتَّصفوا به من الجهل بالشريعة الإسلامية والتشدد في الدين والجفاء قد صوروا الإسلام بصورة مظلمة؛ حيث إن مَن لا يعرف مذهبهم يعتقد أن تصرفاتهم إسلامية، وأن هذا الإسلام دين قتل ووحشية، وضرب للأجساد، وضغن للأحقاد، ومثل هذا التصرف في قتل المرأة، بل والتمثيل بها والاعتداء على ثلاث نسوة لهو دليل على الابتعاد عن المنهج النبوي؛ حيث نهى عن قتلها فكيف بالتشوية في جسدها؟

وهذه الشريعة جاءت لتدلنا على أدب عظيم في الحرب بعدم التعرض للنساء، وهي سماحة الإسلام التي دعا إليها، وسعى لأجل احترام المرأة التي قد تكون إمَّا تعيل بنات وبنين، أو زوجة ذات بعل، أو تحمل في رحمها جنينًا، أو ثمة ولد ينتظر قدومها... إلخ، فنهى الإسلام عن قتلها، بل أمر باحترامها، وأسقط الجزية عنها؛ لأنها ضعيفة عاجزة، وليس لها دخل بقتالٍ، ولا معرفة لنزالٍ.

وإذا قارنا هذه السماحة بسماحة الغرب المزعومة -وخاصةً في الحروب- فإنك تجد الفرق فيما بين السماء والأرض، حيث التشريد والتقتيل وبقر البطون وقتل الأطفال والإبادات الجماعية لأسرة كاملة، والتفجير، والتدمير دون النظر لمنْ هم تحت الأنقاض لا يتنفسون ولا يهمسون، بل لا يألون على طفل رضيع، أو زوجة وضيع، أو شيخ كبير، أو مجنون، أو شاب صغير... وكل هؤلاء جاءت الشريعة الرحيمة بعدم التعرض لهم، ورسمت أجمل لوحة في تاريخ البشرية لتثبت للناس كلهم أنها من عند العزيز الحكيم الرحيم.



المطلب الثاني
النهي عن قتل شيوخهم وكبارهم

النهي عن قتل الشيخ الكبير؛ لأنه من الفئة المسالمة والمستضعفة التي لا علاقة لها بالحرب، فإن كان له رأيٌ في الحرب أو إعانة، فإنه يُقْتل، وهنا حرص الإسلام على الإنصاف بما تعنيه الكلمة، وهي أن مَنْ قَاتَل، قُتِلَ، ومن لم يقاتلْ فإنه لا يُقْتل، مع أن العاجز أمثال الشيخ الكبير يكون متمسكًا بدينه لا يتنازل عن غيره من الأديان، فيكون دخوله في الإسلام ضعيفًا، ومع كل هذا فإن الإسلام كان هدفه من بقائه الرحمة به، وبضعفه، وبقاؤه لأبنائه خيرٌ من قتلِهِ، ولعله حينما يُتْرك ويُغمد عنه السيف، وتُغْمض عنه العين، ينقل هذه الصورة الرائعة عن أخلاق الجندي المسلم، وإن هدفه نشر الدعوة إلى الله ﷻ، ومن ثَمَّ يدخل غيره في الإسلام بسببه.

ولقَدْ كان الرسول ﷺ ينهى عن قتل الشيخ الكبير، ولا شكَّ أنَّ من آداب الحرب في الإسلام عدم قتل الشيوخ الكبار؛ لأن علاقتهم بالحرب تكاد تكون معدومةً، فأمَّا إذا كان لهم رأي في الحرب، فإنهم يُقْتلون بسبب رأيهم وحنكتهم، لا بسبب عمرهم وفنائهم؛ لفِعْلِ الرسول ﷺ بدريد بن الصمة حيث كان له رأي ومكيدة(١).

قال الطحاوي في «شرح معاني الآثار»: «قوله: «لا تقتلوا شيخًا كبيرًا»(٢)، ففي هذا الحديث المنع من قتل الشيوخ، وقد قال رسول الله ﷺ أيضًا في حديث مرقع بن صيفي في المرأة المقتولة: «**ما كانت هذه تقاتل**»، فَدلَّ ذلك أن مَنْ أبيح قتله هو الذي يقاتل، ولكن لما روى حديث دريد هذا، وهذه الأحاديث الأخر، وَجَب أن تصحح، ولا يدفع بعضها ببعض،

---

(١) يعني: إذا كان لا يقاتل، ولا رأي له في ذلك، فأما إذا كان يقاتل أو يكون له رأي في ذلك، فإنه يقتل. على ما روي «أن النبي ﷺ أمر بقتل دريد بن الصمة، وكان ذا رأي في الحرب»، انظر: «شرح السير الكبير» للسرخسي (ص٤٢).

(٢) وهذا السند رجاله ثقات. انظر: «الجوهر النقي على سنن البيهقي»، علي بن عثمان الشهير بابن التركماني، الناشر: دار الفكر.

فالنهي من رسول الله ﷺ في قتل الشيوخ في دار الحرب، ثابتٌ في الشيوخ الذين لا معونةَ لهم على شيءٍ من أمر الحرب، من قتالٍ، ولا رأيٍ، وحديث دريد على الشيوخ الذين لهم معونةٌ في الحرب كما كان لدريد، فلا بأس بقتلهم وإن لم يكونوا يقاتلون؛ لأن تلك المعونة التي تكون منهم أشد من كثيرٍ من القتال...»[١].

وعَلَّم هذا المنهج النبوي الرحيم خلفاؤه من بعده، فكان الصحابي أبو بكرٍ الصديق ﷺ يوصي قائده يزيد بن أبي سفيان ﷺ بقوله: «ولا كبيرًا هرمًا»[٢][٣].

وذكر الطبري روايةً له: «ولا شيخًا كبيرًا»[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولا جزية على شيخٍ فانٍ، ولا زَمِنٍ، ولا أعمى، ولا مريض لا يُرجى برؤه، بل قد أيس من صحَّته وإن كانوا موسرين... لأنَّ هؤلاء لا يقتلون ولا يقاتلون، فلا تجب عليهم الجزية كالنساء والذرية»[٥].



---

(١) أما حديث الصعب بن جثامة أنه سأل رسول الله ﷺ عن الدار من المشركين يبيتون، فيصاب من ذراريهم ونسائهم، فقال ﷺ: «**هم منهم**»، وفي لفظٍ: «**هم من آبائهم**»، وأجيب عنه بوجهين؛ أحدهما: أنه منسوخ. والثاني: أن حديث الصعب هذا إنما هو في تبييت العدو إذا أغير عليه، فقتل من الذرية من غير قصد، ضرورة التوصل إلى العدو، وأما مع عدم الحاجة فالعمل على حديث ابن عمر. انظر: «جامع الأصول» (٧٣٣/٢)، «شرح معاني الآثار» (٢٢٤/٣) «نصب الراية» (٣٨٧/٣). الرواية الأولى في «صحيح البخاري»، كتاب الجهاد والسير، باب أهل الدار يبيتون فيصاب الولدان والذراري (٦١/٤ ح٣٠١٣)، أما لفظة: «**هم من آبائهم**»، فقَدْ صحَّحها الألبانيُّ في «مشكاة المصابيح» (١١٥٤/٢)، «التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان» (١٥٦/٧).

(٢) «**الهَرَم**» بالتحريك: أي: الرجل كبير السن. انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للفارابي (٢٠٥٧/٥).

(٣) انظر: «موطأ مالك» (٦٣٥/٣)، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان. «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص٨١).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٢٢٦/٣).

(٥) انظر: «أحكام أهل الذمة» (١٦١/١)، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: يوسف بن أحمد البكري – شاكر بن توفيق العاروري، الناشر: رمادى للنشر – الدمام.

المطلب الثالث
النهي عن قطع أشجارهم وتخريب عمرانهم

النهي عن قطع الأشجار أو حرقها: لقد جاءت الأخلاق الإسلامية بالحفاظ على البيئة، وعدم السعي في الإفساد الذي لا مصلحة له، فإن كان في قطع أشجار العدو مصلحة راجحة، قطعت لغيظهم، ولو كان ظاهر الفعل الإفساد؛ لأن من الإفساد مصلحة وهي مراغمة الأعداء وغيظهم في قطع أشجارهم أو حرقها، وهذا ما حصل حيث قالت بنو النضير: يا محمد، زعمت أنك تريد الصلاح، أفمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل؟(١)، فحرق رسول الله ﷺ نخل بني النضير وقطع(٢)، فلمَّا وجدوا في أنفسهم من مظنة الفساد في الأرض، طيَّب الله قلوبهم بهذه الآية: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(٣)، واللينة هي النخل سوى العجوة من التمر(٤).

قال العيني: «وحكمه أنه يجوز إذا كان القطع لمصلحة مثل إنكاء العدو ونحوه»(٥).

ولذلك، نُهِيَ الجندي المسلم عن القطع، أو الحرق؛ لأنه لا مصلحة له من السعي في الأرض للفساد والإفساد، بل واجب عليه عمارتها التي لا تكون إلا بترك أشجارها وثمارها، ولم تأتِ الأخلاق الإسلامية بدمارها التي تكون بقطعها، وحرقها، وإتلاف ثمرها رحمةً بمن يتقوت منها، ويستظل بظلها، ويأكل من ثمرها، ويتزين بمنظرها، وغير ذلك من المصالح في عمارة الأرض.

---

(١) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٥٥٣/٢)، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض.

(٢) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير، ومخرج رسول الله في دية الرجلين (٨٨/٥ ح٤٠٣١).

(٣) سورة الحشر: آية (٥).

(٤) انظر: «تفسير ابن كثير» لابن كثير (٦١/٨).

(٥) انظر: «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» للعيني (١٦٢/١٢).

واهتمَّ المسلمون بالإنشاءات العمرانية العظيمة في كلِّ البلدان التي فتحها الله لهم، في الشام، والعراق، ومصر، وبلاد فارس، وبلاد المغرب حتى أقصى الأندلس، وفي أفغانستان، والهند والسند، وفي سائر بلدانهم في الشرق، ومن مُنْشآتهم الحضارية العظيمة تخطيط المدن وإقامتها، وبناء المساجد والمدارس والقصور ودور السكن، وبناء القلاع والحصون والمعسكرات، وإنشاء الأسواق التجارية المظللة المغلقة المحفوظة بالأبواب والحراس، وتعبيد الطرقات ورصفها، وإنشاء الجسور والقناطر، وإنشاء الأبراج للمراقبة، وإنشاء المنارات البحرية للسفن...

ولا يزال متتبعو الآثار والسائحون ينبهرون وتأخذهم الدهشة من عظمة آثار المسلمين العمرانية[(١)].

ولقد جاء الإسلام بآداب الحرب حتى في القتال.. وميَّز تمييزًا واضحًا بين المقاتلين وغير المقاتلين؛ فواجب الجيش المسلم الاتجاه بقوته لتحطيم مقاومة المقاتلين فعلًا في ميدان القتال، أما مَنْ لم يباشر القتال بنفسه من الأعداء، فليس لنا أن نقتله أو نتعرض له[(٢)]، فكان يرفع السيف عن الأطفال البراء، والنساء العجائز، والشيوخ الركع، والقامعين في صوامعهم، بعيدين عن مواطن القتال، وكان لا يحرص على سلامة أرواح غير المقاتلين من الأعداء فحسب، بل يوصي المقاتلين المسلمين بعدم التعرض للأهداف المدنية، وينهاهم عن التدمير والهدم والتحريق؛ لأن الإسلام جاء ليبني الحياة ويعمرها، ولم يجئ ليهدمها ويخربها حتى وهو في ميدان القتال لا ينسى أبدًا تلك الأهداف النبيلة مثل وصية أبي بكر الصديق ﷺ ليزيد بن أبي سفيان ﷺ، وهو متوجه إلى ميدان القتال قائلًا لهم: «ولا تقطع شجرًا مثمرًا، ولا تخربن عامرًا، ولا تعقرن شجرًا بدا ثمره، ولا تحرقن نخلًا، ولا تقطعن كرمًا، ولا تذبحن بقرة، ولا ما سوى ذلك من المواشي إلا لأكلٍ»[(٣)]؛ لأن عمارة الأرض غايةٌ كلٌّ يسعى إليها إلا المفسد، وإصلاحُهَا مطلبٌ

---

(١) انظر: «الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم» (ص٦٣٩)، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، الناشر: دار القلم – دمشق، ط: الأولى المستكملة لعناصر خطة الكتاب ١٤١٨هـ.

(٢) انظر: «السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي» لعبد الشافى (ص١٧٨).

(٣) انظر: «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص٨١)، «تاريخ الطبري» للطبري (٣/٢٢٦)، «السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي» لعبد الشافى (ص١٧٨).

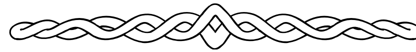
مرغوبٌ كما أن دمارها غير مرغوبٍ، وكما جاء المدح في زراعتها، وإقامتها، وبنائها، وتشييدها، جاء أيضًا الذم في إفسادها وتدميرها، وجاء في الشريعة الإسلامية تحريم إفساد الثمار والزروع وإحراق الدور والأمتعة، وعن كل إتلاف وإفساد تكون منه مندوحة، ونهى أيضًا عن قطع النخيل أو تسميم المياه(١).

وهنا جاء الأدب الحربي في نخيلهم بتركها، وعدم قطعها، وعقرها، أو بعدم غرقها وتحريقها كما في راوية: «ولا تغرقن نخلًا، ولا تحرقنه»(٢)، أو بتفريقها كما في راوية: «ولا تفرقن نخلًا»(٣).

وحينما تعي هذا الشعوب، وتراه عيانًا بيانًا، فترى جيشًا لا يقطع نخلًا، ولا يحرقه، ولا يهدم بيتًا ولا يدمره، ولا يهشم زرعًا، ويخرب حرثًا؛ ستدخل حتمًا في دين الله أفواجًا طائعةً مختارةً، فهل تحافظ الجيوش المشركة على واحدٍ من هذه الأشياء، أم أنها تحول البلاد التي تحاربها إلى خرابٍ ودمارٍ؟ والمثال قائم فيما يحصل من تسلط العدوان الشيوعي على بلاد المسلمين في الشام والعراق وبورما وغيرها من البلدان الإسلامية خير دليلٍ على ذلك...

وأقر خالد بن الوليد رضي الله عنه في معركة المذار الفلاحين على فلاحتهم وزراعتهم بمقابل الجزية(٤)؛ لأن الدين الإسلامي جاء لعمارة الأرض وزراعتها، وليس في إفسادها وإهمادها، ومن باب أَوْلى ترك الفئة المسالمة، وهذا خُلق رفيع جاء به هذا الدين العظيم.

لقد كان القادة الفاتحون يَحْملون دعوتهم تطبيقًا وعملًا؛ فكانوا قبل رَفْعهم السلاح يفكرون بتلك الأرواح البريئة؛ لأن استحضار ما أَوْصَاهم به قائدهم جَعَلوه نصب أعينهم، فكانوا خير القرون.



(١) انظر: «السياسة الشرعية في الشئون الدستورية والخارجية والمالية» (ص٩٤)، عبد الوهاب خلاف (المتوفى: ١٣٧٥هـ)، الناشر: دار القلم، الطبعة: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م..

(٢) انظر: «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص٨١).

(٣) انظر: «تاريخ ابن خلدون» (٢/٤٨٩).

(٤) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (٩/ ٥١٧).

المطلب الرابع
النهي عن الغدر بهم وإمضاء الأمان لهم

النهي عن الغدر؛ لأن الغدر ليس من أخلاق الجندي المسلم، وهو أعظم من الخيانة؛ لأن الخيانة قد تكون ظاهرةً، ولكن الغدر يأتي بوجه الأمان، ويخفي الوجه الآخر، وهو الغدر عن غرة وغفلة، وهي انتقام ضد الرحمة المطلوبة للمسلم.

ولذلك، تميَّز الجيش الإسلامي بهذا الخُلق النبيل حتى مع أشدِّ الأعداء؛ لأنه يعلم قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾(١).

لقد كان المسلمون يُوَاجهون أعداءهم، ويجدون منهم القوَّة والشدَّة والغِلظة بالقول والسباب والشتائم مع ما يكون من نزعات النفس البشرية بحبِّ الانتقام والغضب والثأر وغيرها من نوازع، ومع كلِّ هذه الدوافع إلا أن الجندي المسلم لا ينتقم لنفسه، بل تحلَّى بخُلق الرحمة العظيمة، وتذكر عهده الذي عاهده مع ربِّه، ثم مع قائده، بَلْ وصلت أخلاق المسلم أنه لو أشار أحد جندهم إشارة فَهِم منها العدو أن فيها أمانًا عند المسلمين، فإنهم يجرون ذلك مجرى الأمان، فكانت هذه صفة في الجندي المسلم، ورمزًا لصدقه ووفائه بعهده.

ولا شكَّ أن الإسلام نهى عن هذا الخلق المشين، وهو الغدر، يقول عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ أمن رجلًا على نفسه، فقتله؛ أعطي لواء الغدر يوم القيامة**»(٢).

وسئل مالك عن الإشارة بالأمان، أهي بمنزلة الأمان؟ فقال: نعم، وإني أرى أن يتقدم إلى الجيوش: ألَّا يقتلوا أحدًا أشاروا إليه بالأمان؛ لأن الإشارة عندي بمنزلة الكلام(٣).

---

(١) سورة التوبة: آية (٤)،

(٢) صحيح، «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للألباني (٨٠١/١).

(٣) انظر: «موطأ مالك» (٦٣٨/٣).

وعن النبي ﷺ قال: «**ذِمَّة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم**»[(١)]، ومعنى هذا عند أهل العلم أن من أعطى الأمان من المسلمين، فهو جائز على كلهم.

وقال أهل العلم: «إذا أمَّنَ المسلمون رجلًا على أن يدلهم على كذا ولا يخونهم، فإن خانهم فهم في حلٍّ من قتله»[(٢)].

وكان الصحابي الصِّدِّيق رضي الله عنه يوصي جيشه بعدم الغدر أو الخيانة أو الغل، فكان يقول لهم: «...لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا...»[(٣)].

ولما فتح الصحابي خالد بن الوليد رضي الله عنه بصرى، ورأى أهلها أنهم قد غلبوا، نادوا بالأمان الأمان، فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه: ارفعوا السيف عنهم، وأقام خالد إلى الصباح، واجتمع إليه أهله[(٤)].

وكذلك لما دار حوار قبل معركة اليرموك بين عرب النصارى، وهو جبلة بن الأيهم، وعرب المسلمين وقائدهم عبادة بن الصامت رضي الله عنه، فقال له عبادة رضي الله عنه: لا صلحَ بيننا إلا بأداء الجزية، أو الإسلام، أو السيف، وهو حكم بيننا وبينكم، والله لولا أن الغدر يقبح بنا لعلوتك بسيفي..[(٥)]، فرفع عبادة بن الصامت رضي الله عنه السيف مخافة الوقوع في الغدر.

وفي معارك الشام سطَّر الصحابة مع قائدهم خالد بن الوليد رضي الله عنه خير خُلقٍ في عدم الغدر، وهو أنه لما تقدَّم خالد رضي الله عنه وحوله أبطال المسلمين، فلمَّا قربوا من القوم، رموا رماحهم من أيديهم والسيوف، وترجلوا ونادوا بالأمان، فقال خالد رضي الله عنه: اقبلوا أمانهم، وائتوني بهم، فأتوا إليه، فقال

---

(١) صحيح. انظر: «صحيح وضعيف سنن الترمذي» (٧٩/٤)، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٢) انظر: «شرح السير الكبير» للسرخسي (ص٢٧٨).

(٣) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٢٢٦/٣).

(٤) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٢٩/١).

(٥) المصدر نفسه (١٥٧/١).

خالد ﷺ: مَنْ أنتم؟ فقالوا: نحن من جند هذا الرجل وردان، ومقامنا بحمص، وقد تحقق عندنا إنه ما يطيقكم ولا يستطيع حربكم، فأعطونا الأمان واجعلونا من جملة مَنْ صالحتم من سائر المدن حتى نؤدي لكم المال الذي أردتم في كلِّ سنةٍ[١]، ولما جاء كتاب خالد بن الوليد ﷺ لأبي بكر الصديق ﷺ، ردَّ عليه قائلًا: «فأتم للقوم ما صالحتهم عليه، ولا تغدر بهم»[٢].

وفي عهد الفاروق ﷺ لما فتح المسلمون مصر، قال معاذ بن جبل ﷺ للأقباط وكان من ضمن مجريات الصلح: «... لقد نصرنا الله على الكفار بصدق نيَّاتنا، وصلح أعمالنا، واتِّباعنا للحقِّ، وإنا ما قلنا قولًا إلا وفَّيناه، ولا استعملنا الغدر، ولا المكر، وأنتم لكم الأمان على أنفسكم، وأموالكم، وحريمكم، وأولادكم، ومَنْ بَقي منكم على دينه فلن نكرهه...»[٣].

وذكر عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: «أيما رجل من العدوِّ أشار إليه رجل بأصبعه: إنك إن جئت قتلتك، فجاءه فهو آمنٌ، فلا يقتله»، وقد أوضح ﷺ لجنده وقادتهم أن إعطاء الأمان يكون أمانًا باللفظ الدالِّ عليه؛ سواء كان بالعربية أم بغيرها[٤].

كَمَا ورد عنه حينما كتب للصحابي سعد بن أبي وقاص ﷺ: «... فإن لاعب أحد منكم أحدًا من العجم بأمان أو قرفه[٥] بإشارةٍ أو بلسانٍ، فكان لا يدري الأعجمي ما كلَّمه به، وكان عندهم أمان، فأجروا ذلك له مجرى الأمان، وإياكم والضحك، والوفاءَ الوفاءَ! فإن الخطأ بالوفاء بقية، وإن الخطأ بالغدر الهلكة..»[٦].

وذكر ابن عبد البر في «الاستذكار» قصة عن إمضائه الأمان، فقال راويًا عن أنس

---

(١) المصدر نفسه (٤٢/١).

(٢) انظر: «مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة» للحيدر آبادي (ص٣٥١).

(٣) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٦٢/٢).

(٤) انظر: «دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية ﷺ» لعبد السلام آل عيسى (١٠٩٨/٢).

(٥) «**قارف الشيء**»: قاربه وخالطه. انظر: «المعجم الوسيط» (٧٢٩/٢).

(٦) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٤٩٢/٣).

قال: «حاصرنا تستر، فنزل الهرمزان على حكم عمر ﷺ مُنزله به أبو موسى ﷺ معي، فلمَّا قدمنا على عمر ﷺ، سكت الهرمزان فلم يتكلم، فقال عمر ﷺ: تكلَّم، فقال: كلام حي أم كلام ميت؟ قال عمر: تكلم فلا بأس، فقال: إنا وإياكم معشر العرب ما خلى الله بيننا وبينكم، كنا نقتلكم ونعصيكم، فأما إذ كان الله معكم، فلن يكون لنا بكم يدان، فقال: نقتله يا أنس؟ قلت: يا أمير المؤمنين، قلت: خلفي شوكة شديدة، وعدو كثير، إن قتلته يئس القوم من الحياة، وكان أشد لشوكتهم، وإن استحييته، طمع القوم، فقال: يا أنس، استحي، قاتل البراء بن مالك ومجزأة بن ثور، فلما خشيت أن يتسلط عليه قلت له: ليس لك إلى قتله سبيل، فقال: أعطاك أصبته منه. قلت: ما فعلت، ولكنك قلت له: تكلم فلا بأس. قال: أتجيئني بِمَنْ يشهد معك وإلا بدأت بعقوبتك؟ قال: فخرجت من عنده، فإذا أنا بالزبير بن العوام ﷺ قد حفظ ما حفظت، فشهد عنده، فتركه وأسلم الهرمزان...»(١).

ولما خرج الصحابة مع الصحابي أبي موسى الأشعري -رضي الله عنهم أجمعين-، ولحق رجلان بمشرك، وقال كلمةً لهم: (مطرس)، فأخذاه، فجاءا به إلى الصحابي أبي موسى الأشعري ﷺ، فقال له أحد الرجلين: إن هذا قد جعل له الأمان، فقال أبو موسى ﷺ: فقد جعل له الأمان؟ قال: إنه كان يسعى ذاهبًا في الأرض، وقلت له: مطرس، فقام، فقال أبو موسى ﷺ: وما مطرس؟ قال: لا تخف. قال: هذا أمان، فخليا سبيله، فخليا سبيل الرجل، وكتب عمر ﷺ إلى أهل الكوفة أنه ذكر لي أن «مطرس» بلسان العرب والفارسية: لا تخف، فإن قلتموها لمن لا يفهم لسانكم فهو آمنٌ(٢).

وبعد معركة القادسية أرسل عمر ﷺ زهرة بن جويرية ومعه بعض الصحابة ﷺ إلى العراق،

---

(١) انظر: «الاستذكار» (٣٥/٥)، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ - ٢٠٠٠.

(٢) المصدر نفسه (٣٦/٥).

وحينما دخل الكوفة، جاءه أهل السواد يطلبون منه الأمان، فأمنهم[(١)]، قالوا: وخفر العهد موجب لتسليط العدو كما أن ظهور الغلول في الغزاة سبب في إلقاء الرعب في قلوبهم..

قال الأزهري: «الخفر أقبح الغدر»[(٢)].

وكان صلح عمر ﷺ الذي صالح عليه أهل الذِّمة، أنهم إن غشوا المسلمين لعدوهم برئت منهم الذِّمة، وإن سبوا مسلمًا أن ينهكوا عقوبةً، وإن قاتلوا مسلمًا أن يقتلوا، وعلى عمر ﷺ مَنَعتهم، وبرئ عمر ﷺ إلى كلِّ ذي عهدٍ من معرة الجيوش[(٣)]، فكان ﷺ يؤمنهم، ويتبرأ ممَّن يغدر بهم؛ لأنَّ ذمَّتهم واحدة يقوم بها أدناهم.



(١) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١/١٥٧).

(٢) انظر: «بدائع السلك في طبائع الملك» لابن الأزرق (٢/٥٥).

(٣) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٤/٣٢).

المطلب الخامس
النهي عن قتل أهل الصوامع والرهبان

النهي عن التعرض لأهل الصوامع من عباد ورهبان: لأن الدين الإسلامي يحترم الأديان السابقة، لا إقرارًا على دينهم وعقيدتهم، ولكن رحمة بهم بعدم قتلهم؛ لأنهم طائفة مسالمة إثمهم عليهم، انشغلوا بالرهبانية، والعبادة، والتنسك بعيدًا عن ساحات القتال، فإن كان لهم عون لناس؛ فينزلون إلى الناس، أو تصعد الناس إليهم، أو رأي، أو تميزوا بالصفة المذكورة من حلق أوساط رؤوسهم، فهؤلاء بسبب مشاركاتهم وطرح آرائهم أو صفاتهم يمضي على رقابهم السيف(١).

وهنا تأتي أخلاق الجندي المسلم حيثُ الحرص الشديد، والاحتياط بعدم هدر الدماء، والسعي في الفساد والقتل، واستحضار المسلم هؤلاء دائمًا بين عينيه لتشملهم الرحمة؛ لأنه دين الرحمة، ورسوله الرحيم، بل رسالته قُرنت بالرحمة، فقال جل شأنه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾(٢).

ولقد كان منهج النبي ﷺ النهى عن قتل أهل العبادة من رهبان وعباد وغيرهم، فعن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «**لا تقتلوا أصحاب الصوامع**»(٣).

وكان من سماحته ﷺ الحفاظ على شعورهم وحريتهم في دينهم تاركًا لهم حق ممارسة طقوسهم الدينية، بل نهى عن إخراجهم من كنائسهم أو المساس بها، وألزم المسلمين هناك أن يدافعوا عنهم ولا يلزموهم بالخروج إلا عن طيب نفس منهم، ولا يخرجوا الأساقفة ولا الرهبان، وأن يحفظوهم تحت جناح الرحمة، وأن لا يهدموا كنائسهم أو بيعهم.. كما في وثيقته مع رهبان دير سانت كاترين في سيناء المصرية(٤).

---

(١) انظر: «الأحكام السلطانية» للماوردي (ص٧٧).

(٢) سورة الأنبياء: آية ١٠٧.

(٣) إسناده صحيح: «مسند أبي يعلى الموصلي» (٥/٥٩)، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤.

(٤) انظر: «مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة» للحيدر آبادي (ص١٨٧)، «أخلاقيات الحرب في

وقال الطحاوي في «شرح معاني الآثار»: «لما جرت سنة رسول الله ﷺ، على ترك قتل أصحاب الصوامع الذين حبسوا أنفسهم عن الناس، وانقطعوا عنهم، وأمن المسلمون من ناحيتهم؛ دلَّ ذلك أيضًا على أن كلَّ من أَمِنَ المسلمون من ناحيته، من امرأة، أو شيخ فان، أو صبي كذلك أيضًا، لا يقتلون»(١).

ونصَّ أهل العلم على حرمة قتلهم ما لم يقاتلوا في كتبهم(٢)، وكان الخلفاء بعده يوصون قادتهم بعدم المساس بأهل الكنائس أو البيع، وكذلك العباد والأحبار والرهبان، فكان الصديق رضي الله عنه يقول لجيشه: "... وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له.. وتلقون أقوامًا قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب، فاخفقوهم بالسيف خفقًا، اندفعوا"(٣).

وهنا أوضح لنا الصديق رضي الله عنه علامة الفريقين ففريق يرفع عنه السيف، وفريق يخفق بالسيف، وهذا يدلُّ على رحمة الإسلام بمن ليس لهم صلة في الحرب من رأي، أو تدبير، أو إعانة، ويدلُّ على شمولية عدله حتى مع الأعداء؛ كما قال تعالى: ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾(٤).

قال ابن الجوزي في تفسيره: «وكونوا قوامين لله بالحق، ولا يحملنَّكم بغض قوم على ترك العدل»(٥).

= الإسلام» (ص٨٣)، محمد إقبال الندوي، منشورات المنظمة الإسلامية، شبكة الألوكة، ط: ١٤٣٥.

(١) انظر: «شرح معاني الآثار» (٣/٢٢٥)، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، حققه وقدم له: (محمد زهري النجار - محمد سيد جاد الحق) من علماء الأزهر الشريف، راجعه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: د يوسف عبد الرحمن المرعشلي - الباحث بمركز خدمة السنة بالمدينة النبوية، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٢) قال مالك: "لا يقتل الأعمى ولا المعتوه ولا أصحاب الصوامع، ويترك لهم من أموالهم بقدر ما يعيشون به. وكذلك لا يقتل الشيخ الفاني". انظر: «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» (٢/١٤٦)، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ)، الناشر: دار الحديث - القاهرة.

(٣) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣/٢٢٧).

(٤) سورة المائدة: آية ٨.

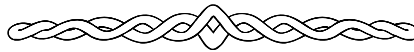
(٥) انظر: «زاد المسير في علم التفسير» (١/٥٢٤)، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: =

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[١]، قال ابن كثير في تفسيره: «قاتلوا في سبيل الله، ولا تعتدوا في ذلك، ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي -كما قاله الحسن البصري- من المثلة، والغلول، وقتل النساء والصبيان والشيوخ الذين لا رأي لهم ولا قتال فيهم، والرهبان وأصحاب الصوامع، وتحريق الأشجار، وقتل الحيوان لغير مصلحة»[٢].

وتظهر سماحة الإسلام في رفع السيف عن الفئات التالية مثل: المرأة، والصبي، والشيخ الفاني، والمجنون، والمريض، والأعمى، والراهب المنعزل، والأجير، ومن أسلم حال القتال[٣]، كما أسقطت شريعة الإسلام عنهم الغرامة والجزية، كما في عهد النبي ﷺ للنصارى بقوله: «... ولا يحمل على الرهبان والأساقفة ولا مَن يتعبد جزية ولا غرامة»[٤].

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنهما- ومن معه من الأجناد: «... فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها...»[٥].

وكثرت وصايا الصحابة ﷺ بهذه الفئة المسالمة؛ مما يدلُّ على شمولية الرحمة لهم وموازنة العدل بينهم، وهذا من سماحة الأمة المحمدية على صاحبها أفضل وأزكى السلام.



= ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

(١) سورة البقرة: آية ١٩٠.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» لابن كثير (٥٢٤/١).

(٣) انظر: «أخلاق الحرب الإسلامية في ضوء القران الكريم»، (ص٣٩٨)، الرائد علي محمد الشهري- بحوث جائزة سلطان الدولية.

(٤) انظر: «مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة» للحيدر آبادي (ص٥٦٢).

(٥) انظر: «العقد الفريد» لابن عبد ربه (١١٨/١).

المطلب السادس
محاورتهم ودعوتهم

نظرًا لأن الحرب في الإسلام تكون لإعلاء كلمة التوحيد، وحيثُ أن هذا هو الغاية من الجهاد في سبيل الله، فحينما يعلن العدو الدخول في الإسلام أو الصلح؛ فإنه يجب على المسلمين رفع أيديهم عنهم، وعدم قتالهم؛ لأن النفوس المسلمة تسعى إلى تلك المواقف وتتطلع لمثلها، فهي مبشرات بدخول عدوه الإسلام، أو النظر فيه قبل الدخول، كما يحصل في الصلح؛ لأن الجهاد لم تَقُم دعائمه إلا لأجل تبليغ الناس الدعوة المحمدية، ولقد كان منهج الرسول عليه الصلاة والسلام يمثل أعظم منهج مستقيم حيث الحوار سواء قبيل المعركة أو أثنائها أو بعد أن تضع الحرب أوزارها، واقتدى خلفاؤه رضي الله عنهم من بعده، فكان خالد بن الوليد رضي الله عنه في عهد الصديق رضي الله عنه يحاورهم أثناء القتال ويسألهم ويسألونه، ويدعوهم إلى الدخول في الإسلام أو الصلح والعهد والذِّمة[(١)].

وفي التصدِّي لمالك بن نويرة كان مما أوصاهم به أبو بكر رضي الله عنه: إذا نزلتم فأذِّنوا وأقيموا؛ فإن أذَّن القوم وأقاموا فكفُّوا عنهم، وإلا فالحرب، وإن أجابوا إلى الإسلام فسائلوهم، فإن أقروا بالزكاة فاقبلوا منهم، وإن أبوا فالحرب[(٢)]، وهذا مظهر من مظاهر الرحمة؛ حيثُ التريث وعدم الاستعجال بالقتل، وهو أنه ينتظر القائد حتى يسمع منهم ما يدلُّ على ظهور علامات إسلامهم، وهذا لا يكفي، بل لا بدَّ من الإقرار كذلك بألسنتهم في عدم منع الزكاة، مع أن الظاهرة الأولى كافية على الحكم على الإسلام، ولكن بقي الركن الثاني وهو الزكاة التي من أجلها جُيِّشت الجيوش، فإن أقروا بها، فيجب الكف عنهم، وإن منعوها، فإنهم يقاتلون لكفرهم بمنعها.

---

(١) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١/ ٤٢).

(٢) انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي (٤/ ٧٨)، «عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين» لأكرم العمري (١/ ٤٠٦-٤٠٧).

ومن مظاهر الرحمة: مساءلة ومجادلة الكافر أو المرتد قبل الحكم عليه، وفي رواية أن الصديق ﷺ قال للجيش: «استبرؤوا الناس»(١). وهذا مظهر جليل في التثبت في الأحكام قبل إمضائها؛ لأن قتل النفس ليس سهلًا، ولو كانت كافرة، فليس كلُّ كافر يقتل إلَّا ما استثناه الشرع منهم، ولما سار الصحابي خالد ﷺ إلى الأبلة راسل حاكمها هرمز الساساني يدعوه للإسلام أو الجزية أو الحرب(٢)، وحينما يدعوه إلى الإسلام وهو أفضل ما يقع اختياره عليه فهو الأمن والأمان والإيمان، فإن أبى عرض عليه الجزية وهي الخيار المساوي لطرفين بحيث يكون بقاؤهم -مع أخذ المال منهم- بشرط الكف عنهم كناحية شخصية، وحمايتهم كناحية اجتماعية، فإن أبَوْا وكابروا فليس لهم إلا القتل، وحينما تتأمل في كيفية تعامل المسلمين مع الكفار ستجد خلق الرحمة بهذه الخصال التي دعا إليها الإسلام؛ حيثُ لم يحتِّمِ القتل دون خيار، بل أعطى فرصة للنظر والتأمل، مثل عقد الأمان والعهود والمواثيق بيننا وبينهم.

وكذلك عرض مثل هذه الخصال حيث الإسلام والدخول في النور بعيدًا عن الظلمات، وهو خير ما دعي له الكافر لو كان يعلم، ثم تأتي المرتبة الثانية، وهي الجزية؛ حيث المساواة بين الطرفين، ثم تأتي آخر مرحلة؛ فما بعد العلاج إلا الكيّ وهو القتل؛ حيثُ عدم الوقوف في وجه هذه العقيدة رحمة بغيرهم مع أنها تسعى لإخراجهم من الشقاء إلى السعادة وغيرها من الفضائل.

وكذلك ذكر الواقدي في معارك خالد بن الوليد ﷺ الشامية قصة جميلة في الحوار أثناء القتال وهي: «أنه لما ظهر صاحب بصرى، وقال لجند الصحابي خالد بن الوليد ﷺ: أنا صاحب بصرى، قال: فخرج إليه خالد ﷺ كالأسد الضرغام وقرب منه، فقال له البطريق: أنت أمير القوم؟ قال: كذلك يزعمون أني أميرهم ما دمت على طاعة الله ورسوله، فإن عصيته فلا إمارة لي عليهم، قال البطريق: إني رجل عاقل من عقلاء الروم وملوكهم، وإن الحقَّ لا يخفى عن ذي بصيرة، واعلم أني قرأت الكتب السابقة والأخبار الماضية فوجدت أن الله تعالى يبعث

---

(١) انظر: «البدء والتاريخ» للمقدسي (٥/ ١٦٢)

(٢) انظر: «تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية» لمحمد طقوش (ص١٣٢).

قرشيًّا واسمه محمد بن عبد الله، قال خالد ﷺ: والله نبيِّنا، قال: أنزل عليه الكتاب؟ قال: نعم القرآن. قال روماس البطريق: أحرم عليكم فيه الخمر؟ قال خالد ﷺ: نعم من شربها حددناه، ومن زنى جلدناه، وإن كان محصنًا رجمناه، قال: أفرضت عليكم الصلوات؟ قال: نعم خمس صلوات في اليوم والليلة، قال: أفرض عليكم الجهاد؟ قال خالد ﷺ: لولا ذلك ما جئناكم نبغي قتالكم، قال روماس: والله إني لأعلم أنكم على الحق وإني أحبكم وحذرت قومي منكم، وإني خائف منكم، فأبوا، فقال خالد ﷺ: فقل: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله يكون لك ما لنا، وعليك ما علينا فقال: إني أسلمت وأخاف أن يعجل هؤلاء بقتلي وسلبي حريمي، ولكن أنا أسير إلى قومي وأرغبهم فلعلَّ الله أن يهديهم، فقال خالد ﷺ: وإن رجعت إلى قومك بغير قتال يكن بيني وبينك خوف عليك، ولكن أحمل عليَّ حتى لا يتهموك وبعد ذلك اطلب قومك، فحمل بعضهم على بعض وأرى خالد ﷺ الفريقين أبوابًا من الحرب حتى أبهر روماس، فقال لخالد ﷺ: شدد عليَّ الحملة حتى يرى الديرجان، فإني خائف عليك من بطريق بعث به الملك يقال له: الديرجان»(١).

لقد كان هدف الصحابي خالد بن الوليد ﷺ هو دخول صاحب بصرى الإسلام، وحينما خاف على نفسه وأبنائه كان دور خالد بن الوليد ﷺ أعظم وسماحته أكرم، أبى إلا أن يصاحبه خوفًا عليه من قومه أن يقتلوه، ورغبة بدخولهم الإسلام جميعًا لما رأوا من صنيع خالد ﷺ بقائدهم؛ حيث الاحتفاء والتكريم والحوار الهادف، وكان خالد ﷺ -كما قرأنا- يرغبه بالدخول -عن طريق الاقتناع- بهذا الدين، لا جبرًا ولا إكراهًا، وقد نجحت قصة الحوار حيث اقتنع فيه، وأراد أن يقتنع الجميع، وهذا من رحمة خالد ﷺ بهذا القائد.

وفي فتح أصبهان لما خرج عبد الله بن ورقاء الرياحي من نهاوند قاصدًا أصبهان.. ودار حوار خلال المعركة بين الفاذوسفان ملكهم وعبد الله بن ورقاء؛ حيثُ قال له:.. لا تقتل أصحابي، ولا أقتل أصحابك، ولكن ابرز لي، فإن قتلتك رجع أصحابك، وإن قتلتني سالمك

(١) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٢٧/١).

أصحابي، وإن كان أصحابي لا يقع لهم نشابة، فبرز له عبد الله، وقال: إما أن تحمل عليَّ، وإما أن أحمل عليك، فقال: أحمل عليك، فوقف له عبد الله، وحمل عليه الفاذوسفان... وقال: ما أحبّ أن أقاتلك؛ فإني قد رأيتك رجلًا كاملًا، ولكن أرجِعُ معك إلى عسكرك فأصالحك، وأدفع المدينة إليك، على أن من شاء أقام ودفع الجزية وأقام على ماله، وعلى أن تجرى من أخذتم أرضه عنوة مجراهم، ويتراجعون، ومن أبى أن يدخل فيما دخلنا فيه ذهب حيثُ شاء، ولكم أرضه، قال: لكم ذلك(١).

لقد بينت الشريعة الإسلامية أحكام الإسلام قبل القتال عن طريق تنشيط العلاقات الدولية، ومناقشة الخصم في القضايا المثارة، وعرض الإسلام عليه، عسى أن يتحقق السلام وينتشر الأمن في إطار حكيم حسن، بالكلمة الحرة، والقول الأمين؛ ولذلك كان عرض الإسلام على الآخرين أمرًا واجبًا على مَن يتصدَّى لهم ويقابلهم"(٢).

واتسمت الرسالة الإسلامية بعيدة عن الجدل العقيم وشاملة للرحمة من جميع جوانبها وداعية للحوار الهادف والجدل بالتي هي أحسن، تدور فقط حول محل النزاع، وتخاطب الشخص المخالف، وتأخذ بيده نحو الحق، وتبين له أسباب الخلاف، وتدلي له بأدلة وبراهين؛ ليصبح عنده الحق واضحًا؛ كما أن الزيغ عنه مهلك، وليصبح أخًا لنا قبل أن يكون عدوًّا، وهذا مما يدلُّ على عظمة هذا الدين، وكيف يسير بمنظومة مخططة، ورحمة واسعة، ودلائل نيرة، وأساليب مقنعة تحتاج لمتجرد عن الهوى، باحث عن الحقيقة، مؤمل بوصوله للحقِّ.



(١) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٤/١٤٠).

(٢) انظر: «السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني» لأحمد غلوش (ص٦٤٦).

المطلب السابع
النهي عن قتل رسلهم وسفرائهم

لقد تكفلَّت سماحة الإسلام للسفراء، أو الرسل، أو الدبلوماسيين، أو المبعوثين: أن تسبل عليهم لباس الرحمة والصيانة والحماية بجميع أنواعها؛ لأجل أن يؤدوا رسالتهم على أكمل وجه وأحسن حال، ولقد كان الرسول ﷺ يستقبل الرسل والسفراء أعظم استقبال وأبهره مليئًا بالاحترام، والتكريم، ومؤمنًا لهم فكانت حالتهم عنده أشد طمأنينة من حالتهم قبل بأبي هو وأمي ﷺ.

ولقد أعطى رسل الحديبية الأمان فكانوا يترددون عليه ويسمعون منه[١] وبين القرآن هذا الأمان بقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾[٢].

وأيضًا ثبت ذلك بالسُّنة القولية، والعملية؛ فالنبيُّ ﷺ لم يقتل رسل مسيلمة الكذاب، وقال: «**لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما**»[٣]، وكان له كتاب ورسل وسفراء، فكان ما وصلنا من كتب ومواثيق ومعاهدات قام بإبرامها النبي ﷺ تتجاوز المئتين وخمسين كتابًا، وشملت معاهدات مع اليهود والنصارى، وعقود صلح بين النبي ﷺ والقبائل، وكتب إقطاع وأمان ورسائل دعوة إلى رؤساء القبائل والملوك والأمراء، مما يجعلنا نؤكِّد على أن سفارات الرسول ﷺ وكتبه كانت عملًا بديعًا من أعمال الدبلوماسية والعلاقات الدولية، وقد ذكرت المصادر أسماء هؤلاء الرسل الذين بعثهم النبي ﷺ إلى الملوك، وأرسل معهم كتبًا يدعوهم فيها إلى الإسلام[٤].

وأجمع الفقهاء على تأمين وحماية الرسل والسفراء، وأجازوا للمبعوث السياسي أن يدخل

---

(١) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط (١٩٥/٣ح ٢٧٣١).

(٢) سورة التوبة: آية ٦.

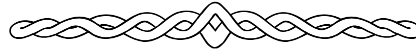
(٣) انظر: «صحيح الجامع الصغير وزيادته» للألباني (٩٤٠/٢).

(٤) انظر: «الإدارة في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم» لأحمد عجاج (ص١٢٨).

بلاد المسلمين بدون حاجة إلى عقد أمان ولم يجيزوا الغدر برسل العدو وسفرائه؛ حتى ولو قتل الأعداء رهائن المسلمين الموجودين عندهم؛ فلا تقتل رسلهم؛ لقول بعض الصحابة[١]: «وفاء بعهد من غير غدر خير من غدر بغدر»[٢]، وكان الخلفاء من بعده يوصون باحترام الرسل والسفراء وعدم قتلهم، فكان الصديق ﷺ يقول للصحابي يزيد بن أبي سفيان ﷺ: "... وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم، وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به، ولا ترينهم فيروا خللك ويعلموا علمك..."[٣].

وإكرام رسل العدو إذا قدموا، مع الاحتراس منهم وتمكينهم من معرفة واقع الجيش الإسلامي، فإكرامهم نوع من الدعوة إلى الإسلام فيما إذا عرف العالم ما يتحلى به المسلمون من مكارم الأخلاق، ولكن لا يصل هذا الإكرام إلى حدِّ إطلاعهم على بطانة أمور المسلمين؛ بل ينبغي إطلاعهم على قوة جيش المسلمين؛ ليرهبوا بذلك أقوامهم.

وإذا أردت معرفة ما تحلى به المسلمون من أخلاق عالية قارن بين هذا الاستقبال واستقبال يزدجرد للوفد، وكيف أساء الأدب معهم بسؤاله عن ألبستهم التي يلبسونها، ونعالهم التي ينتعلونها وأسواطهم التي يحملونها ومحاولة تحقيرهم واستنقاصهم[٤].



(١) لما غدر ملك الروم وكان معاوية قد أبرم معه صلحًا وعنده رهائن فلم يقتلهم مقابل غدرهم. انظر: «فتوح البلدان» للبلاذُري (ص١٥٩).

(٢) انظر: «السياسة الشرعية - جامعة المدينة» (ص٧٨٦) كود المادة: GFIQ٥٢٠٣، المرحلة: ماجستير، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية.

(٣) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٢/٢٤٩).

(٤) انظر: «المسيرة الإسلامية لجيل الخلافة الراشدة» لمنير الغضبان (١/٢١٢).

المطلب الثامن
النهي عن قتل دوابهم

تميز عهد الخلافة الراشدة ﵃ عن غيرها من العهود بالتزامهم بالمبادئ الإنسانية الرحيمة، وتطبيق الرحمة كما جاء بها قائدهم الأول ﷺ، فلم تقتصر رحمتهم على من هو من بني جنسهم فقط، بل شملت حتى الحيوانات، سواء باقتنائها، أو تسخيرها للجهاد، ووقفها للمجاهدين، أو الأكل منها وتمويلها[(١)]، وعدم الإسراف فيها، وحيث إن الشريعة الإسلامية جاءت بهذا المنهج الرحيم والعميم، والقاضي بتحريم الإسراف بما تعنيه الكلمة يقول تعالى: ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[(٢)].

قال ابن كثير في تفسيره: «... ثم اختار ابن جرير قول عطاء: إنه نهي عن الإسراف في كل شيء. ولا شكَّ أنه صحيح»[(٣)].

وأوصى ﷺ رجلًا غزا فقال له: «**ولا تقطع شجرة مثمرة، ولا تقتل بهيمة ليست لك بها حاجة، واتَّقِ أذى المؤمنين**»[(٤)]. وكان الخلفاء من بعده يسيرون على تعليماته؛ فكان الصديق ﵁ لما بعث قائده يزيد بن أبي سفيان ﵁ أوصاه بقوله: "... ولا تخربن عامرًا، ولا تعقرن شاة، ولا بعيرًا، إلا لمأكلة..."[(٥)]، فلا يذبح إلا المأكول.

والذي يعين على الجهاد ومواصلة الرحلة الجهادية، وتقوية الأجساد البشرية، ولما ذكر الله ﷻ

---

(١) انظر: «الإدارة في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم» لأحمد عجاج (ص١٨٧).

(٢) سورة الأنعام: اية١٤١.

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» لابن كثير (٣/٣٥٠).

(٤) انظر: «المراسيل» (ص٢٣٩)، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨. ومراسيله حجة على الصحيح. انظر: «تيسير مصطلح الحديث» (ص٩١)، أبو حفص محمود بن أحمد بن محمود طحان النعيمي، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: العاشرة ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

(٥) انظر: «موطأ مالك» (٣/٦٣٦)، «تاريخ الطبري» للطبري (٣/٢٢٧).

الأشجار بأنواعها من نخيل وعنب وزيتون نهى المسلمين عن الإسراف فقال: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾(١).

قال ابن كثير: «ولا تسرفوا في الأكل لما فيه من مضرة العقل والبدن»(٢). وقال تعالى: ﴿۞يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾(٣).

قال الشوكاني: «ومن الإسراف الأكلُ لا لحاجة، وفي وقت شبع»(٤). ونهى النبي ﷺ عن قتل الحيوان، فقال: «... **ولا تقتل بهيمة ليست لك فيها حاجة**...»(٥)، ولو قاتلونا على خيلهم، فوجدنا السبيل إلى قتلهم بعقر دوابهم، فعلنا؛ لأن حنظلة بن الراهب يوم أحد عقر خيل أبي سفيان بن حرب فسقط(٦).

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا بعث أمراء الجيوش أوصاهم بتقوى الله العظيم، ثم قال عند عقد الألوية: «بسم الله، وعلى عون الله، وامضوا بتأييد الله بالنصر، وبلزوم الحق والصبر، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، لا تجبنوا عند اللقاء، ولا تمثّلوا عند القدرة، ولا تسرفوا عند الظهور»(٧).

ومن التمثيل: قتل وعقر الحيوان دون مصلحة راجحة، ومن الإسراف الأكل دون حاجة زائدة.

(١) سورة الأنعام: آية ١٤١.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» لابن كثير (٣/٣٥٠).

(٣) سورة الأعراف: آية (٣١).

(٤) انظر: «فتح القدير» للشوكاني (٢/٢٢٨)، محمد بن علي الشوكاني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط: الأولى – ١٤١٤هـ.

(٥) انظر: «سنن سعيد بن منصور» (٢/١٨٣)، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (المتوفى: ٢٢٧هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: الدار السلفية – الهند، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ –١٩٨٢م، عدد الأجزاء: ٢*١.

(٦) انظر: «شرح السنة» (١١/٥٥)، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

(٧) انظر: «عيون الأخبار» لابن قتيبة (١/١٨٥).

قال ابن كثير: «وقاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا في ذلك، ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي -كما قاله الحسن البصري- من المُثلة، والغلول، وقتل النساء والصبيان والشيوخ الذين لا رأي لهم، ولا قتال فيهم، والرهبان وأصحاب الصوامع، وتحريق الأشجار وقتل الحيوان لغير مصلحة»[١]، فكانوا ﷺ يحافظون على جميع الثروات، فحافظوا على الثروات الآدمية، فلم يقتلوا امرأة، ولا وليدًا، ولا راهبًا، ولا شيخًا كبيرًا، وحافظوا على الثروات الزراعية، فلم يقطعوا شجرًا مثمرًا ولا نخلًا مزهرًا، وحافظوا على الثروات الحيوانية، فلم يعقروا شاة ولا بعيرًا إلا لمأكلة، لقد سطر الخلفاء وقادتهم من بعدهم أجمل صورة يذكرها تاريخ البشرية جمعاء من الرحمة بالحيوان، فكيف بالإنسان!

ولك المقارنة فيما نراه اليوم من تدمير للبنية التحتية، وهشم للمحاصيل الزراعية، وإهلاك للثروة الإنسانية والحيوانية؛ ليحكي لك حجم الفرق الهائل بين السماء والأرض، وبين أولئك الراحمون وهؤلاء المجرمون، والله المستعان.

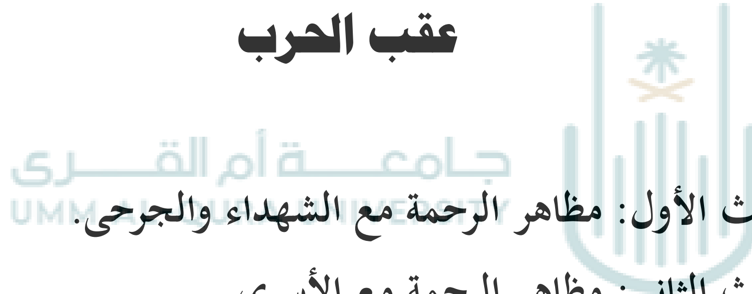


(١) انظر: «تفسير ابن كثير» لابن كثير (١/٥٢٤).

الفصل الثالث

مظاهر الرحمة في فتوحات الخلفاء الراشدين ﵃

عقب الحرب



المبحث الأول: مظاهر الرحمة مع الشهداء والجرحى.

المبحث الثاني: مظاهر الرحمة مع الأسرى.

المبحث الثالث: مظاهر الرحمة مع الأعداء.



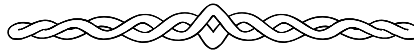
المبحث الأول

مظاهر الرحمة مع الشهداء والجرحى

وفيه مطلبان

المطلب الأول: التعريف بالشهيد والجريح.

المطلب الثاني: مظاهر الرحمة مع الشهداء والجرحى.



المطلب الأول
تعريف الشهيد والجريح

١- الشهيد لغة: على وزن فعيل، مشتق من الفعل: (شهد، يشهد شهادة، فهو شاهد وشهيد)، وقد جمعوا شهيدًا على شهداء(١).

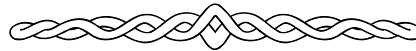
وقالوا: هو القتيل في سبيل الله تعالى، وقد استشهد فلان على ما لم يُسمَّ فاعله، والاسم الشهادة(٢).

اصطلاح الفقهاء: هو من مات من المسلمين في جهاد الكفار بسبب من أسباب قتالهم قبل انقضاء القتال(٣).

٢- الجريح: مأخوذ من جرحه جرحًا.. ورجل جريح، وامرأة جريح، ورجال ونسوة جرحى. وجرحه، شدد للكثرة(٤).

وقالوا من أحدث شقًّا في الجلد، أو البدن يسمى: جرح(٥).

اصطلاح الفقهاء: قد اتَّفق الفقهاء على أن الجروح هي ما دون الشجاج، وهي التي تكون في سائر الجسد غير الوجه والرأس(٦).



(١) انظر: «جمهرة اللغة» للأزدي (٢/٦٥٣).

(٢) انظر: «مختار الصحاح» (ص١٧٠).

(٣) انظر: «أحاديث الشهادة والشهيد»، نزار عبد القادر محمد ريان، الجامعة الأردنية، ط١٤١١.

(٤) انظر: «تاج اللغة وصحاح العربية» (١/٣٥٨).

(٥) انظر: «معجم اللغة العربية المعاصرة» لأحمد مختار (١/٣٥٨).

(٦) انظر: «القصاص والتعازير في الجروح والقصاص»، مروان سيد نصر، غزة، ط١٤٣١.

المطلب الثاني
مظاهر الرحمة مع الشهداء والجرحى

كان منهج الرسول -عليه الصلاة والسلام- الاهتمام بالشهداء والجرحى، ومراعاة حقوقهم، وظهرت مظاهر الرحمة من خلال تعامله ﷺ معهم ومع ذويهم من زوجاتهم وأطفالهم، كما أوضحته كتب السير والتاريخ، وكان على أثره خلفاؤه الراشدون من بعده؛ حيث سطروا أعظم منهج في مراعاة الشهداء والجرحى، وتحت هذا المطلب ستة مظاهر:

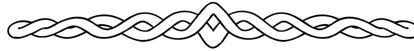
١- حكم الصلاة عليهم.

٢- الصلاة عليهم.

٣- دفن الشهداء.

٤- مواساة أهل الشهداء.

٥- تلمُّسُ الجرحى منهم ومداواتهم.



- مع الشهداء:

١- حكم الصلاة عليهم

اختلف العلماء -رحمهم الله- في حكم الصلاة على الشهداء. فقائل منهم: بالصلاة عليهم، وقول ثان: بعدم الصلاة، والبعض قال: بالتخيير بين الصلاة وتركها، وسوف نعرض هذه الأقوال -إن شاء الله- مع ذكر ما استدلَّ به أصحاب كلُّ قول، ثم نذكر الراجح منها، مع ذكر سبب الترجيح:

القول الأول: أنه يصلى على الشهيد: وهذا مذهب الأحناف[(١)]، ورواية عن أحمد[(٢)].

وقد استدلَّ أصحاب هذا القول:

١- ما رواه عقبة بن عامر ﷺ: «أن النبي ﷺ خرج يومًا، فصلَّى على أهل أُحدٍ صلاته على الميت»[(٣)].

٢- عن عبد الله بن الزبير -رضي الله عنهما-: «أن رسول الله ﷺ أمر يوم أُحدٍ بحمزة فسجي[(٤)] ببردة، ثم صلَّى عليه، فكبَّر تسع تكبيرات، ثم أُتي بالقتلى يصفون، ويصلى عليهم، وعليه معهم»[(٥)].

---

(١) انظر: «تبيين الحقائق» (٢٤٨/١) عثمان بن عليّ الحنفي، لحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد الشِّلْبِيّ، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣١٣هـ، وحاشية ابن عابدين: (٢٥٠/٢) ابن عابدين، الناشر: دار الفكر - بيروت، ط: الثانية، ١٤١٢هـ.

(٢) انظر: «الإنصاف» (٥٠٠/٢) علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد المرْداوي، ق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي - الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ط: الأولى، ١٤١٥هـ، والمبدع: (٢٣٦/٢)، ابن مفلح، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٣) انظر: «صحيح البخاري» كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، (٩١/٢ ح ١٣٤٤).

(٤) أي: غُطِّي. انظر: «النهاية» (٣٤٤/٢).

(٥) قال الألباني: "إسناده حسن، رجاله كلهم ثقات معروفون". انظر: «أحكام الجنائز» (ص٨٢)، أبو عبد الرحمن محمد =

القول الثاني: أنه لا يصلَّى على الشهيد:

وهذا قول الجمهور[(١)] من أهل العلم، وقد استدلَّ أصحاب هذا القول:

١- عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: «كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أُحد في ثوب واحد، ثم يقول: **أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟** فإذا أشير له على أحدهما قدمه في اللحد، وقال: **أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة**، وأمر بدفنهم في دمائهم، ولم يغسلوا، ولم يصلِّ عليهم»[(٢)].

٢- وعن أنس: «أن شهداء أُحدٍ لم يغسلوا، ودفنوا بدمائهم، ولم يصلَّ عليهم -غير حمزة-»[(٣)].

القول الثالث: أن الصلاة عليه مخير فيها:

وهي رواية عن أحمد[(٤)] وأهل الظاهر منهم ابن حزم[(٥)].

قال أبو محمد: «ليس يجوز أن يترك أحد الأثرين المذكورين للآخر، بل كلاهما حق مباح، وليس هذا مكان نسخ؛ لأن استعمالهما معًا ممكن في أحوال مختلفة، فإن شاء صلى، وإن شاء ترك، فإن صلاها فقد صلى النبي ﷺ على الشهداء، وإن ترك فقد ورد عن النبي ﷺ ترك الصلاة عليهم»[(٦)].

= ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(١) انظر: «المدونة» (٢٥٨/١) مالك بن أنس المدني، الناشر: دار الكتب العلمية ط: الأولى، ١٤١٥هـ، و«الإنصاف» (٩٥/٦)، و«المجموع» (٢٦٦/٥) محيي الدين يحيى النووي، الناشر: دار الفكر.

(٢) انظر: «صحيح البخاري» كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، رقم (١٣٤٣).

(٣) انظر: «أحكام الجنائز» (٥٥/١).

(٤) انظر: «المبدع في شرح المقنع» (٢٣٨/٢)، ابن مفلح، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٥) انظر: «المحلى بالآثار» (٣٣٧/٣)، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.

(٦) المصدر نفسه (٣٣٧/٣).

وحيث إن لكلٍّ قول تفسيرًا من القوة بالدليل والحجة والقاعدة تقول: (إن العمل بالدليلين ولو من وجه أولى من إهمال أحدهما وإسقاطه)[١]، فيكون الأقرب والعلم عند الله- القول بالتخيير، واختاره ابن المناصف القرطبي؛ حيث قال: "وأرى مستند قوله هذا، ما ثبت أن النبي ﷺ أمرَ بالشهداء من أُحد، أن يُدفَنوا من غير صلاةٍ عليهم؛ فدلَّ على أنه ليس بفرض، ثم صلَّى عليهم بعد مدّةٍ صَلاتَهُ على الميت، وكذلك صلاته على حمزة ﷺ دون غيره، فدلَّ على أنه ليس بمحظور، فثبت أن الصلاة والتَّرْكَ كلُّ ذلك جائزٌ حَسَن، وهذا القول يترجح؛ لأن فيه استعمال ما ثبتَ من هذه الأحاديث، من غير أن يَكِرَّ أحدُهُما على الآخر"[٢].

ويرى الباحث: أن الحال يختلف من شهيد لآخر، فإذا كان هناك ما يخشى وقوعه يدفن بلا صلاة، وأومن عدم وقوع أيِّ مكروه يصلى عليه، والله أعلم.



---

(١) انظر: «موسوعة القواعد الفقهية» (٢٦٤/١/١): محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ.

(٢) انظر: «الإنجاد في أبواب الجهاد» (ص١١٩) محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ القرطبي، ق (مشهور بن حسن آل سلمان ومحمد بن زكريا أبو غازي) (ضبط نصه وعلق عليه ووثق نصوصه وخرج أحاديثه وآثاره) الناشر: دار الإمام مالك، مؤسسة الريان.

٢- الصلاة عليهم

جاءت الشريعة الإسلامية بأعظم مظهر من مظاهر الإنسانية والرحمة، وهي الصلاة على مَن مات من الشهداء، ولست هنا بصدد ذكر الحكم، فقد سبق ذكره مما له علاقة بالموضوع، ولكن أذكر هنا ما سطره الراشدون ﵃ من مظاهر الرحمة في الصلاة على الشهداء.

فهذا الصحابي عمرو بن العاص ﵁ لما بعثه الصديق ﵁ إلى فلسطين، وانتهت المعركة أذن وصلى بهم، وأمر الناس بجمع الغنائم، وأن يُخرِجوا إخوانهم المؤمنين من الروم، فجعلوا يلتقطونهم.. وصلى عليهم وأمر بدفنهم، وذلك قبل أن يخمس شيئًا من الغنائم[1].

وذكر الواقدي: أنه قتل من المسلمين سبعة نفر فواروهم وصلى عليهم ابن عمر ﵁، وفي معارك الشام في فتح بصرى غنم المسلمون الأموال وصلى الصحابي خالد بن الوليد ﵁ على الشهداء وأمر بدفنهم، وفي فتح مصر صلى الصحابي أبو عبيدة ﵁ على الشهداء[2].

وعلي بن أبي طالب ﵁ يوم الجمل وكذا يوم صفين.. صلَّى على القتلى من الجانبين أهل الكوفة وأهل البصرة، وكذلك القرشيين وأمر بالأطراف فدفنت في قبر عظيم[3].



(١) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١/١٩).

(٢) المصدر نفسه (١/، ٢٠، ١٨، ٢٨، ٢٤٤).

* كبعض القوات البحرية حينما يحصل قتال؛ فإن جثث الشهداء يستلزم نقلها؛ لأن الطرف الآخر لم يسمح بدفنهم والانشغال بهم خشية وقوع ضرر أشد، والقاعدة تقول: (يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام). انظر: «شرح القواعد الفقهية» (ص١٩٩).

(٣) انظر: «الفتنة ووقعة الجمل» (ص١٧٨).

* وفي هذا دلالة على أن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﵁ كان يرى أن كلا الطرفين من أهل الإيمان؛ لأنه لا يجوز أن يدفن غير مسلم في مقابر المسلمين.

٣- دفن الشهداء

لا شكَّ أن من إكرام الله لهذه الأُمَّة أن يواري بعضهم بعضًا، ومع صعوبته على النفس البشرية وما تجده في قلبها؛ إلا أن الشريعة الإسلامية أكرمت الإنسان بدفنه في الأرض، وإرجاعه إلى الأصل الذي خلق منه، بل سترت عورته بهذا الفعل الرحيم.

قال القرطبي عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾[١]، أي: جعل له قبرًا يوارى فيه إكرامًا، ولم يجعله مما يلقى على وجه الأرض تأكله الطير[٢]، ولذلك استحب أهل العلم دفن الشهيد.

قال ابن قدامة في المغني[٣]: "ويستحب دفن الشهيد حيثُ قتل".

قال أحمد: "أمَّا القتلى فعلى حديث جابر أن النبي ﷺ قال: «**ادفنوا القتلى في مصارعهم**»"[٤].

ففي عهد عمر بن الخطاب، في معركة نهاوند؛ لما قُتل النعمان بن مقرن رضي الله عنه، وجاء بخبره السائب بن الأقرع رضي الله عنه[٥].. فقال عمر رضي الله عنه: إنا لله وإنا إليه راجعون، يرحم الله النعمان، يرحم الله النعمان، يرحم الله النعمان. قلت: يا أمير المؤمنين: ما قتل بعده رجل فعرف وجهه، فقال: هؤلاء الضعفاء الذين لا يعرفهم عمر، وما معرفة عمر، وما معرفة عمر، لكن الله يعرفهم، الذي

---

(١) سورة عبس: آية ٢١.

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٩/٢١٩).

(٣) انظر: «المغني» (٢/٣٨٠)، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، عدد الأجزاء: ١٠، تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م. «الإنصاف» (٢/٥٥٥).

(٤) انظر: «صحيح الجامع الصغير وزيادته» للألباني (١/١٠٨).

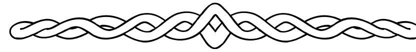
(٥) **هو السائب بن الأقرع بن عوف بن جابر الثقفي** وأمه مليكة، دخل السائب مع أمه على النبي ﷺ فمسح برأسه، ودعا له، وولي أصبهان، ومات بها، وعقبه بها، وشهد فتح نهاوند مع النعمان بن مقرن. انظر: «معرفة الصحابة» لابن منده (ص٧٥٥)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للقرطبي (٢/٥٦٩)، «أسد الغابة» لابن الأثير (٢/٣٨٨).

رزقهم الشهادة، وساقهم إليها، فهو خير لهم من معرفة عمر، ثم وضع يده على صدره، فبكى طويلًا ثم أقبل إليّ، فقال: أعطيت أبشارهم أم دفنتموهم، فقلت: لا بل دفناهم[١]، فأقرَّ عمر صنيعهم بدفن موتاهم.

ولما كتب عمر إلى أبي عبيدة -رضي الله عنهما-: ابعث قيس بن مكشوح إلى القادسية فيمن انتدب معه، فانتدب معه خلق، فقدم متعجلًا في سبعمائة، وقد فتح على سعد ﵁، فسألوه الغنيمة، فكتب إلى عمر ﵁ في ذلك، فكتب إليه عمر: إن كان قيس قدم قبل دفن القتلى، فأقسم له نصيبه...[٢].

وفي فتح مصر دفنوا شهداءهم في ثيابهم ودمائهم[٣]، وفي معركة صفين أمر الصحابي عليّ بن أبي طالب ﵁ بدفن القتلى، وإطلاق سراح الأسرى[٤]، فكان عهد الخلفاء ﵃ حافلًا بهذه المظاهر العظيمة الرحيمة.





(١) انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي (٤/٢٧٥).

(٢) انظر: «فتوح البلدان» للبلاذُري (ص٢٥٣).

(٣) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٢/٢٦٤).

(٤) انظر: «تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية» لمحمد طقوش (ص٤٦٦).

٤- مواساة[١] أهل الشهداء

حثَّت الشريعة الغراء على مواساة أهل الشهداء، سواء بتعزيتهم والوقوف معهم، كما ورد في السُّنة، أم بحثِّهم على الصبر والاحتساب، أو بذكر ما ورد في فضل الشهداء مما يطيب خواطرهم ويرفع معنوياتهم مما يجسد الإخوة الإسلامية، ويظهر مظاهر الإنسانية والرحمة مع من أصابتهم مصيبة الموت؛ ليقف هناك الأخ مع أخيه المسلم يصبره بفقده ذويه وأهله، وهذا من التعاون على البرِّ والتقوى. قال ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾[٢].

ولقد ضرب عهد الخلفاء الراشدين ﷺ من ذلك أروع الأمثلة؛ ففي عهد الصديق ﷺ: دخل عليه رجل، فوجد بنت سعد بن الربيع ﷺ على بطنه وهو يشمها، فقال: يا خليفة رسول الله ﷺ! ابنتك هذه؟ قال: لا، بل ابنة رجل هو خير مني، قال الرجل: من هذا الرجل الذي هو خير منك بعد رسول الله ﷺ؟! قال: سعد بن الربيع ﷺ، كان من النقباء، وشهد بدرًا، وقُتِل يوم أُحد[٣].

وفي حروب الرِّدة كتب إلى خالد بن الوليد ﷺ: (بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله بن عثمان خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إلى خالد بن الوليد ﷺ ومن معه من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، أما بعد، فالحمد لله الذي أنجز وعده، وصدق عبده، وأعزَّ أولياءه، وأذلَّ أعداءه، وأظهر دينه، وهزم الأحزاب وحده، وقد وعد الله المؤمنين وعدًا لا خلف فيه، وقولًا لا ريب فيه، وقد فرض الجهاد على عباده فرضًا مفروضًا... وقد أخبرنا الصادق المصدوق محمد صلى الله عليه وآله وسلم: «**أن الشهداء يوم القيامة يحشرون وسيوفهم على عواتقهم، وأوداجهم تشخب دمًا، فلا يتمنون على الله شيئًا إلا أعطاهم**

---

(١) مصدر آسى وواسى: ساعد وآزر، ويستعمل اسمًا بمعنى الإحسان، وحسن الضيافة، والجائزة تمنح للعمال والجنود سواء أكانت عينًا أم نقدًا. انظر: «تكملة المعاجم العربية» (١/١٣٩).

(٢) سورة المائدة: آية (٢).

(٣) انظر: «سنن سعيد بن منصور» (٢/٣٥٢).

إياه حتى يوفوا أمانيهم، وما لم يخطر على قلوبهم، فما من شيء يتمناه الشهداء يومئذ بعد دخول الجنة إلا أن يردوا إلى الدنيا، فيقرضوا بالمقاريض في ذات الله، لعلمهم ثواب الله»(١)؛ فكانت هذه الوصية بمثابة التذكير بكلِّ مصيبة لما يعلم الصديق ﷺ أنهم سيواجهون بمصائب عظيمة كمثل مصيبة الموت.

وفي معركة حلب كان الصحابي أبو عبيدة ﷺ يواسي أهل الشهداء ويتأثر بمصابهم، بل تمنى أن قُتِل دونهم وأمر بدفن المسلمين بعدما جمعهم زمرًا زمرًا، وصلى عليهم ودفنوهم بأسلابهم ودمائهم، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ: «**يحشر الله الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله يوم القيامة ودماؤهم على أجسادهم، اللون لون الدم، والريح ريح المسك، والنور يتلألأ عليهم، ويدخلون الجنة**»(٢). فكان لهذه الكلمات أثر في راحة نفوسهم ووعدًا من ربهم في إدخالهم الجنة، وهذه صفة القائد التربوي حيث يربط هذا المصاب بذلك الجزاء العظيم واستغلال الفرص السانحة لتصيد مثل هذا المواقف الجميلة وربطهم بموعود ربهم الذي لا يخلف.

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: أربع من أمر الإسلام لست مضيعهن ولا تاركهن لشيء أبدًا: القوة في مال الله وجمعه حتى إذا جمعناه وضعناه حيث أمر الله، وقعدنا آل عمر ليس في أيدينا ولا عندنا منه شيء والمهاجرون الذين تحت ظلال السيوف، ألّا يحبسوا ولا يجمروا(٣)، وأن يوفر فيء الله عليهم وعلى عيالاتهم، وأكون أنا للعيال حتى يقدموا والأنصار الذين أعطوا الله ﷻ نصيبًا، وقاتلوا الناس كافة، أن يقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم(٤).

---

(١) انظر: «كتاب الردة» للواقدي (ص٢١٨).

(٢) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١/٢٤٤).

(٣) تجمير الجيش: جمعهم في الثغور وحبسهم عن العود إلى أهلهم. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (١/٢٩٢).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٤/٢٢٧).

وفي فتح مصر: لما جمع الأمير غانم بن عياض الأشعري الشهداء ودفنهم في ثيابهم ودروعهم، قال لهم مواسيًا ومعزيًا: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله يوم القيامة وجراحاتهم تقطر دماء، اللون لون الدم، والريح ريح المسك**»[١]. وهكذا سار قادة الخلفاء ﵃ من بعدهم يخففون من مصاب أهل شهدائهم وذويهم.





(١) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٢/٢٤٦).

٥- تلمس الجرحى منهم ومداواتهم

ومنه عدم الإجهاز على الجريح وهو قتله مع عدم الاحتياج لذلك، فإنه من أقعده جرحه عن القتال، فإنه لا يجوز الإجهاز عليه كما ورد فى السُّنة المطهرة، فمن أخلاقيات الحرب ألا يُجهَز على جريح، فإن ذلك منافيًا للرحمة؛ إذ أنه مع ضعفه، وعدم قدرته على القتال، قد صار بمنزلة الأعزل، وليس من المروءة أن يقاتل أو يقتل، وهذا ما أمر به الرسول ﷺ أصحابه لما فتح مكة قائلًا: «**ألا لا يقتل مدبر، ولا يجهز على جريح، ومن أغلق بابه فهو آمن**»[١].

وهذا منهج الخلفاء الراشدين ﷺ من بعده، فقد كتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى يحي بن يحي: أما بعد، فإني ذكرت آية من كتاب الله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾[٢]، وإن من العدوان قتل النساء والصبيان، فلا تقتلن امرأة ولا صبيًّا، ولا تقتلن أسيرًا، تطلبن هاربًا، ولا تجهزن على جريح، إن شاء الله..[٣].

وها هو الصحابي عمرو بن العاص ﷺ في معركة فلسطين يأمر جيشه أن يخرج الشهداء ويصلى عليهم، وأما الجرحى يخرجون من بين الأعداء؛ لئلا يجهزوا عليهم[٤]، ولقد شاركت النساء في ضرب هذا المثل الخلقي الرائع في آداب التعامل مع الجرحى، ففي معركة القادسية: ذكر ابن كثير -رحمه الله- أن زوجة همام بن الحارث النخعي ﷺ[٥] كانت هي ونساء معها

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة = الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار» (٦/٤٩٨)، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.

(٢) سورة البقرة: آية١٩٠.

(٣) انظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٥/٣١١)، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

(٤) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١/٢٠).

(٥) **هو همام بن الحارث بن ضمرة**، شهد بدرًا، وحدث عن: عمر، وعمار بن ياسر، والمقداد بن الأسود، وحذيفة بن اليمان، وجماعة، وثقه يحي بن معين. قال ابن سعد: "توفي زمن الحجاج". قال ابن الجوزي: "كان الناس يتعلمون من =

يسقين المسلمين الجرحى ويرفعن الجرحى الذين يحتاجون للإغاثة والمساعدة، ويسترن عورات الرجال الشهداء؛ لئلا تظهر وتتكشف[١].

بل وصلت أخلاقيات الحرب في نقل الجرحى وإسعافهم، فقد وكَّل الصحابي سعد بن أبي وقاص ﷺ رجالًا بنقل الشهداء إلى العذيب[٢] ونقل الرثيث[٣]، فأما الرثيث فأسلم إلى النساء يقمن عليهم إلى قضاء الله ﷻ عليهم، وأمَّا الشهداء فدفنوهم هنالك.. والناس ينتظرون بالقتال حمل الرثيث والأموات[٤]، وقد قتل من المسلمين ألفان من رثيث وميت، ومن المشركين عشرة آلاف من رثيث وميت، وقال سعد ﷺ: من شاء غسل الشهداء، ومن شاء فليدفنهم بدمائهم، وأقبل المسلمون على قتلاهم فأحرزوهم، فجعلوهم من وراء ظهورهم، وأقبل الذين يجمعون القتلى يحملونهم إلى المقابر، ويبلغون الرثيث إلى النساء[٥].

وفي فتح حلب كان الصحابي أبو عبيدة ﷺ يرفع رايته خارج المدينة وينادي بالمسلمين أن يشدوا كل مصاب وجريح[٦]، وفي معركة الجمل صرخ صارخ لعليٍّ ﷺ: «لا يقتل مدبر، ولا يذفف[٧] على جريح، ومن أغلق عليه باب داره فهو آمن، ومن طرح السلاح آمن»[٨].

= هديه وسمته"، وكان طويل السهر مات سنة: قيل: ٧١ وقيل: ٨٠هـ. انظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٣٨٧/٥)، «الطبقات الكبرى» لابن سعد (١٧٣/٦)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٢٨٤/٤)، «تاريخ الإسلام» للذهبي (٨٨٧/٢).

(١) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (٦٣٥/٩).

(٢) وادٍ بظاهر الكوفة، «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» لأبي عبيد البكري (٩٢٧/٣).

(٣) هو الشيء البالي، وهو أن يحمل الجريح من المعركة، وهو ضعيف قد أثخنته الجراح.. مستقر الحياة، بأن تكلم، أو أكل، أو شرب، أو نام، أو باع، أو ابتاع، أو طال بقاؤه عرفًا، ثم مات بعد ذلك. انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للفارابي (٢٨٢/١)، «الموسوعة الفقهية الكويتية» (٩/٣).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٥٤٢/٣).

(٥) المصدر نفسه (٥٥٠/٣).

(٦) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٢٤٧/١).

(٧) أي: يسرع بقتله، انظر: «الإتباع» (ص٤٥) عبد الواحد بن علي اللغوي، ق عز الدين التنوخي. الناشر: مجمع اللغة العربية، دمش، عام النشر: ١٣٨٠هـ.

(٨) قال الألباني: "هذا إسناد موصول صحيح". انظر: «التكميل لما فات تخريجه من إرواء الغليل» (ص١٨٦)، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

وعن أبي أمامة ﷺ قال: «شهدت صفين، فكانوا لا يجزون على جريح، ولا يطلبون موليًا، ولا يسلبون قتيلا»(١).

بل كان أهل السُّنة والجماعة يعتقدون ذلك، فكان الصحابة ﷺ لا يجهزون على جريح ولا يقتلون موليًا ولا يسلبون قتيلًا(٢). وفي هذا العصر يتمُّ معاملة الأسير وفق المنهج النبوي الرحيم والمنهج الراشدي العظيم، وذلك في بث الطمأنينة في قلب المأسور وشعوره بالأمن والأمان من خلال التعامل الإسلامي الرحيم وَفْق المنهج النبوي القويم؛ لأن الشريعة الإسلامية تتطلب الرحمة، وذلك في عامَّة أمرها وخاصَّة في مواطن الضعف؛ فالجريح والمريض يحتاج يدها الحانية وقلبها الرحيم، ولذلك لا يجهز على جريح، ولا على مريض، وهذا ما سار عليه الخلفاء ﷺ.



(١) قال الألباني: "صحيح". انظر: «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل» (١١٤/٨).

(٢) انظر: «الاعتقاد» (ص٣٧٥)، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: أحمد عصام الكاتب، الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١.

المبحث الثاني

مظاهر الرحمة مع الأسرى



المطلب الأول
تعريف الأسير

أ- **لغة:** أسر: أسر فلان فلانًا: شده وثاقًا، وهو مأسور. وأسر بالإسار، أي: بالرباط، والإسار: مصدر كالأسر.. وشدَّ الله أسر فلان، أي: قوى خلقه[١]، وقالوا: ما أحسن ما أسر قتبه: أي: ما أحسن ما شده بالقد، والقد: الذي يؤسر به القتب يسمَّى الإسار، وجمعه أسر[٢]، والأسر بالضم: احتباس البول، مثل الحصر في الغائط[٣]، والمقصود به في هذا البحث هو أسير الحرب وهو ما سيدور حوله الكلام.

ب- **اصطلاحًا:** هو مَن يقع في يد قوم بينهم وبين قومه عداوة يتوقع منها قيام حرب مسلحة، ويشترط في هذا الأسير انتماؤه إلى أعداء آسريه[٤].





(١) انظر: «العين» للفراهيدي (٢٩٣/٧).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» للهروي (٤٣/١٣).

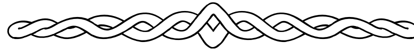
(٣) انظر: «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» للفارابي (٥٧٨/٢).

(٤) انظر: «أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية» عبد الطيف عامر، دار الكتب الإسلامية والمصري واللبناني، ط: ١٤٠٦.

المطلب الثاني
الأسير قبل الإسلام

لقد كان الأسرى قديمًا يُذبَحون أو يقدمون قرابين للآلهة، ثم رؤي بعد ذلك الانتفاع بهم؛ فحلّ الاسترقاق محل القتل، وصار الأسرى يستعبدون، ويتخذون للبيع والشراء، ومن أمثلة الأمم التي عاملت الأسرى بقسوة لا هوادة فيها الفرس والإغريق، فكانوا ينكلون في أسراهم ويعرضونهم للصلب والقتل...

وكان اليهود يقتلون الأطفال والشيوخ، فكيف بالأسير؟ وكان من عادة أمراء الجيوش تسمية الأسراء بالأرقاء لعدم التعرض لهم بالقتل وجواز غيره من بيع أو شراء، ثم خطت البشرية خطوة أخرى فصار بالإمكان تخيير الأسير بين الفداء أو المن بدون مقابل(١)، ولكي تتضح صورة تعامل الإسلام مع الأسير، وكيف تم التعامل معه، وكيف رحمه، وكيف نقله من الذلة إلى العزة، ومن المهانة إلى الكرامة، لنبرز للقارئ صور ومظاهر الرحمة التي سطرها قادة المسلمون الفاتحون، فكيف بالراشدين رضي الله عنهم بوجه أخص، وقبل ذكر صور مظاهر الرحمة في الخلافة الإسلامية الراشدة لعلنا نذكر طرفًا من بعض تعامل الأمم السابقة، وهذا هو ما سنعرج عليه خلال هذا المبحث.



(١) انظر: «أحكام الأسرى والسبايا» (ص٩١، ٩٢).

المطلب الثالث
مظاهر الرحمة مع الأسرى

١- معاملتهم بالتي أحسن:

٢- دعوتهم إلى الإسلام:

٣- قبول فدائهم:

١- معاملتهم بالتي أحسن

ذكر الله ﷻ في كتابه أنَّ من صفات الأبرار الموفين بنذورهم أنهم يطعمون الطعام مع رغبتهم به شفقة بأسيرهم، فقال جلَّ شأنه: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينا وَيَتِيما وَأَسِيرًا﴾[1].

قال قتادة: «أمر الله بالأُسراء أن يُحسَن إليهم، وإن أسْراهم يومئذ لأهل الشرك»[2]. فيكون البر به والاهتمام به من صفات أهل الأبرار؛ لأنه منكسر القلب ضعيف النفس، فلا يجتمع عليه حرين: حر الشمس، وحر السلاح، فناسب أن يحصل الإيثار في هذا الموضع العظيم لحضور شح النفس وشهوتها في الأكل، فأصبح قريبًا للإخلاص، فلا جزاء يريدون ولا شكورًا إلا ممن أرادوا له هذا العمل، وهو ربهم وهذا من سماحة الإسلام ورحمته حتى بأعدائه واحترام لكيانهم الشخصي والإحسان إليهم دون مَنٍّ أو أذًى، وهذه صفة عظيمة؛ حيثُ إن النفس البشرية تدعو إلى التسلط وحبِّ القتل والفتك، وخاصَّة حينما يكون أمام الآسر مُن قتل أباه أو عذَّبه قبل أن يقع متمثلًا بين يديه.

ولقد كان الرسول ﷺ يهتمُّ بالأسير ويُحسِن إليه، فكان يقول: «**فكُّوا العاني**، -يعني:

---

(١) سورة الإنسان: آية ٩.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» للبغوي (٨/٢٩٤).

الأسير-، **وأطعموا الجائع، وعودوا المريض**»[١]، وكيف تعامل الصحابة ﷺ مع أخو مصعب بن عمير ﷺ؛ حيث يقول: كنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز، وأكلوا التمر، لوصية رسول الله ﷺ إيَّاهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها. قال: فأستحيي فأردها على أحدهم، فيردها عليَّ ما يمسها[٢].

وهذه المعاملة التي ترجمت مظهرًا من مظاهر سماحة الإسلام الرحيم كانت في الوقت نفسه تعالج تلك القلوب الضعيفة والنفوس الكسيرة، فتقويها بالثناء، وتجبرها بالعطاء، وهكذا سار الخلفاء الراشدون ﷺ من بعده، فكان الصحابي زياد بن لبيد ﷺ في عهد الصديق ﷺ حينما انهزم الناس عن طليحة وأسر عيينة بن حصن، فقدم به على أبي بكر ﷺ، فكان صبيان المدينة يقولون له وهو مكتوف: يا عدوَّ الله، أكفرت بعد إيمانك؟ فيقول: والله ما آمنت بالله طرفة عين. فتجاوز عنه أبو بكر ﷺ وحقن دمه وأمَّنه على ماله وعياله؛ لأنهم دخلوا في الإسلام[٣].

وهذه المعاملة الرشيدة الرحيمة مع الأسير حيثُ إن أبا بكر لم يقتله مع تمكنه منه، بل تجاوز عنه وحفظ دمه وماله وأهله، ولما جيء بالأشعث بن قيس ﷺ بين يديه ودار بينهما حوار قال الأشعث ﷺ: أو تحتسب فيَّ خيرًا؛ فتطلق إساري، وتقيلني عثرتي، وتقبل إسلامي، وتفعل بي مثل ما فعلته بأمثالي، وترد عليَّ زوجتي...[٤] ففعل الصديق ﷺ فأطلق إساره، وأقال عثرته، ورد زوجته، وهذه أخلاقه ﷺ مع عدوه فكيف بأخلاقه مع غيره.

وفي عهد الفاروق ﷺ: لما أسر جابان قائد الفرس في معركة النمارق خدع الجندي الذي أسره، فأعطاه الأمان، وأطلقه، فأخذه المسلمون، وجاؤوا به الصحابي أبا عبيد ﷺ، وأشاروا عليه بقتله؛ لشدَّة عداوته للمسلمين، وكثرة الخسائر والمصائب التي ألحقها بالمسلمين، ومع ذلك

(١) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير (٦٩/٤ ح ٣٠٤٦).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٦٤٥/١).

(٣) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٢٠٥/٢).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣٣٩/٣).

رفض الصحابي أبو عبيد ﵁ قتله، فقال: إني أخاف الله أن أقتله، وقد آمنه رجل مسلم، والمسلمون في التواد والتناصر كالجسد، ما لزم بعضهم فقد لزمهم كلهم... فقالوا له: إنه الملك، قال: وإن كان لا أغدر[1]، فكان الصحابي أبو عبيد ﵁ يستحضر ذلك العهد الذي أعطاه الجندي لهذا العدو، ولو كان الرأي الآخر حريصًا على قتله، ومع ذلك أخذ بالأمان، وإجراء العهد والذِّمة لهذا العدوا مما يدلُّ على شفقة المسلمين حتى على أعدائهم، ورحمة بهم في إبقائهم معاهدين، لعلَّ وعسى دخولهم بهذا الدين الذي يأمر بهذا الخلق الرفيع.

وفي عهد عليٍّ بن أبي طالب ﵁ كانت زوجة معاوية بن أبي سفيان ﵁ تصنع للأسير الطعام وترسله له في الوثاق[2].



(١) المصدر نفسه (٣/٤٤٩).

(٢) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٢/٦٢٢).

٢- دعوتهم إلى الإسلام

لا شكَّ أن الأسير حينما يرى معاملة آسريه من المسلمين بالإحسان والرأفة والرحمة، وكيف تمَّ إطعامه وإكرامه، وليس إطعامًا فقط، بل يصاحبه الابتسامة والأخلاق والاحترام، مما يحببه بأخلاق المسلمين، ومحاولة البحث والتقصي والسؤال عن سماحة هذا الدين الحنيف ناسب في الشريعة الإسلامية أن تعرض عليه الدخول في هذا الدين بعدما رأى معاملته منهم تحت يده وفي قبضته.

وفي عهد الصديق ﷺ أخرج أهل حلب أربعين أسيرًا من البطارقة للمسلمين يقبضونهم فلمَّا قبضوهم، قال لهم الصحابي أبو عبيدة ﷺ: "لأيِّ سبب أسرتم هؤلاء؟ قالوا: لأنهم من أصحاب الملك يوقنا، هربوا إلينا فلم نرَ أن نخفيهم منك؛ لأنهم ليسوا منا، ولا معنا في الصلح. قال: فعرض عليهم الإسلام فأسلم منهم سبعة"(١)، وهنا عرض الصحابي أبو عبيدة ﷺ الإسلام عليهم وسيأتي أنه كافأهم.

ولما ذهب عمرو بن العاص ﷺ إلى فلسطين، وجيء له بالأسرى عرض عليهم الإسلام(٢) وعثر الصحابي خالد بن سعيد ﷺ على أربعة من الأسرى، وأخذ يسألهم عن سبب مجيئهم، وأين جيش الروم منهم فأخبروه بمكانهم، فلمَّا سمع خالد بن سعيد ﷺ مقالتهم.. قال لهم: أسلموا فقالوا له: ما نعرف إلا دين الصليب ونحن فلاحون، قال: فهَمَّ خالدٌ ﷺ بقتلهم، فقال: رجل من أصحابه دعهم يدلونا على الطريق إلى مسيرة القوم، فأجابوهم إلى ذلك، وساروا وهم يدلونهم إلى تل عظيم..(٣)، وكذلك فعل الصحابي خالد ﷺ حيثُ عرض عليهم الإسلام بعد حوارهم، ومع رفضهم وتمسكهم في دينهم إلا أنه لم يقتلهم، بل دلُّوه على مكان تجمعات الجيش الرومي وأطلق سراحهم.

---

(١) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٢٤٦/١).

(٢) المصدر نفسه (١٨/١).

(٣) المصدر نفسه (٢١/١).

وفي عهد الفاروق ﷺ لما أرسل الصحابي أبو عبيدة ﷺ خالد بن الوليد ﷺ يجول حول قلعة من قلاع حلب، فعثر خالد ﷺ على رجل فأسره، وجيء به لأبي عبيدة ﷺ، فقال أبو عبيدة: «أخبرني أيما أحب إليك القتل أو الإسلام، فليس بعدهما شيء، فقال الأسير: أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، ثم رجع أبو عبيدة ﷺ إلى حلب، ولما قبضت سرية الصحابي خالد بن الوليد ﷺ ذلكم الفارس الرومي ومعه الأسارى، جمعهم الصحابي أبو عبيدة ﷺ حينما مثلوا بين يديه قائلًا لترجمانه: قل لهم لمَ لا تدخلون في دين الإسلام، وتطلبون الأمان، والذمام؛ لتأمنوا على أنفسكم وأموالكم؟ فقال لهم الترجمان: ذلك، فقالوا: أيها الأمير نحن كنا بالبعد منكم، وكانت أخباركم تأتينا، وما ظننا أنكم تبلغون إلينا، فما شعرنا حتى أشرف علينا أصحابكم، فنهبوا أموالنا وأولادنا، وساقونا في الحبال كما ترى»[(١)].

وفي فتح قرقيسيا عرض القائدان عبد الله بن غسان وسهل بن عدي الإسلام على الأسرى، فمن أسلم منهم وهبوا له أهله وماله ومن أبى ضربت عليه الجزية[(٢)]، وفي فتوح مصر لما قام خالد بن الوليد ﷺ بفتح الإسكندرية كان يعرض الإسلام على الأسراء البالغ عددهم ألف وثلاث مائة أسير، فأسلم بعضهم، وأبى أكثرهم[(٣)].

وكان الصحابي عمرو بن العاص ﷺ يجمع السبايا ويأتي بكل رجل منهم، فيقول له: أتختار الإسلام أم النصرانية؟ فإذا اختار الإسلام فرح المسلمون به وكبَّروا، وإذا اختار النصرانية ضاقت صدورهم كأن رجلًا فُقِد منهم[(٤)].

وكذلك الصحابي الزبير بن العوام ﷺ يروي قصته فيقول: لما توسطنا البلاد وتعرضنا لأهلها، وشننا الغارة على السواد، فوجدنا قطيعًا من الغنم، ومعها رعاة، فلمَّا أحسوا بنا تركوها ومضوا،

---

(١) المصدر نفسه (١٠٢/١).

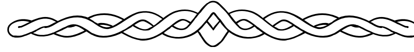
(٢) المصدر نفسه (١٠٦/٢).

(٣) المصدر نفسه (٧٤/٢).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (١٠٦/٤).

فسقناهم ثم سرنا قليلًا، وإذا بنساء وصبيان مشرفة ونصارى من القبط وغيرهم، فلما رأونا فروا... حتى أدركناهم وقبضنا عليهم وسألناهم، فأجابوا بأنهم من قرى شتى.. فعرضنا عليهم الإسلام[1].

وهكذا سار الخلفاء من بعدهم يجعلون الإسلام نصب أعينهم قبل كلِّ شيء؛ لأن دعوتهم جاءت رحيمة ترحم النفوس، وليست دعوة عديمة تقطع الرؤوس، فرضي الله عنهم وأرضوه.





(١) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٢/٢٣٥).

٣- قبول فدائهم

لا شكَّ أن الإسلام حرص على إنقاذ النفس البشرية من الهلاك، وخيَّرها بين أمرين يختار أيسرهما للمصلحة التي يراها مناسبة للحال والمآل، ولم يجبرها فجعلها تختار، ولذلك من الأمور التي سعى لها الإسلام أن جعل للأسير منطلقًا وحرية، إما بعوض أو بغير عوض، ولو أن كليهما أهون من القتل؛ فيكون من هذا الوجه حسن، وأفضل مقابل القتل، فكان العوض يسمَّى الفداء والآخر يسمَّى المنّ، ولعلنا نعرف كلَّ واحد منهما لتتضح الصورة التي سطرها الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم أجمعين:

- **المنُّ**: هو الإحسان إلى مَن لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه[١].

- **الفداء**: استنقذه بمال أو غيره فخلصه مما كان فيه، يقال: فداه بماله، وفداه بنفسه، فهو فاد[٢]، وأهل العلم نصوا على أن الإمام مخيَّر في الأسرى بين المنِّ عليهم، أو الفداء، أو الاسترقاق، أو القتل[٣].

قال ابن حجر رحمه الله: "ذلك راجع إلى رأي الإمام، ومحصل أحوالهم تخيير الإمام بعد الأسر بين ضرب الجزية لمن شرع أخذها منه، أو القتل، أو الاسترقاق، أو المن بلا عوض، أو بعوض هذا في الرجال، وأما النساء والصبيان فيرقون بنفس الأسر"[٤]، ولقد جاءت سماحة الإسلام في تخيير الإمام بين هذه الأمور مع طموحه لتخليص الأسير من أسره بأيِّ وسيلة

(١) انظر: «تاج العروس» للزَّبيدي (٣٦/١٩٤).

(٢) انظر: «المعجم الوسيط» (٢/٦٧٧).

(٣) انظر: «المغني» لابن قدامة (٩/٣١٥)، «الأم» (٤/٢٦٨)، للإمام الشافعي أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ(الناشر: دار المعرفة – بيروت – الطبعة: بدون طبعة، سنة النشر:١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ٨، «النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات» (٣/٧٠)، «المعتصر من المختصر من مشكل الآثار» (١/٢٣٤).

(٤) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٦/١٥٢).

كانت، وكان في السابق لا يوجد مكان يستوثق به الأسير ويشد عليه في وثاقه، بل يربط بأيِّ مكان مع إطعامه وكسوته والتحدث معه في شؤونه، ولو هرب لا يتم اللحاق به...

وهذا مما يدلُّ على يُسر هذه الشريعة الإسلامية ورحمتها بمَن هم تحت يدها وفي قبضتها، ولا يعني تسلطها عليهم وقمعهم ورفع الرحمة بأنواعها عنهم، وهذا ما سطَّره الرسول ﷺ مع الأسرى واتَّبعه خلفاؤه من بعده ﵃، فكان منهم مَن يفدي، وكان بعضهم يمنُّ عليهم، وثالث يُطلِق سراحهم ويسعى لذلك، كما هو موضح في كتب السير، وسار على منواله خلفاؤه ﵃ من بعده، ففي عهد الصديق ﵁، عن الشعبي أن أبا بكر ﵁ ردَّ سبايا النجير[1] بالفداء لكلِّ رأس أربعمائة درهم، وأن الأشعث بن قيس استسلف من تجار المدينة فداءهم ففداهم ثم ردَّه لهم[2].

وفي عهد الفاروق ﵁ لما قصد الصحابي أبو عبيدة ﵁ حمص فوجدها قد تحصنت بالعدد والعديد، وقد بعث إليها الملك هرقل بطريقًا من أهل بيته، وكان من أهل الشدة والبأس ومعه جيش عرمرم، وكان اسم البطريق هربيس، فلمَّا نظر أبو عبيدة ﵁ إلى ذلك ترك على حمص خالد بن الوليد ﵁، وسار هو إلى بعلبك، فلما قرب منها، وإذا بقافلة عظيمة فيها جمع من الناس، ومعهم البغال والدواب، وعليها من أنواع التجارات، فاحتلوا القافلة وغنموا، وقال لهم: أبو عبيدة ﵁ كفوا عن القتل واطلبوا منهم الفداء، فابتعناهم أنفسهم بالذهب والفضة والثياب والدواب[3].

ولما ولَّى الصحابيُ أبو عبيدة ﵁ على جيش المسلمين رجلًا، يقال له: دامس لأجل أن يفتح قلعة حلب، فأمسك دامس برجل من العرب المتنصرة وأمره أن يدلَّه على عورات القلعة التي مظنة انهزام الروم فرفض، وقال له دامس -عن رجل سبق أن هرب من القلعة- اسأل هذا

---

(١) حصن باليمن قرب حضرموت منيع لجأ إليه أهل الردة مع الأشعث بن قيس في أيام أبي بكر. انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٥/٢٧٢).

(٢) انظر: «فتوح البلدان» للبلاذُري (ص١٠٨).

(٣) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١/١١٨).

الرجل الذي هرب منكم: لمَ هرب؟ فقال مترجمًا له: إنه يقول: إن ملك القرية غضب وأمرنا بما لا طاقة لنا به من الأموال فهربت منه، وطلب من دامس الفداء ففداه وأطلق سراحه[١].

وقد يكون الفداء لا يناسب في بعض المواضع خاصَّة إذا عرض عليهم الإسلام فرفضوا، وكانوا قد قتلوا من المسلمين كثيرًا، وهذا يحدده القائد للجيش، فمن المصلحة الإثخان والقتل في الأرض؛ كما عرض خالد بن الوليد رضي الله عنه الإسلام عليهم، ولما رفضوا، وقالوا: نحن نعطيك الفداء! فقال خالد رضي الله عنه للأمير أبي عبيدة رضي الله عنه: نضرب رقابهم قبال القلعة لنوهن بذلك عدو الله، قال: فضربت رقابهم، وكان ذلك في فتح إحدى قلاع حلب[٢].



(١) المصدر نفسه (١/٢٦١).

(٢) المصدر نفسه (١/٢٥٠).

المبحث الثالث
مظاهر الرحمة مع الأعداء

١- إعطاؤهم الأمن والأمان:

٢- النهي عن قتل رسلهم وسفرائهم:

٣- النهي العام عن التمثيل بجثثهم.

١- إعطاؤهم الأمن والأمان

إن احترام العهود والمواثيق من صفات أهل الإسلام، ومن الأخلاق التي تميَّز بها الجندي المسلم – حتى ولو كان المعاهد الأعداء– قال ﷻ: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾(١). وقال عليه الصلاة والسلام –محذرًا من عواقب الغدر وغوائله– قال: «**لكلِّ غادر لواء يوم القيامة، قال أحدهما: ينصب، وقال الآخر: يرى يوم القيامة، يعرف به**»(٢).

فالمسلمون إن كان بينهم وبين عدوهم معاهد وأمان بينهم؛ حَرُم النقض أو الخيانة، فإن خاف المسلم من غدر أو خيانة من قِبَل عدوِّه، فإنه يُعْلِمه وينبذ إليه عهده كما هو واضح في القرآن الكريم، وهذه من قمَّة الأخلاق العظيمة التي يتحلَّى بها جنود الإسلام، ولذلك كان الرسول ﷺ يذكِّر جنده البواسل بعدم الخيانة، وعدم نقض العهد والميثاق، وسار على منواله خلفاؤه من بعده.

فهذا الصديق ﷺ لما هرب طليحة بن خويلد، فدخل خباء له، فاغتسل وخرج فركب فرسه وأهلَّ بعمرة، ثم مضى إلى مكَّة، ثم أتى المدينة مسلمًا، وقيل: بل أتى الشام فأخذه المسلمون ممن كان غازيًا، وبعثوا به إلى أبي بكر بالمدينة، فأسلم وأبلى بعد في فتح العراق

---

(١) سورة النحل: آية ٩١.

(٢) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب الجزية، باب إثم الغادر لكل بر وفاجر (١٠٤/٤ ح ٣١٨٦).

ونهاوند، وقال له عمر: أقتلت العبد الصالح عكَّاشة بن محصن؟ فقال: إن عكاشة بن محصن سعد بي، وشقيت به، وأنا أستغفر الله[١].

وهنا يتضح لنا قبول الصديق ﷺ إسلامه، والأخذ بظاهر الإسلام، وحقَن دمَه ولم يقتله، وكذلك لما مرَّ طليحة الأسدي في جنبات المدينة، وقيل لأبي بكر الصديق ﷺ حينما فرَّ هاربًا: هذا طليحة الأسدي، قال: ماذا أصنع به وقد أسلم؟[٢] فتركه ولم يقتله.

وأعطى الصحابي زياد بن لبيد ﷺ الأشعث بن قيس الأمان على نفسه وأهله وولده[٣].

وبلغ حرص المسلمين على الأخذ بإشارة تدلُّ على الأمان، ولو كان لفظًا لم يفهمه الجندي المسلم؛ فإنهم يجرون ذلك أمانًا؛ كما في عهد الفاروق ﷺ؛ حيث كتب إلى سعد ﷺ: إني قد ألقي في روعي أنكم إذا لقيتم العدو هزمتموهم، فاطرحوا الشكَّ، وآثروا التقية عليه، فإن لاعب أحد منكم أحدًا من العجم بأمان أو قرفه بإشارة أو بلسان، فكان لا يدري الأعجمي ما كلمه به، وكان عندهم أمانًا فأجروا ذلك له مجرى الأمان، وإيَّاكم والضحك، والوفاءَ الوفاءَ! فإن الخطأ بالوفاء بقية، وإن الخطأ بالغدر الهلكة[٤]، كما سبق ذكره.

وترجم ذلك القادة ففي معركة فتح المدائن: نجا من المعركة رجل يقال له: عرقدة من قبيلة بارق؛ حيثُ سقط عن فرسه وغرق في النهر، فأنقذه القعقاع بن عمرو بفرسه، وأخذ بيده وأخرجه حتى جاوزه الفرات حتى قالت الناس: عجزت النساء أن تلد مثلك يا قعقاع[٥].

وفي فتح قيسارية كان الصحابي عمرو بن العاص ﷺ هو الأمير، ولما شرب سبيع من الخمر أقسم بالله سبيعًا لإن عثر على العلج الكافر ليقتله، فأخذ سيفه ودخل القرية يريد العلج، فلمَّا أبصره انطلق نحوه، فولى هاربًا، فتبعه وهو يقول: ما ذنبي عندك؟ فقلت: أنت

---

(١) انظر: «فتوح البلدان» للبلاذُري (ص١٠١).

(٢) انظر: «أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين» لمحمد رضا (ص٤٠).

(٣) انظر: «كتاب الردة» للواقدي (ص٢٠٧).

(٤) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري، تاريخ الرسل والملوك، (٤٩٢/٣).

(٥) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (١٨٦/٢).

دللتني على ما يغضب، فقال: والله ما علمت أنه محرم عليكم، قال فناداني عبادة بن الصامت ﷺ وقال: يا سبيع إياك أن تقتله فإنه تحت الذِّمة. قال: فتركته ومضى العلج إلى سبيله(١).

وهذا مظهر عظيم من مظاهر الرحمة بعد المعركة؛ حيث ترك سبيعًا العلج ولم يقتله لما علم أنه تحت الذِّمة، وأنهم قد أعطوه الأمن والأمان.

ولما أسر جابان قائد الفرس في معركة النمارق خدع الجندي الذي أسره فأعطاه الأمان وأطلقه، فأخذه المسلمون، وجاؤوا به الصحابي أبا عبيد ﷺ، وأشاروا عليه بقتله لشدة عداوته للمسلمين وكثرة الخسائر والمصائب التي ألحقها بلمسلمين، ومع ذلك رفض الصحابي أبو عبيد ﷺ قتله، فقال: إني أخاف الله أن أقتله، وقد آمنه رجل مسلم، والمسلمون في التواد والتناصر كالجسد، ما لزم بعضهم فقد لزمهم كلهم... فقالوا له: إنه الملك، قال: وإن كان لا أغدر(٢).

وفي فتوح الشام عند الباب الشرقي لما نادى نصارى العرب الصحابي أبا عبيدة ﷺ بالأمان، وقال لأبي هريرة ﷺ: قل لهم لكم الأمان. قال: فأتيت القوم وبشرتهم بالأمان. فقالوا: مَن أنت؟ فقلت: أنا أبو هريرة صاحب رسول الله ﷺ ولو أن عبيدًا أعطاكم الأمان والذمام -ونحن في الجاهلية- لما غدرنا، فكيف وقد هدانا الله إلى دين الإسلام! قال: فنزل القوم(٣).

وكان من شروط عمر ﷺ لنصارى الشام ذلك النص الذي نقل إلينا صلح عمر ﷺ وفيه: أن أهل الشام كتبوا لعمر ﷺ: إنكم لما قدمتم علينا، سألناكم الأمان لأنفسنا، وذرارينا، وموالينا، وأهل ملَّتنا... ومن أهم ما كفلته هذه الشروط لأهل الذِّمَّة عيشهم تحت حماية الدولة الإسلامية، وأمنهم على أنفسهم وأعراضهم، وأموالهم لا يتميز المسلمون عليهم بشيء في ذلك، ما داموا أوفياء بعهدهم وذمتهم التي صالحوا عليها المسلمين(٤).

---

(١) المصدر نفسه (١٤/٢).

(٢) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٤٤٩/٣).

(٣) انظر: «فتوح الشام» للواقدي (٧١/١).

(٤) انظر: «دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية ﷺ» لعبد السلام آل عيسى

ولما أصاب الصحابي سعد بن أبي وقاص ﵁ مائة من الفلاحين كتب بهم إلى عمر بن الخطاب ﵁، فكتب عمر: إذا كان الفلاحون مقيمين لم يعينوا عليكم فهو أمانهم، ومن هرب فأدركتموه فشأنكم به، فخلى سبيلهم(١).

وفي عهد عثمان ﵁ كتب إلى قائده حبيب بن مسلمة الفهري: أن يغزو أرمينية، فلمّا ذهب إليهم طلبوه الأمان على الجلاء والجزية(٢).





= (١٠٦٠/٢).

(١) انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي (٢٠٤/٤).

(٢) انظر: «كتاب الردة» للواقدي (ص٢٠٧).

٢- النهي عن قتل رسلهم وسفرائهم

لقد تكفَّلت سماحة الإسلام للسفراء والرسل، أو الدبلوماسيين، أو المبعوثين أن تسبل عليهم لباس الرحمة والصيانة والحماية بجميع أنواعها؛ لأجل أن يؤدُّوا رسالتهم على أكمل وجه، وأحسن حال، ولقد كان الرسول ﷺ يستقبل الرسل والسفراء بأعظم استقبال وأبهره، مليئًا بالاحترام والتكريم، ومؤمِّنًا لهم، فكانت حالتهم عنده أشد طمأنينة من حالتهم قبل -بأبي هو وأمي-، ولقد أعطى رسل الحديبية الأمان، فكانوا يترددون عليه ويسمعون منه[١].

وبيَّن القرآنُ هذا الأمان بقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾[٢]، وأيضًا ثبت ذلك بالسُّنة القولية، والعملية؛ فالنبي ﷺ لم يقتل رسل مسيلمة الكذاب، وقال: «**لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما**»[٣]. وكان له كتاب ورسل وسفراء، فكان ما وصلنا من كتب ومواثيق ومعاهدات قام بإبرامها النبي ﷺ تتجاوز المئتين وخمسين كتابًا، وشملت معاهدات مع اليهود والنصارى، وعقود صلح بين النبي ﷺ والقبائل، وكتب إقطاع وأمان ورسائل دعوة إلى رؤوساء القبائل والملوك والأمراء، مما يجعلنا نؤكِّد على أن سفارات الرسول ﷺ وكتبه كانت عملًا بديعًا من أعمال الدبلوماسية والعلاقات الدولية، وقد ذكرت المصادر أسماء هؤلاء الرسل الذين بعثهم النبي ﷺ إلى الملوك، وأرسل معهم كتبًا يدعوهم فيها إلى الإسلام[٤].

وأجمع الفقهاء على مشروعية الأمان، وحماية الرسل والسفراء، وأجازوا للمبعوث السياسي أن يدخل بلاد المسلمين بدون حاجة إلى عقد أمان، ولم يجيزوا الغدر برسل العدو وسفرائه؛ حتى ولو قتل الأعداء رهائن المسلمين الموجودين عندهم؛ فلا تقتل رسلهم؛ لقول بعض

---

(١) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط (١٩٥/٣ح ٢٧٣١).

(٢) سورة التوبة: آية ٦.

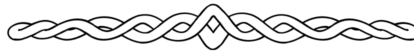
(٣) انظر: «صحيح الجامع الصغير وزيادته» للألباني (٩٤٠/٢).

(٤) انظر: «الإدارة في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم» لأحمد عجاج (ص١٢٨).

الصحابة[١]: وفاء بعهد من غير غدر خير من غدر بغدر[٢]، وكان الخلفاء من بعده يوصون باحترام الرسل والسفراء وعدم قتلهم، فكان الصِّدِّيق ﷺ يقول للصحابي يزيد بن أبي سفيان ﷺ: «... وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم، وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به، ولا ترينهم فيروا خللك ويعلموا علمك...»[٣].

وحينما يُكرَم الرسل ويحترمون وتقدم لهم الضيافة وحسن المعاملة وتؤخذ الحيطة والحذر منهم في عدم إفشاء سر لهم أو إطلاعهم على عورات الجيش أو تمكينهم من الولوج في سرادق الجيش أو البوح في كم عددهم أو عدتهم؛ فكلُّ هذه أسرار يجب كتمها عنهم، ويبقى إكرامهم لا يتعارض مع هذه الأسرار؛ لأن الحرب خدعة ومن خدعها مثل هذه الأمور، وهنا سيأخذ العدو صورة حسنة عن تعامل المسلمين، وسيقع حتمًا في خلده التفكير في الدخول بالإسلام.

وإذا أردت معرفة ما تحلَّى به المسلمون من أخلاق عالية قارن بين هذا الاستقبال واستقبال يزدجرد للوفد، وكيف أساء الأدب معهم بسؤاله عن ألبستهم التي يلبسونها، ونعالهم التي ينتعلونها، وأسواطهم التي يحملونها، ومحاولة تحقيرهم، واستنقاصهم[٤].



(١) لما غدر ملك الروم وكان معاوية قد أبرم معه صلحًا وعنده رهائن فلم يقتلهم مقابل غدرهم. انظر: «فتوح البلدان» للبلاذُري (ص١٥٩).

(٢) انظر: «السياسة الشرعية – جامعة المدينة» (ص٧٨٦).

(٣) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٢/٢٤٩).

(٤) انظر: «المسيرة الإسلامية لجيل الخلافة الراشدة» لمنير الغضبان (١/٢١٢).

٣- النهي عن التمثيل بجثثهم

النهي عن التمثيل: لأنه تشويه للقتيل وإن كان المقتول عدوًّا للمسلمين، فاقتصر المسلم فقط على قتله دون التعدي في ذلك من: تجديع للأعضاء، أو بقر للبطون، أو تسمير للعيون، وهذا من أعظم خلق الرحمة في جسد الكافر، ولو كان عدوًّا للإسلام والمسلمين، ولما كان خُلقًا يتخلق به الجندي المسلم من الابتعاد عن التشويه الذي تشمئز منه الأنفس؛ دلَّ على حرص الإسلام على صورته المشرقة حتى في تعامله مع جسد هامد قد فقد الإحساس.. والإسلام حينما ينشر هذا الخلق العظيم ليبين للناس عامَّة وللأعداء خاصة أنه: دين منطلق من رحمة شاملة ولطف بالقتيل سواء أكان حيًّا أم ميتًا، وليس هدفه الانتقام، وسفك الدماء كما يفعله الآن أعداء الإسلام، ولا يجازي بالمثل، ولو فعل هذا عدوه مع فرصة المجازاة.

ولما مثَّل المشركون بقتلى المسلمين في غزوة أحد[١] أراد المسلمون لو مكَّنهم الله منهم في معارك قادمة يصنعون مثل صنيعهم، وقد تحينت لهم الفرصة في فتح مكَّة، فلمَّا كان يوم فتح مكَّة نادى رجل لا يعرف: لا قريش بعد اليوم، مرتين، فأنزل الله ﷻ على نبيه ﷺ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾[٢]، فقال النبي ﷺ: «**كفوا عن القوم**»[٣]، فكف الصحابة ﷺ عمّا أهموا به يوم أُحد، وحانت الفرصة، هذا اليوم للانتقام ورد السيئة بمثلها، ولكن حينما كانوا أهلًا لهذا الدين وحملة له، ورحمات تمشي على هذه البسيطة، ومبلغين ليسوا منفرين، ومتبعين لا مبتدعين، كانت هذه أخلاقهم فكفوا عن التمثيل طاعة لله ورسوله، وانطلقوا بهذه الأخلاق في فتوحاتهم كلها.

---

(١) انظر: «الرحيق المختوم» (ص٢٥١)، المؤلف: صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ)، الناشر: دار الهلال – بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع).

(٢) سورة النحل: آية ٢٥.

(٣) قال الألباني: "صحيح". انظر: «التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان» (٢/٥).

وكان الصديق ﵁ يوصي جيشه قائلًا لهم: لا تخونوا ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا[١].

وفي عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁ كان إذا بعث أمراء الجيوش أوصاهم بتقوى الله العظيم، ثم قال عند عقد الألوية: «بسم الله، وعلى عون الله، وامضوا بتأييد الله بالنصر وبلزوم الحق والصبر، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، ولا تجبنوا عند اللقاء، ولا تمثّلوا عند القدرة، ولا تسرفوا عند الظهور»[٢]، وحينما بعث جيشه للعراق قال لهم: "... فإن قاتلوكم فلا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا"[٣].

ونصَّ الفقهاء مثل الشافعي فقال: "وإذا أسَرَ المسلمون المشركين فأرادوا قتلهم، قتلوهم بضرب الأعناق ولم يجاوزوا ذلك، أي: ألَّا يمثلوا بقطع يد، ولا رجل، ولا عضو، ولا مفصل، ولا بقر بطن، ولا تحريق، ولا تغريق، ولا شيء يعدو ما وصفت"[٤].

وفي عهد عليٍّ بن أبي طالب ﵁ أنه كان يأمرهم في كلِّ موطن بقوله: "ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل"[٥]. وكذلك خصَّه في معركة صفين[٦] فكان الخلفاء الراشدون ﵃ يسيرون على هذا الخلق النبيل من احترام للقتيل وعدم التمثيل، رضي الله عنهم أجمعين.

وسبق أن من المظاهر دعوتهم للإسلام، وأشبع الباحث هناك الكلام، فلا داعي لتكراره، وحيث أن بعض هذه المظاهر يتنازعها أنها قد تكون بعد المعركة، وقد تكون أثناءها، وليس ثمة إثبات يعتمد عليه الباحث، فقد يكون ما يصلح هنا هو ما يصلح هناك، أو يصلح للجميع، فقد اجتهدت قدر الاستطاعة بوضعها فيما يناسب المبحث، وما توفيقي إلا بالله، وقد أشرت إلى بعضها سابقًا في مبحث مظاهر الرحمة مع الأعداء أثناء المعركة.



---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٣/ ٢٢٦).

(٢) انظر: «عيون الأخبار» لابن قتيبة (١/١٨٥).

(٣) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٤/ ١٨٧)، «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي (٤/ ٢٧٧).

(٤) انظر: «الأم» للشافعي (٤/ ٢٥٩).

(٥) انظر: «تاريخ الطبري» للطبري (٥/ ١١).

(٦) انظر: «تجارب الأمم وتعاقب الهمم» لابن مسكويه (١/ ٥١٨).

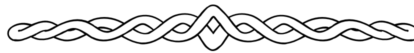
الخاتمة

وتحتوي على

أولًا: أبرز النتائج

ثانيًا: أهمُّ التَّوصيات.





أولًا: أبرز النتائج

١- الفتوحات الإسلامية وخاصة فتوحات الخلافة الراشدة في ميادين الجهاد تجلَّت فيها أبرز مظاهر الرحمة في مظنَّة القوة والعنف والبطش، وفي خِضَم هذه المعاني المتعارف عليها في الحرب تتجلى رحمة الخلفاء وقادتهم في مواقفهم، وأخلاقهم في ميادين الحروب.

٢- فتوحات الخلفاء الراشدين ﷺ بحرٌ لا ساحل له، يحوي ممارسات ومعاني جليلة تنمُّ عن رحمتهم مع الأطياف المختلفة في جميع نواحي الحياة.

٣- كثرت الدِّراسَات التي تطرَّقت لجانب الرحمة عمومًا، بينما في المقابل قلَّت الدِّراسَات التي تتكلم عن جانب الرحمة في ميدان معين ومحدد.

٤- التَّطرق لجانب الرحمة في الإسلام، وخصوصًا رحمة الخلفاء ﷺ من الأمور التي تؤثر في غير المسلمين، وتُصحِّح لديهم بعض المفاهيم الخاطئة عن الإسلام.

٥- الانشغال بالبحث والدرس في سيرة الراشدين ينعكس على شخصية الباحثين ويزيدهم تمسكًا بهذا الدين.

٦- شموليَّة مظاهر الرحمة لجميع الميادين والجوانب؛ حيثُ وصلت حتى البهائم والحيوانات.

٧- جاء الإسلام بشرائعه سبَّاقًا لكلِّ ما فيه صلاح للعباد في جميع الجوانب، وفي كلِّ الميادين، وهذا من رحمة الله ﷻ بالعباد.

٨- سنَّ الخلفاء ﷺ منهجًا متميزًا في التَّعامل مع جميع أنماط المخلوقات مقتدين بقائدهم الأول ﷺ.

٩- حرص الخلفاء الراشدون ﷺ على تبليغ الدعوة بكلِّ الوسائل والطرق المتاحة.

١٠- رحمة الخلفاء ﷺ لرعيتهم وقادتهم، وحملهم لهمومهم، وآلامهم، والتَّخفيف عنهم

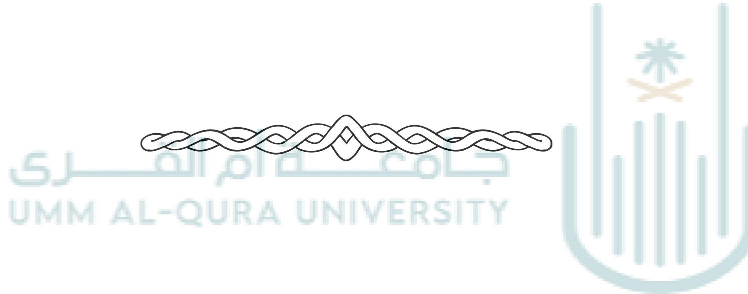
خصوصًا الجند منهم ينمُّ عن التزامهم بأخلاق المصطفى ﷺ.

١١- تعامل الخلفاء الراشدين ﭫ مع جميع الظروف والمواقف دليل الحكمة العالية.

١٢- أولى الراشدون المصابين وحديثي الإسلام اهتمامًا خاصًّا؛ ومراعاةً لحالهم وحفظًا لحقهم وحرصًا على نشر دين الله ودعوتهم، وتوضيح شعائر الإسلام لهم.

١٣- كان الراشدون ﭫ حريصون على تأدية الحقوق لأهلها، وإيصالها لهم سواء مع الفرد أو المجتمع من جند وجيش ورعية.

١٤- أسلوب الرحمة بالناس والرفق بهم من أكثر الوسائل التي تقربهم إلى قبول الخير والحق.



ثانياً: أبرز التَّوصيات

١- يوصي الباحث بترجمة مظاهر الرحمة التي سطَّرها الخلفاء إلى لغات عدَّة؛ ليعرف العالم أجمع أخلاق الحرب والسلام.

٢- التَّوسع في دراسة رحمتهم ﷺ في كلِّ ميدان من ميادين حياتهم دراسة بحثية موسعة.

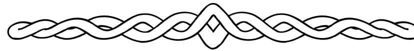
٣- عرض مظاهر الرحمة في الفتوحات الإسلامية في المنتديات الدولية لإبراز صورة الإسلام الحقيقية.

٤- شمولية دراسة التاريخ الإسلامي من كلِّ جوانبه سواء على الصعيد السياسي، أو الاقتصادي، أو الاجتماعي، أو العسكري، وهو محل البحث هنا.

هذا، واللهَ أسأل أن يرزقنا حسن العمل وأصوبه، وأن يجعل أعمالنا خالصةً لوجهه الكريم، على سُنَّة خير المرسلين محمد ﷺ، وأن يرزقنا الاقتداء به وبأخلاقه الكريمة، وأن يجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين، وأن يرينا الحقَّ حقًّا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه، وأن يغفر لنا زللنا، وخطأنا، وأن يعفوَ عنا، ويرحمنا، ومن له حق علينا وجميع المسلمين.. إنه سميعٌ قريبٌ مجيبٌ.



الفهارس



فهرس الآيات

الآيــة	رقمها	الصفحة
٢- البقرة		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾	٢١	٨٥
﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُم...﴾	١٩٠	٢٣٣
﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٨٧﴾	١٩٠	٢٥٦
﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ...﴾	٢٤٩	١٣٨، ١٨١
﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾	٢٨٦	١٥٨
٣- آل عمران		
﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ﴾	٧٤	١٨
﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾	١٠٧	١٨٢، ٢٠٧
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾	١٤٤	٩٠
﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا﴾	١٥٢	١٩٨
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ...﴾	١٥٢	١٩٨
﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾	١٥٩	١٨٥
﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾	١٦٠	١٩٧

الآيــة	رقمها	الصفحة
﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ﴾	١٦٠	١٩٧
﴿وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾	١٦٠	١٩٧
﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ﴾	١٦٠	٢٠٦
﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	١٦١	١٨٤
﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١﴾	١٧١	١٨٣
﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ﴾	١٧٣	١٣٨
﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾	١٧٣	١٣٨
٤- النساء		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ...﴾	٥٩	٩٨
﴿وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ...﴾	١٠٢	٢١٢
٥- المائدة		
﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾	٨	١٣٣
﴿ٱعدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إ نَّ ٱللَّهَ خَبِيرُ بِمَا تَعمَلُونَ﴾	٨	٢٣٨
﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾	٢	٢٥٣
﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى	١٥، ١٦	١٣٧

الآيــة	رقمها	الصفحة
﴿ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾		
٦- الأنعام		
﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾	٣١	٢٤١
﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ﴾	٨٩	٢٠
﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٩٦﴾	٩٦	٢٠٦
﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾	١٤١	٢٤١
﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي﴾	١٤٢	٢١
٨- الأنفال		
﴿قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾	١	١٣٤
﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ...﴾	١٥، ١٦	١٨١، ٢٠٦
﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ...﴾	١٥-١٦	٢٠٦
﴿إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ﴾	١٩	٢٠
﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ...﴾	٤١	١٩٨
﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾	٥٨	١٩٣

الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾	٦٠	١٥٦
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾	٦٥	١٨٠
﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾	٧٢	٩٧
٩- التوبة		
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْۚ...﴾	٤	٢٢٦
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾	٦	٢٣٨، ٢٧٥
﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ٣٦﴾	٣٦	٨٦
﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾	٤١	١٦٨
﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾	٥١	١٣٨
﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾	١٢٠	١٨٣
١٠- يونس		
﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ٩٩﴾	٩٩	٩٦
١٤- إبراهيم		
﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ٤٤﴾	٤٤	٢٠٦
١٦- النحل		
﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ	٢٥	٢٧٧

الآيـــة	رقمها	الصفحة
خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾		
﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا...﴾	٩١	٢٧١
١٧- الإسراء		
﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ⑤﴾	٥	١٢٠
﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾	٨٤	١٤٤
٢٠- طه		
﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾	٢٩	١٤١
٢١- الأنبياء		
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾	١٠٧	٢٣١
٢٢- الحج		
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾	٣٩	٨٦
٢٥- الفرقان		
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾	٣٥	١٤١
٢٨- القصص		
﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾	٨٣	١٣٦
٣٤- سبأ		
﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ⑤⑥﴾	٢٨	٨٥
٤٨- الفتح		

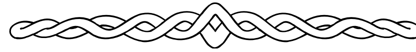
الآيـــة	رقمها	الصفحة
﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا...﴾	٢٩	٦
٥١- الذاريات		
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾	٥٦	٨٦
٥٩- الحشر		
﴿مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾	٥	٢٢٣
٦١- الصف		
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾	٤	١٧٢
٧٦- الإنسان		
﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾	٩	٢٦٢
٨٠- عبس		
﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾	٢١	٢٥١



فهرس الأحاديث



فهرس الآثار




جامعة أم القرى
UMM AL-QURA UNIVERSITY

فهرس الأعلام



فهرس الأماكن




جامعة أم القرى
UMM AL-QURA UNIVERSITY

المصادر والمراجع

كتب التفسير:

١. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،** محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ط: ١٤١٥هـ.

٢. **التحرير والتنوير،** محمد الطاهر بن عاشور. الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، ط: ١٩٨٤هـ.

٣. **تفسير البغوي،** الحسين بن مسعود البغويّ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ.

٤. **تفسير الشعراوي – الخواطر،** المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم.

٥. **تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن،** المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٦. **تفسير القرآن العظيم،** إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠هـ.

٧. **تفسير المراغي،** أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي، مصر، ط الأولى، ١٣٦٥هـ.

٨. **تفسير مقاتل بن سليمان،** تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٣هـ.

٩. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،** عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة. ط: الأولى ١٤٢٠هـ.

١٠. **الجامع لأحكام القرآن،** محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،

الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ط: الثانية، ١٣٨٤هـ.

١١. **زاد المسير في علم التفسير**، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.

١٢. **فتح القدير**، محمد بن علي الشوكاني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط: الأولى – ١٤١٤هـ.

١٣. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، عبد الحق بن غالب المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلميه، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٤. **النكت والعيون**، علي بن محمد بن الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان بدون ط.

١٥. **اليرموك الاستراتيجية والحسم**، علي محمد المراشدة، الأردن – ١٩٩٧.

كتب السنة:

١٦. **شرح صحيح البخارى**، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١٠.

١٧. **أحاديث الشهادة والشهيد**، نزار عبد القادر محمد ريان، الجامعة الأردنية، ط١٤١١.

١٨. **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، محمد بن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٩. **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، محمد بن حبان، ق/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٠. **الإرشاد في معرفة علماء الحديث**، أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني (المتوفى: ٤٤٦هـ)، المحقق: د. محمد سعيد عمر إدريس، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض.

٢١. **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٢. **الاستذكار**، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ - ٢٠٠٠.

٢٣. **الاعتقاد**، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: أحمد عصام الكاتب، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠١.

٢٤. **البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير**، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، المحقق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض - السعودية، الطبعة: الاولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٢٥. **تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة**، القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، المحقق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، عام النشر: ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٢٦. **التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه**، مؤلف الأصل: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، مؤلف التعليقات الحسان: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٧. **تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم**، المؤلف: محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ)، المحقق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الناشر: مكتبة السنة - القاهرة - مصر.

٢٨. **التكميل لما فات تخريجه من إرواء الغليل**، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ،

الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٢٩. **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ. ١٩٨٩م.

٣٠. **تيسير مصطلح الحديث**، المؤلف: أبو حفص محمود بن أحمد بن محمود طحان النعيمي، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: العاشرة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٣١. **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، مجد الدين ابن الأثير، تحقيق: بشير عيون، الناشر: مكتبة الحلواني، ط دار الفكر، ط الأولى.

٣٢. **الجوهر النقي على سنن البيهقي**، علي بن عثمان الشهير بابن التركماني، الناشر: دار الفكر.

٣٣. **حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه**، المؤلف: محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: ١١٣٨هـ)، الناشر: دار الجيل - بيروت، بدون طبعة.

٣٤. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عدد الأجزاء: ٦، عام النشر: جـ ١ - ٤: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، جـ ٦: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، جـ ٧: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٣٥. **السنة**، أحمد بن حنبل - عبد الله بن أحمد بن حنبل، المحقق: عبد الله بن حسن بن حسين آل الشيخ، حالة الفهرسة: غير مفهرس، الناشر: المطبعة السلفية، سنة النشر: ١٣٤٩هـ، عدد المجلدات: ١.

٣٦. **سنن أبي داود**، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

٣٧. **السنن الكبرى**، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٣٨. **سنن سعيد بن منصور**، المؤلف: أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (المتوفى: ٢٢٧هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: الدار السلفية – الهند، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ –١٩٨٢م، عدد الأجزاء: ٢*١.

٣٩. **شرح السنة**، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٤٠. **شرح النووي على مسلم = المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

٤١. **شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم**، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٤٢. **شرح معاني الآثار**، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، حققه وقدم له: (محمد زهري النجار – محمد سيد جاد الحق) من علماء الأزهر الشريف، راجعه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: د يوسف عبد الرحمن المرعشلي – الباحث بمركز خدمة السنة بالمدينة النبوية، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٤٣. **صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٤. **صحيح الجامع الصغير وزياداته،** المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.

٤٥. **صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،** المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٦. **صحيح وضعيف الطبري،** ق/ محمد البزرنجي، ومحمد حلاق، الناشر ابن كثير، ط ١٤٢٨هـ.

٤٧. **صحيح وضعيف سنن أبي داود،** محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، قام بإعادة فهرسته وتنسيقه:أحمد عبد الله عضو في ملتقى أهل الحديث.

٤٨. **صحيح وضعيف سنن الترمذي،** محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

٤٩. **طرح التثريب في شرح التقريب (المقصود بالتقريب: تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد)،** المؤلف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: ٨٠٦هـ)، أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين، ابن العراقي (المتوفى: ٨٢٦هـ)، الناشر: الطبعة المصرية القديمة – وصورتها دور عدة منها (دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي).

٥٠. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري،** محمود بن أحمد العينى، الناشر: دار إحياء التراث العربي. ط: بدون.

٥١. **غريب الحديث،** إبراهيم بن إسحاق الحربي، تحقيق: سليمان إبراهيم محمد العايد، الناشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة، ط: الأولى، ١٤٠٥هـ.

٥٢. **فتح الباري شرح صحيح البخاري،** أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، أشرف عليه: محب الدين الخطيب، تعليق الشيخ العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله.

٥٣. **كتاب السنة**، أبو بكر بن أبي عاصم، الناشر: المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ.

٥٤. **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض.

٥٥. **المراسيل**، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨.

٥٦. **المستدرك على الصحيحين**، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.

٥٧. **مسند أبي يعلى الموصلي**، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤.

٥٨. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٥٩. **مشكاة المصابيح**، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥.

٦٠. **مصنف ابن أبي شيبة = الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.

٦١. **شرح مشكل الآثار**، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر:

مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى - ١٤١٥هـ، ١٤٩٤م.

٦٢. **المعتصر من المختصر من مشكل الآثار**، المؤلف: يوسف بن موسى بن محمد، أبو المحاسن جمال الدين المَلَطي الحنفي (المتوفى: ٨٠٣هـ)، الناشر: عالم الكتب - بيروت.

٦٣. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التُّراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية.

٦٤. **موطأ الإمام مالك**، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٦٥. **نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي**، المؤلف: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢هـ)، قدم للكتاب: محمد يوسف البَنُوري، صححه ووضع الحاشية: عبد العزيز الديوبندي الفنجاني، إلى كتاب الحج، ثم أكملها محمد يوسف الكاملفوري، المحقق: محمد عوامة، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر - بيروت - لبنان/ دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٦٦. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٥.

٦٧. **الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد**، المؤلف: أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن، أبو نصر البخاري الكلاباذي (المتوفى: ٣٩٨هـ)، المحقق: عبد الله الليثي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧، عدد الأجزاء: ٢.

كتب السيرة:

٦٨. **الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء**، سليمان بن موسى الكلاعي الحميري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ط: الأولى، ١٤٢٠هـ.

٦٩. **الإملاء المختصر في شرح غريب السير**، مصعب بن محمد بابن أبي الركب، تحقيق: بولس برونله، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٧٠. **إنارة الدجى في مغازي خير الورى صلى الله عليه وآله وسلم**، حسن بن محمد المشاط المالكي، الناشر: دار المنهاج – جدة، ط: الثانية – ١٤٢٦هـ.

٧١. **دروس وعبر من صحيح القصص النبوي**، المؤلف: شحاتة محمد صقر، الناشر: مكتبة دار العلوم، البحيرة (مصر).

٧٢. **الرحيق المختوم**، المؤلف: صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ)، الناشر: دار الهلال – بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع).

٧٣. **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية**، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٢هـ.

٧٤. **زاد المعاد في هدي خير العباد**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ.

٧٥. **سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد**، المؤلف: محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٧٦. **سير الملوك**، الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، تحقيق: يوسف حسين بكار، الناشر: دار الثقافة – قطر، ط: الثانية، ١٤٠٧.

٧٧. **السيرة النبوية دروس وعبر**، مصطفى بن حسني السباعي، الناشر: المكتب الإسلامي، ط: الثالثة، ١٤٠٥هـ.

٧٨. **السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة**، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الناشر: دار القلم – دمشق، الطبعة: الثامنة – ١٤٢٧هـ.

٧٩. **السيرة النبوية لابن هشام**، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، المحقق: طه عبد الرءوف سعد، الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة.

٨٠. **السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي**، عبد الشافي محمد عبد اللطيف، الناشر: دار السلام – القاهرة، ط الأولى – ١٤٢٨هـ.

٨١. **السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني**، أحمد أحمد غلوش، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ط: الأولى ١٤٢٤هـ.

٨٢. **السيرة النبوية**، ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٣٩٥هـ.

٨٣. **السيرة النبوية**، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر: ١٣٩٥هـ.

٨٤. **شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، محمد بن عبد الباقي الزرقاني، الناشر: دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤١٧هـ.

٨٥. **شرح السير الكبير**، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، الناشر: الشركة الشرقية للإعلانات، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٩٧١م.

٨٦. **الفصول في السيرة**، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو الناشر: مؤسسة علوم القرآن، ط: الثالثة، ١٤٠٣هـ.

٨٧. **المعالم الأثيرة في السنة والسيرة**، محمد بن محمد حسن شُرَّاب، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق– بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١١هـ.

٨٨. **معالم الرحمة في تعامل النبي**، من ضمن أبحاث المؤتمر الدولي سنة ١٤٣١هـ، سليمان صالح الشجراوي.

٨٩. **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن السمهودي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩.

٩٠. **وقفات مع أحاديث تربية النبي ﷺ لصحابته**، عبد الرحمن بن عبد الكريم الزيد، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ط: السنة السادسة والثلاثون العدد (١١٢) ١٤٢٤هـ.

كتب اللغة:

٩١. **الإتباع**، عبد الواحد بن علي اللغوي، ق عز الدين التنوخي. الناشر: مجمع اللغة العربية، دمشق، عام النشر: ١٣٨٠هـ.

٩٢. **أساس البلاغة**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٩٣. **الألفاظ لابن السكيت**، ابن السكيت أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، ق فخر الدين قباوة، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون، ط: الأولى، ١٩٩٨م.

٩٤. **تاج العروس**، محمّد بن محمّد الزَّبيدي، ق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، ط بدون.

٩٥. **تكملة المعاجم العربية**، رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: ١٣٠٠هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه: جـ ١ – ٨: محمَّد سَليم النعَيمي، جـ ٩، ١٠: جمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من ١٩٧٩ – ٢٠٠٠م.

٩٦. **جمهرة اللغة**، محمد بن الحسن الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط الأولى، ١٩٨٧م.

٩٧. **الرائد معجم لغوي معاصر الجبران مسعود**، دار العلم للملايين، بيروت، ط السابعة ١٩٩٢م.

٩٨. **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٩٩. **الزاهر في معاني كلمات الناس**، محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: حاتم صالح الضامن،

مؤسسة الرسالة، بيروت ط الأولى ١٤١٢هـ.

١٠٠. **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، شوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٠١. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، ط: الرابعة ١٤٠٧هـ.

١٠٢. **العقد الفريد**، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٠٣. **العين**، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

١٠٤. **عيون الأخبار**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٨هـ.

١٠٥. **الفروق اللغوية**، الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهره - مصر. بدون ط.

١٠٦. **القاموس المحيط**، محمد بن يعقوب الفيروزابادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط الثامنة، ١٤٢٦هـ.

١٠٧. **الكامل في اللغة والأدب**، محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، ط: الثالثة ١٤١٧هـ.

١٠٨. **اللباب في قواعد اللغة**، محمد علي السَّراج، مراجعة: خير الدين شمسي باشا، الناشر: دار الفكر - دمشق، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ.

١٠٩. **لسان العرب**، محمد بن مكرم ابن منظور، الناشر: دار صادر - بيروت، ط: الثالثة - ١٤١٤هـ.

١١٠. **مجمل اللغة لابن فارس**، أحمد بن فارس الرازي، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية ١٤٠٦هـ.

١١١. **مختار الصحاح**، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصر – الدار النموذجية، بيروت – صيدة، ط الخامسة، ١٤٢٠هـ.

١١٢. **المخصص**، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: خليل إبراهم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

١١٣. **معجم البلدان**، ياقوت بن عبد الله الحموي، الناشر: دار صادر، بيروت، ط: الثانية، ١٩٩٥م.

١١٤. **معجم اللغة العربية المعاصرة**، د. أحمد مختار عمر، الناشر: عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢٩هـ.

١١٥. **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي الحربي (المتوفى: ١٤٣١هـ)، الناشر: دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

١١٦. **المعجم الوسيط**، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

١١٧. **معجم ديوان الأدب**، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: ٣٥٠هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

١١٨. **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، المؤلف: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ)، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣هـ.

١١٩. **المغرب في ترتيب المعرب**، ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المِطَرِّزِىّ (المتوفى: ٦١٠هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي.

١٢٠. **مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بدون، ط ١٣٩٩هـ.

١٢١. **مناهج البحث العلمي دورها وأنواعها واستخدامها**، د/ محمد حسانين محمود.
١٢٢. **منهجية إعداد بحوث الدراسات العليا**، الهاشمي بن واضح، جامعة محمد بوضاف المسبلة، ط: ٢٠١٦.
١٢٣. **نهاية الأرب في فنون الأدب**، أحمد بن عبد الوهاب النويري، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ.

كتب التراجم:

١٢٤. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الجزء: ١ – الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٢ – الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٣ – الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٤ – الطبعة: ١، ١٩٧١، الجزء: ٥ – الطبعة: ١، ١٩٩٤، الجزء: ٦ – الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٧ – الطبعة: ١، ١٩٩٤، عدد الأجزاء: ٧
١٢٥. **أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين**، محمد رضا، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، سنة النشر: ١٣٦٩ – ١٩٥٠، عدد المجلدات: ١، رقم الطبعة: ٢.
١٢٦. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، يوسف بن عبد الله القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت ط: الأولى، ١٤١٢هـ.
١٢٧. **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، عليّ بن أبي الكرم ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤١٥هـ.
١٢٨. **أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب**، علي محمد محمد الصلابي، الناشر: مكتبة الصحابة – الشارقة، سنة النشر: ١٤٢٥ – ٢٠٠٤.
١٢٩. **الإصابة في تمييز الصحابة**، أحمد بن علي المعروف بابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ط: الأولى – ١٤١٥هـ.

١٣٠. **الأعلام**، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢م.

١٣١. **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**، سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا (المتوفى: ٤٧٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

١٣٢. **أنساب الأشراف للبلاذري**، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط الأولى، ١٤١٧هـ.

١٣٣. **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت.

١٣٤. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، عدد الأجزاء: ٥٢.

١٣٥. **تاريخ الخلفاء**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: حمدي الدمرداش، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١٣٦. **تهذيب الأسماء واللغات**، محيي الدين يحيى النووي، تحقيق: إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ط بدون.

١٣٧. **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، يوسف بن عبد الرحمن المعروف بالمزي، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٠هـ.

١٣٨. **الثقات**، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣.

١٣٩. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

١٤٠. **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر آباد/ الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

١٤١. **ذيل تذكرة الحفاظ**، المؤلف: شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي الشافعي (المتوفى: ٧٦٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

١٤٢. **رجال صحيح مسلم**، المؤلف: أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر ابن مَنْجُويَه (المتوفى: ٤٢٨هـ)، المحقق: عبد الله الليثي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧.

١٤٣. **سير أعلام النبلاء**، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٤٤. **غاية النهاية في طبقات القراء**، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر.

١٤٥. **فضائل الصحابة**، أحمد بن محمد بن حنبل. تحقيق: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط الأولى، ١٤٠٣هـ.

١٤٦. **مشاهير علماء الأمصار**، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق علي إبراهيم، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة، الطبعة: الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٤٧. **المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين**، المؤلف: أعضاء ملتقى أهل الحديث.

١٤٨. **معجم الشعراء**، لإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (المتوفى: ٣٨٤هـ)، بتصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، الناشر: مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٤٩. **معجم الصحابة**، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي (المتوفى: ٣٥١هـ)، المحقق: صلاح بن سالم المصراتي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨.

١٥٠. **معجم الصحابة**، المؤلف: أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي (المتوفى: ٣١٧هـ)، المحقق: محمد الأمين بن محمد الجكني، الناشر: مكتبة دار البيان – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، طبع على نفقة: سعد بن عبد العزيز بن عبد المحسن الراشد أبو باسل.

١٥١. **المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري**، أكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري، تقديم: علي حسن عبد الحميد الأثري، الناشر: الدار الأثرية، الأردن – دار ابن عفان، القاهرة.

١٥٢. **معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»**، المؤلف: عادل نويهض، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

١٥٣. **معجم المؤلفين**، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، الناشر: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٥٤. **معرفة الصحابة**، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (المتوفى: ٣٩٥هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: الأستاذ الدكتور/ عامر حسن صبري، الناشر: مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

١٥٥. **معرفة الصحابة**، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

١٥٦. **المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية**، أبو البقاء هبة الله محمد الحلي، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات، صالح موسى درادكة، الناشر: مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ط: الأولى، ١٩٨٤م.

١٥٧. **الوافي بالوفيات**، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢٩.

١٥٨. **الوفيات والأحداث**، المؤلف: عضو ملتقى أهل الحديث / الباحث - غفر الله له -، قال المؤلف: هو ملف مختصر للأحداث والوفيات عبر التاريخ....، آخر تحديث بتاريخ: ٢٠ ربيع الأول ١٤٣١هـ.

١٥٩. الوفيات، ابن قنفذ أحمد بن حسن ابن قنفذ، تحقيق: عادل نويهض، الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط: الرابعة، ١٤٠٣هـ.

كتب التاريخ:

١٦٠. **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين (المتوفى: ٧٣٩هـ)، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ، عدد الأجزاء:٣.

١٦١. **مختصر سياسية الحروب**، أبو سعيد الشعراني الهرثمي صاحب المأمون، تحقيق: عبد الرؤوف عون، مراجعة: د. محمد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

١٦٢. **تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية ١١-٤٠هـ**، محمد سهيل طقوش، الناشر: دار النفائس، سنة النشر: ١٤٣٢ — ٢٠١١، عدد المجلدات: ١، رقم الطبعة: ٢.

١٦٣. **آثار البلاد وأخبار العباد**، زكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى: ٦٨٢هـ)، دار صادر - بيروت.

١٦٤. **الأخبار الطوال**، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (المتوفى: ٢٨٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال، الناشر: دار إحياء الكتب العربي - عيسى البابي الحلبي وشركاه / القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٩٦٠م.

١٦٥. **أطلس الخليفة أبي بكر الصديق**، سامي عبد الله المغلوث، العبيكان، ط الأولى: ١٤٢٥هـ.

١٦٦. **آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان**، إسحاق بن الحسين المنجم، الناشر: عالم الكتب، بيروت ط: الأولى، ١٤٠٨هـ.

١٦٧. **انتشار الإسلام الفتوحات الإسلامية زمن الراشدين،** جميل عبد الله المصري، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: السنة الحادية والعشرون - العددان الواحد والثمانون والثاني والثمانون - المحرم - جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ.

١٦٨. **البدء والتاريخ،** المطهر بن طاهر المقدسي، تحقيق: بدون مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد ط بدون.

١٦٩. **البداية والنهاية،** المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

١٧٠. **البلدان،** أحمد بن إسحاق (أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (المتوفى: بعد ٢٩٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٧١. **تاريخ الدعوة إلى الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين،** يسري محمد هاني، مكتبة الملك فهد، ط١٤١٨م.

١٧٢. **تاريخ الطبري،** محمد بن جرير الطبري، تحقيق: بدون، الناشر: دار التراث - بيروت، ط: الثانية - ١٣٨٧هـ.

١٧٣. **التاريخ الكبير،** محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: بدون، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، ط بدون.

١٧٤. **تاريخ خليفة بن خياط،** خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، الناشر: دار القلم، مؤسسة الرسالة - دمشق، بيروت ط: الثانية، ١٣٩٧هـ.

١٧٥. **تاريخ دمشق،** أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٧٦. **تاريخ فتوح الشام،** أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي البصري، تحقيق: وليم ناسوليس الايرلاندي، طبعة مدينة كلكتة، ١٨٥٤م.

١٧٧. **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة،** عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر، الطبعة: الأولى ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

١٧٨. **الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم،** عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، الناشر: دار القلم- دمشق، ط: الأولى المستكملة لعناصر خطة الكتاب ١٤١٨هـ.

١٧٩. الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، علي محمد محمد الصلابي، الناشر: دار المعرفة، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٨ — ١٤٢٩.

١٨٠. **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تاريخ ابن خلدون)،** المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٨١. **الروض المعطار في خبر الأقطار،** المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (المتوفى: ٩٠٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع في مطابع دار السراج، الطبعة: الثانية، ١٩٨٠م.

١٨٢. **الطبقات الكبرى،** القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، المحقق: زياد محمد منصور، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨.

١٨٣. **الطبقات الكبرى،** محمد بن سعد المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤١٠هـ.

١٨٤. **عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين،** أكرم بن ضياء العمري، الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١٨٥. **الفتنة ووقعة الجمل،** سيف بن عمر الأسدي التَّمِيمي (المتوفى: ٢٠٠هـ)، المحقق: أحمد راتب عرموش، الناشر: دار النفائس، الطبعة: السابعة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

١٨٦. **فتوح البلدان**، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفى: ٢٧٩هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال- **بيروت**، عام النشر: ١٩٨٨م.

١٨٧. **فتوح الشام**، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٨٨. **الكامل في التاريخ**، علي بن أبي الكرم ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان ط: الأولى، ١٤١٧هـ.

١٨٩. **كتاب الردة مع نبذة من فتوح العراق وذكر المثنى بن حارثة الشيباني**، المؤلف: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، المحقق: يحيى الجبوري، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٩٠. **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**، أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج الناشر: مطبعة حكومة الكويت – الكويت، ط: الثانية، ١٩٨٥م.

١٩١. **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، محمد حميد الله الحيدر آبادي الهندي (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، الناشر: دار النفائس – بيروت، الطبعة: السادسة – ١٤٠٧.

١٩٢. **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري لرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، المحقق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار النشر: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٤م.

١٩٣. **المختصر في أخبار البشر**، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (المتوفى: ٧٣٢هـ)، الناشر: المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة: الأولى.

١٩٤. **المختصر في سياسة الحروب**، أبو سعيد الهرثمي، تحقيق: عبد الرؤوف عون، مصطفى زيادة، الناشر: المؤسسة المصرية العامة.

١٩٥. **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، المؤلف: أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (المتوفى: ٧٦٨هـ)، وضع حواشيه: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

١٩٦. **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين (المتوفى: ٧٣٩هـ)، الناشر :دار الجيل، بيروت – الطبعة :الأولى، ١٤١٢هـ.

١٩٧. **المسالك والممالك**، الحسن بن محمد المهلبي العزيزي، تحقيق: تيسير خلف. ط بدون.

١٩٨. **المسالك والممالك**، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة (المتوفى: نحو ٢٨٠هـ)، الناشر: دار صادر أفست ليدن، بيروت، عام النشر: ١٨٨٩م، عدد الأجزاء: ١.

١٩٩. **الكتاب: المسالك والممالك**، المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي (المتوفى: ٣٤٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، عام النشر: ٢٠٠٤م، عدد الأجزاء: ١.

٢٠٠. **المسيرة الإسلامية لجيل الخلافة الراشدة عمر بن الخطاب**، منير الغضبان، الناشر القاهرة دار السلام، ط: الأولى ١٤٣٦هـ.

٢٠١. **المعارف**، عبد الله بن مسلم الدينوري، تحقيق: ثروت عكاشة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط: الثانية، ١٩٩٢م.

٢٠٢. **المغازي**، المؤلف: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي – بيروت، الطبعة: الثالثة — ١٤٠٩-١٩٨٩.

٢٠٣. **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، جواد علي، الناشر: دار الساقي، ط: الرابعة ١٤٢٢هـ.

٢٠٤. **مقدمة تاريخ ابن خلدون**، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٢٠٥. **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٢٠٦. **المنهج المسلوك في سياسة الملوك**، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، أبو النجيب، جلال الدين العدوي الشيزري الشافعي (المتوفى: نحو ٥٩٠هـ)، المحقق: علي عبد الله الموسى، الناشر: مكتبة المنار – الزرقاء.

٢٠٧. **المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، أحمد بن محمد القسطلاني القتيبي المصري، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة– مصر، ط بدون.

٢٠٨. **موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر ١٤١٧هـ-٩٦ – ٩٧م**، المؤلف: أحمد معمور العسيري، الناشر: غير معروف (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٢٠٩. **النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة**، يوسف بن تغري، تحقيق: بدون، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر. ط بدون.

كتب الفقه وأصوله:

٢١٠. **أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية. عبد اللطيف عامر**، دار الكتب الإسلامية والمصري واللبناني، ط١٤٠٦.

٢١١. **أحكام الجنائز**، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

٢١٢. **الأحكام السلطانية**، القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (المتوفى: ٤٥٨هـ)، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٢١٣. **الأحكام السلطانية للماوردي**، أبو الحسن علي بن محمد، الشهير بالماوردي، ط دار الحديث – القاهرة. بدون.

٢١٤. **أحكام أهل الذمة**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: يوسف بن أحمد البكري – شاكر بن توفيق العاروري، الناشر: رمادى للنشر – الدمام.

٢١٥. **الأم**، للإمام الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ(الناشر: دار المعرفة – بيروت – الطبعة: بدون طبعة، سنة النشر: ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ٨.

٢١٦. **الأموال**، أبو عُبيد القاسم بن سلَّام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، المحقق: خليل محمد هراس، الناشر: دار الفكر. – بيروت.

٢١٧. **الإنجاد في أبواب الجهاد**، محمد بن عيسى بن محمد بن أصبغ القرطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان ومحمد بن زكريا أبو غازي، ضبط نصَّه وعلَّق عليه ووثق نصوصه وخرج أحاديثه وآثاره، الناشر: دار الإمام مالك، مؤسسة الريان.

٢١٨. **الإنصاف**، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد المرْداوي، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي – الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة – جمهورية مصر العربية، ط: الأولى، ١٤١٥هـ.

٢١٩. **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ)، الناشر: دار الحديث – القاهرة.

٢٢٠. **تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ**، عثمان بن علي الحنفي، لحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد الشِّلْبِيُّ، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية – بولاق، القاهرة، لطبعة: الأولى، ١٣١٣هـ.

٢٢١. **تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام**، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (المتوفى: ٧٣٣هـ)، المحقق: قدم له: الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود، تحقيق ودراسة وتعليق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: دار الثقافة بتفويض من رئاسة المحاكم الشرعية بقطر – قطر/ الدوحة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٢٢٢. **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق:

محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٨.

٢٢٣. **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠١م.

٢٢٤. **حاشية ابن عابدين**، ابن عابدين، الناشر: دار الفكر– بيروت، ط: الثانية، ١٤١٢هـ.

٢٢٥. **الخراج**، المؤلف: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري (المتوفى: ١٨٢هـ)، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، سعد حسن محمد.

٢٢٦. **السياسة الشرعية – جامعة المدينة**، السياسة الشرعية، كود المادة: GFIQ٥٢٠٣، المرحلة: ماجستير، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية.

٢٢٧. **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٢٢٨. **السياسة الشرعية في الشئون الدستورية والخارجية والمالية**، عبد الوهاب خلاف (المتوفى: ١٣٧٥هـ)، الناشر: دار القلم، الطبعة: ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٢٢٩. **السياسة للوزير المغربي**، الحسين بن علي أبو القاسم الوزير المغربي، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة – الإسكندرية، ط: الأولى.

٢٣٠. **شرح القواعد الفقهية**، أحمد بن الشيخ محمد الزرقا، ق/ مصطفى أحمد الزرقا. الناشر: دار القلم – دمشق، ط: ١٤٠٩هـ.

٢٣١. **شرح المنتهى**، منصور بن يونس البهوتى الحنبلى، الناشر: عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٣٢. **طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية**، عمر بن محمد النسفي، الناشر: المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد، ط: بدون طبعة.

٢٣٣. **الفوائد الجسام على قواعد ابن عبد السلام**، عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني، العسقلاني الأصل، ثم البلقيني المصري الشافعيّ، أبو حفص، سراج الدين (المتوفى: ٨٠٥ هـ)، المحقق: د. محمد يحيى بلال منيار، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٢٣٤. **القصاص والتعازير في الجروح والقصاص**، مروان سيد نصر، غزة، ط١٤٣١.

٢٣٥. **المبدع في شرح المقنع**، ابن مفلح، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٣٦. **المجموع**، محيي الدين يحيى النووي، الناشر: دار الفكر.

٢٣٧. **المحلى بالآثار**، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.

٢٣٨. **المدونة**، مالك بن أنس المدني، الناشر: دار الكتب العلمية ط: الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٣٩. **معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة**، محمَّد بنْ حسَيْن بن حَسنْ الجيزاني. الناشر: دار ابن الجوزي، ط: الخامسة، ١٤٢٧هـ.

٢٤٠. **المغني**، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة، عدد الأجزاء: ١٠، تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٢٤١. **مقاصد الشريعة الإسلامية**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، عام النشر: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٢٤٢. **منهاج الطالبين وعمدة المفتين في الفقه**، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، المحقق: عوض قاسم أحمد عوض، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

٢٤٣. **الموسوعة الفقهية الكويتية**، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، عدد الأجزاء: ٤٥ جزءا، الطبعة: (من ١٤٠٤ – ١٤٢٧هـ)،..الأجزاء ١ – ٢٣: الطبعة الثانية، دار السلاسل – الكويت،..الأجزاء ٢٤ – ٣٨: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة – مصر،..الأجزاء ٣٩ – ٤٥: الطبعة الثانية، طبع الوزارة.

٢٤٤. **موسوعة القواعد الفقهية**، محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٤هـ.

٢٤٥. **النَّوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأُمهاتِ**، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، القيرواني، المالكي (المتوفى: ٣٨٦هـ)، تحقيق:، جـ ١، ٢: الدكتور/ عبد الفتّاح محمد الحلو، جـ ٣، ٤: الدكتور/ محمَّد حجي، جـ ٥، ٧، ٩، ١٠، ١١، ١٣: الأستاذ/ محمد عبد العزيز الدباغ، جـ ٦: الدكتور/ عبد الله المرابط الترغي، الأستاذ/ محمد عبد العزيز الدباغ، جـ ٨: الأستاذ/ محمد الأمين بوخبزة، جـ ١٢: الدكتور/ أحمد الخطابي، الأستاذ/ محمد عبد العزيز الدباغ، جـ ١٤، ١٥ (الفهارس): الدكتور/ محمَّد حجي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١٥ (١٤ جزء، ومجلد فهارس).

كتب متنوعة:

٢٤٦. **أخلاق الحرب الإسلامية في ضوء القران الكريم**، الرائد علي محمد الشهري- بحوث جائزة سلطان الدولية.

٢٤٧. **أخلاقيات الحرب في الإسلام**، محمد إقبال الندوي، منشورات المنظمة الإسلامية، شبكة الألوكة، ط: ١٤٣٥.

٢٤٨. **الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية**، سليمان بن صالح كمال، جامعة أم القرى، إشراف الدكتور إبراهيم نجيب عوض ١٤١٣هـ، ١٤١٩م.

٢٤٩. **الإدارة في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم**، أحمد عجاج كرمى، الناشر: دار السلام – القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٧هـ.

٢٥٠. **أدب الدنيا والدينا،** لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) الناشر: دار مكتبة الحياة الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ١.

٢٥١. **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام،** لمحمد الطاهر ابن عاشور، الناشر: الشركة التونسية للتوزيع - تونس / المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر.

٢٥٢. **بدائع السلك في طبائع الملك،** محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي، أبو عبد الله، شمس الدين الغرناطي ابن الأزرق (المتوفى: ٨٩٦هـ)، المحقق: د. علي سامي النشار، الناشر: وزارة الإعلام – العراق.

٢٥٣. **تجارب الأمم وتعاقب الهمم،** أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفى: ٤٢١هـ)، المحقق: أبو القاسم إمامي، الناشر: سروش، طهران، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٠م.

٢٥٤. **الجهاد والقتال في السياسة الشرعية،** محمد خير هيكل، ط: البيارق.

٢٥٥. **حدود العالم من المشرق إلى المغرب،** المؤلف: مجهول (توفي: بعد ٣٧٢هـ)، **محقق** ومترجم الكتاب (عن الفارسية): السيد يوسف الهادي، الناشر: الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة: ١٤٢٣هـ.

٢٥٦. **حركة مسيلمة الحنفي،** إحسان صدقي، حوليات الحولية العاشرة جامعة الكويت، كلية الآداب ط ١٤٠٩هـ.

٢٥٧. **خريدة العجائب وفريدة الغرائب،** المؤلف: سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردي، البكري القرشي، المعري ثم الحلبي (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المنسوب خطأ: للقاضي زين الدين عمر بن الوردي البكري القرشي، المحقق: أنور محمود زناتي -كلية التربية، جامعة عين شمس، الناشر: مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

٢٥٨. **دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية،** عبد السلام بن محسن آل عيسى، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى ١٤٢٣هـ.

٢٥٩. **دفاع عن الحديث النبوي،** المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ).

٢٦٠. **دوافع السلوك الإنساني وضوابطه العلمية على ضوء الكتاب والسنة،** رسالة ماجستير، جوهرة صالح الظبيبان، أم القرى، ١٤١٠هـ.

٢٦١. **دور مناهج التاريخ الإسلامي في تجسيد رحمة النبي**، من ضمن أبحاث المؤتمر الدولي سنة ١٤٣١هـ، إبراهيم رزق.

٢٦٢. **ديوان الإسلام**، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (المتوفى: ١١٦٧هـ)، المحقق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

٢٦٣. **الرحمة خلق رسول الله**، من أبحاث المؤتمر الدولي سنة ١٤٣١، محمد بن عبد الله اللعبون.

٢٦٤. **الردة للواقدي**، محمد بن عمر الواقدي، ق: يحيى الجبوري الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط الأولى، ١٤١٠هـ.

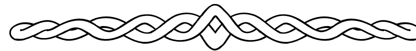
٢٦٥. **رسوم دار الخلافة**، المؤلف: هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابئ الحراني، أبو الحسين، أو أبو الحسن (المتوفى: ٤٤٨هـ)، المحقق: ميخائيل عواد، الناشر: دار الرائد العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٦م.

٢٦٦. **سراج الملوك**، محمد بن محمد الطرطوشي الناشر: من أوائل المطبوعات العربية – مصر، ١٢٨٩هـ.

٢٦٧. **غياث الأمم في التياث الظلم**، عبد الملك بن عبد الله الجويني، تحقيق: عبد العظيم الديب، الناشر: مكتبة إمام الحرمين، ط: الثانية، ١٤٠١هـ.

٢٦٨. **الفروسية**، محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان، الناشر: دار الأندلس – السعودية – حائل، ط: الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٦٩. **فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب**، محمد نصر الدين محمد عويضة، عدد الأجزاء: ١٠.



فهرس الموضوعات


جامعة أم القرى
UMM AL-QURA UNIVERSITY

In the name of Allah



Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of High Education
Umm Al Qurrah University
Faculty of Dawa and Fundamentals of Religion
Dawa and Islamic Culture Department
Islamic Culture Division



The manifestations of mercy in the conquests of the Caliphs

Thesis presented to have the masters degree in Dawa and Islamic Culture

Prepared By
Khalid Soliman Fahd Al Mazid
***University No. s* 43488203**

Under the Supervision of
Ph.D
Roshdy Zwein
Professor in Dawa and Islamic Culture Department

Academic Year
1438 - 1439



In the name of Allah

Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of High Education
Umm Al Qurrah University
Faculty of Dawa and Fundamentals of Religion
Dawa and Islamic Culture Department
Islamic Culture Division



The manifestations of mercy in the conquests of the Caliphs

Thesis presented to have the masters degree in Dawa and Islamic Culture

Prepared By
Khalid Soliman Fahd Al Mazid
***University No. s* 43488203**

Under the Supervision of
Ph.D
Roshdy Zwein
Professor in Dawa and Islamic Culture Department

Academic Year
1438 - 1439